



مجلة التأصيل جامعة دنقلا

يصدرها مركز تأصيل المعرفة والعلوم

ISSN 1858-8891

مجلة علمية محكمة نصف سنوية



في هذا العدد

آيات الإنفاق في البقرة ودورها في معالجة القضايا الاجتماعية في المجتمع
د. عفاف مكاوي محمد قبلي - د. مريم سليمان جابر النبي دقيس

القصّة التربوية في القرآن الكريم (الحكمة والموعظة)
د. عبد القادر آدم حسن مكي

أثر الإسلام في استخدام الأساليب الطلابية عند حسان بن ثابت
د. عبد الله محمد محمد صالح

أساليب التأديب الإيجابي في تعليم الأطفال من منظور إسلامي
د.حاتم عبد الماجد الصادق عنان

النداء في السنة النبوية (الكتب الستة أنموذجاً)
د. عمر عثمان محمد عثمان

مستقبل مهنة المكتبات من وجهة نظر غير المتخصصين في السودان (دراسة استكشافية)
د. فضل عبد الرحيم عبد الله - د. محمد عبد الله عيساوي

المعاني والألفاظ في تصورات علماء أصول الفقه
د. عامرية فضل عثمان فضل

الخضر عليه السلام بين جدلية الحياة والموت
د. عماد أحمد علي

دور المقومات الجغرافية والثقافية في الجذب السياحي بالولاية الشمالية - السودان
د. السيد بخت أحمد - د. الأمين عثمان شعيب

كتابة القرآن الكريم بالرسـم العثماني
د. أبو القاسم جمعة أحمد محمد

منهج القرآن في استخدام الوسائل والتقنيات التعليمية (دراسة تأصيلية)
د. يحيى محمد بن حسب سيدو

مجلة التأصيل جامعة دنقلا

العدد الثاني يوليو ٢٠١٩م

مجلة التأصيل جامعة دنقلا

العدد الثاني يوليو ٢٠١٩ م

قواعد النشر:

- * تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها وفق رؤية تأصيلية.
- * تقبل البحوث من كافة الباحثين داخل وخارج السودان.
- * ألا يكون البحث قد نشر أو قيد الدراسة للنشر في أية دورية أو مجلة علمية أخرى.
- * ألا تكون الورقة جزءاً من رسالة جامعية أو كتاب منشور.
- * يرسل البحث إلكترونياً على بريد المجلة بنوع خط Simplified Arabic بنط ١٤ بمسافة واحدة.
- * يُقدم البحث مطبوعاً على ورق A4. على ملف وورد (٢٠٠٣).
- * ألا تزيد عدد الصفحات عن (٢٠ صفحة) (٧٠٠٠ كلمة) باللغة العربية ويرفق ملخص للبحث لا يزيد عن (١٠٠ كلمة) باللغة العربية.
- * مراعاة الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- * تُوضع إحالات المراجع داخل النص (المنهج الأمريكي) وتأتي تفاصيل المراجع كالاتي:
 - اسم العائلة، الاسم الأول، سنة النشر، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان النشر.
 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٤م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.
 - في حالة التوثيق من المجلات: اسم المؤلف ، سنة النشر، ويوضع عنوان المقال بين علامتي تنصيص، ثم اسم الدورية ، المجلد أو العدد ، بلد النشر، ثم ترتيب صفحات المقال داخل العدد.
 - حسن، صالح رمضان، ٢٠٠٢م، "الصحابي المجاهد، النعمان بن مقرن المزني"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الرابع والعشرون، دبي، ص ص ٢٣٠ - ٢٤٨.
 - بالنسبة للرسائل الجامعية: اسم الباحث، سنة النشر، عنوان الرسالة، نوع الرسالة (ماجستير - دكتوراه)، الجامعة المانحة للدرجة.
 - عبد الرزاق، فائز أحمد ، ٢٠٠٨م ، فاعلية استخدام مسرح العرائس في تنمية بعض الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة بور سعيد.

- * تُعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئياً على محكمين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهم بسريّة تامة.
- * للمجلة الحق في إجراء أي تعديلات شكلية تتناسب ورسالة المجلة.
- * تعتذر المجلة عن النظر في البحوث المخالفة لقواعد النشر.
- * تهدي المجلة الباحث نسختين من العدد الذي يحتوي على بحثه.
- * تنقل حقوق طبع البحث ونشره إلى مجلة التأصيل جامعة دنقلا بعد إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر.
- * الأفكار الواردة في المجلة تعبّر عن رأي الباحثين وليس عن رأي المجلة.
- * يتم دفع رسوم وقدرها مائتا جنيه للبحوث بالداخل، وخمسون دولاراً للبحوث بالخارج بغرض التحكيم.
- * البحوث التي لا تنشر لا ترد لأصحابها.
- * ترسل البحوث إلى مدير تحرير المجلة على العنوان التالي: مجلة التأصيل جامعة دنقلا جمهورية السودان على البريد الإلكتروني الآتي : jruofd2018@gmail.com
- أو الاتصال على التلفونات التالية: ٠٠٢٤٩١٢٣٣٢٣٢٦٤ – ٠٠٢٤٩٩١١٠٨٠٠٠١

هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة

البروفيسور عمر حسن محمد حسن

رئيس التحرير

د. محمود محمد أحمد علي عثمان

نائب رئيس التحرير

د. حاتم عبد الماجد الصادق

مدير التحرير

د. الأمين عثمان شعيب

المحررون:

د. بلولة محمد بلولة

د. الغزالي محمد محمد الحسن زمزم

د. فيصل عبد الله عمر

التدقيق اللغوي:

د. الوسيلة إبراهيم محمد درار

سكرتاريا التحرير

أ. استشهاد عبد الهادي فتح الرحمن

هيئة المستشارين

- أ.د. عبد الحكيم حسن إبراهيم
أ.د. معاوية بابكر حسن المهدي
أ.د. كباشي حسين قسيمة إسماعيل
أ.د. طلحة عبد الحميد الحسن
أ.د. الزهور حسن الماهل
أ.د. مهيد محمد المتوكل
أ.د. الطيب محمد المصطفى حياتي
أ.د. علي أحمد بابكر
أ.د. كمال الحاج الحسين عبد الرحمن
أ.د. قيس عبد الله إبراهيم الحاج
أ.د. عمر محمد السيمت الشيخ
د. أبو القاسم خليفة التهامي
د. أحمد محمد زين
د. رحاب عبد الرحمن الشريف
د. قاسم عمر أبو الخير
د. كمال عبد الله المهلاوي

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
٨	آيات الإنفاق في سورة البقرة ودورها في معالجة القضايا الاجتماعية في المجتمع د. عفاف مكاوي محمد قبلي و د. مريم سليمان جار النبي دقيس
٢٥	القصة التربوية في القرآن الكريم (الحكمة والموعظة) د. عبد القادر آدم حسن مكي
٤٧	أثر الإسلام في استخدام الأساليب الطليبية عند حسان بن ثابت د. عبد الله محمد محمد صالح
٧٢	أساليب التأديب الإيجابي في تعليم الأطفال من منظور إسلامي د. حاتم عبد الماجد الصادق عنان
٩١	النَّداء في السُّنة النبوية (الكتب الستة أنموذجاً) د. عمر عثمان محمد عثمان
١٠٩	مستقبل مهنة المكتبات من وجهة نظر غير المتخصصين في السودان دراسة استكشافية د. فضل عبد الرحيم عبد الله و د. محمد عبد الله عيساوي
١٣٠	المعاني والألفاظ في تصور علماء أصول الفقه د. عامرية فضل عثمان فضل
١٤٦	الخضر عليه السلام بين جدلية الحياة والموت د. عماد أحمد علي
١٦٥	دور المقومات الجغرافية والثقافية في الجذب السياحي بالولاية الشمالية- السودان د. السيد بخت أحمد و د. الأمين عثمان شعيب
٢٠٢	كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني د. أبو القاسم جمعة أحمد محمد
٢٢٢	منهج القرآن الكريم في استخدام الوسائل والتقنيات التعليمية (دراسة تأصيلية) د. يحيى محمددين حسب سيدو

كلمة العدد

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... وبعد

يطيب لنا أن نضع بين أيديكم عددنا الثاني من مجلة التأصيل جامعة دنقلا والتي يصدرها مركز تأصيل المعرفة والعلوم بعمادة البحث العلمي، سائلين المولى عز وجل أن نوفق فيما قدمنا من عمل نال منا كثير جهدٍ وعناء حتي نقدم لك عملاً علمياً يتناسب وطرح المركز ويتسق مع ما يتمتع به أعضاء هيئة التدريس مع إمكانات علمية.

القارئ الكريم ونحن نضع بين يديك عددنا الثاني آملين أن يشبع نهم المعرفة ويروي غليل الظمأ للنهل من بحور المعرفة والعلم والآداب لذا جاءت موضوعاتنا متنوعة اخترناها بعناية فائقة ونظرة ثاقبة. موجّه لخدمة إنسان هذا البلد الحبيب في كل ضروب المعرفة والعلم والابتكار.

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر الباحثين الذين قاموا بإعداد هذه الأوراق العلمية الواردة في هذا العدد ورفدوا بها المجلة. كما نشكر الأخوة الذين تفضلوا بالتدقيق والتحكيم لموضوعات هذا العدد، فكانت لملاحظاتهم القيمة الأثر الواضح على جودتها.

اخترنا لكم هذه الموضوعات المتنوعة آملين دوام الوصل بيننا بأفكاركم آرائكم ومشاركةً بالموضوعات التي تخدم خط المجلة وتساهم في إنارة شموع المعرفة. في الختام تتمني لكم أسرة المجلة أن تجدوا فيها ما تصبو إليه وأن ينال هذا الجهد الرضى والقبول خدمة للمعرفة والعلم سائلين الله التوفيق والسداد وأن نبليغ مراقي الكمال في طليعة المجالات العلمية المحكمة.

أسرة التحرير

آيات الإنفاق في سورة البقرة ودورها في معالجة القضايا الاجتماعية في المجتمع

د. عفاف مكاوي محمد قيلي^(١)

د. مريم سليمان جار النبي دقيس

ملخص البحث

يدور موضوع البحث حول الإنفاق، أهميته، مجالاته، وأنواعه وأساليب القرآن الكريم بالترغيب فيه ببيان الأجر والثواب والترهيب من عدم الإنفاق وذلك من خلال تفسير الآيات في سورة البقرة التي أثبتت دور الإنفاق في النهوض بالمجتمع اجتماعياً واقتصادياً وذلك بمعالجة نفوس المنفقين من الشح والبخل ونفوس الفقراء من العداوة والبغضاء، وبذلك يقضي على الفقر والحاجة. حيث كان المنهج المتبع هو الاعتماد على تفسير ستة عشر آية في سورة البقرة تفسيراً تحليلياً وبيان أقوال المفسرين من السلف وذكر أسباب نزول بعض الآيات، ثم استنتاج الفوائد والأحكام الخاصة بالإنفاق.

المقدمة

أنعم الله سبحانه على عباده بنعم كثيرة لا تُحصى كما قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم، ٣٤) ومن أعظم هذه النعم التي حباها الله سبحانه للإنسان هي نعمة المال. ومما لا شك فيه أن المالك الحقيقي للمال هو الله سبحانه وتعالى، ولكنه أنعم به على عباده ابتلاءً واختباراً لهم أيشكرونه على هذه النعمة أم يجحدونه فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم، ٧)

ثم رغب عبده المؤمنين في بذل المال وإنفاقه في سبيله الذي هو من أفضل الأعمال وأحبها إليه. كما أنه يزكي النفس البشرية ويطهرها من رذائل الشح والبخل، وفي مقابل ذلك يطهر نفس الفقير من الحقد وبذلك يسمو الإنسان ويرتقي كما قال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة، ١٠٣). كما تطهر المال من تعلق حق الغير به فيزداد وهذا هو الإنفاق الواجب ويشمل الزكاة المفروضة والإنفاق على

(١) د. عفاف مكاوي محمدقيلي، الأستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالسلييل، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية؛ و د. مريم سليمان جار النبي دقيس، الأستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالسلييل، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

النفس والولد. ومن الإنفاق ما يكون مستحباً كالصدقات والهبات وغيرها. وكما رغبت الشريعة الإسلامية في الإنفاق وبينت الجزاء والثواب العظيم الذي يحظى به المنفق، كذلك رهبت من التقاعس عن انفاق المال والتردد في إخراجه ويبدو ذلك واضحاً في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ففي سورة البقرة يتعرض سياق الآيات لإقامة قواعد النظام الاقتصادي والاجتماعي التي يجب أن يقوم عليها المجتمع المسلم وقد تكررت فيها الدعوة الي الإنفاق والبذل فهناك آيات تحوّل الصدقة الى عمل يزكي النفس ويهذبها وبذلك يتحول المجتمع الي أسرة يسودها التكافل والتراحم فقد عالج القرآن الكريم رذائل الشح والبخل والرياء واتباع النفقة باليمن والأذى. ورغّب تلك النفوس مبيّناً ثواب العطاء مما خوّله الله متأدياً بالأدب الذي رسمه له.

سبب اختيار الموضوع:

أولى القرآن الكريم أهمية عظيمة للإنفاق مما دفعنا لإلقاء الضوء على هذا الموضوع من خلال الآيات التي وردت في سورة البقرة لمعالجة القضايا الاجتماعية تحقيقاً للتكافل والتراحم بين أبناء الأمة الإسلامية.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذه الدراسة:

- ١- كونها تعالج موضوعاً يحتل مكانة عظمى في النواحي الاقتصادية والاجتماعية.
 - ٢- امتثال المؤمن لأمر الله بالإنفاق من ماله الذي استخلفه فيه لعمارة الأرض.
- المنهج المتبع في الدراسة: هو المنهج الوصفي والاستقرائي.

تعريف الإنفاق وأهميته، مجالاته وأنواعه

تعريف الإنفاق:

يطلق لفظ الإنفاق في اللغة على عدة معانٍ منها:

- أ- أنفق الرجل: إنفق وزهد ماله.
- ب- أنفق التجار السلعة: روجوها.
- ج- الإنفاق بمعنى البيع.
- د- أنفق عمره في تحصيل العلم: قضاه (مصطفى: د.ت، ٩٤٢)

أما تعريف الإنفاق في الاصطلاح: هو إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات والنفقة على الأهل والعيال. ويرى بعض العلماء: (إن النفقة: هي سائر المؤن من كسوة وسكن وغيره على من يعول من زوجه وولد وخادم) [ابن علان: ١٤٢٥هـ، ج ٣، ١١٦] أهمية الإنفاق:

يعتبر الإنفاق من أعظم وسائل التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم؛ وأحد أسباب ازدهار المجتمع اقتصادياً واجتماعياً كما لا تخفى أهميته بالنسبة للمنفق فهو من أسباب تعويد النفس على العطاء والبذل وبذلك يقضي على صفة الشح والبخل الذي رهب منه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث قال: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسْكِنًا تَلًّا) [مسلم، ج ٢، حديث رقم ١٠١٠].

وبذلك يعدّ الصدقة من أسباب زيادة الرزق ويرى بعض العلماء أهمية الإنفاق للمنفق في كافة مراحلها الدنيوية والأخروية وفي علاقة المنفق بربه، فبذل المال فيما يرضى الله يثاب عليه العبد ويعدّ من الذين يظلمهم الله في ظله كما ذكر في الحديث: (سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله....) وذكر منهم: ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) فكما بين صلى الله عليه وسلم إن إخفاء الصدقة خير لأنها تكون بعيدة عن الرياء فإن إظهارها خير في بعض المواطن.

ويعتبر الإنفاق سبب من أسباب الشفاء من الأمراض فكم من مريض كانت الصدقة سبباً بأمر الله في شفائه وكم من مبتلى عافاه الله تعالى، وقد رغب الله سبحانه وتعالى في الإنفاق وحث عليه ووعد بالثواب كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، ٢٦٤].

فالمنفق سيجني ثمار إنفاقه في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فهو تطهير لنفس المنفق وتزكية لقلبه قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة، ١٠٣]. كما أن في الإنفاق زيادة للمال؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا، ٣٩].

ومن ثمرات الإنفاق في الآخرة إن الله سبحانه يضاعف للمنفق الحسنات. قال عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، ٢٦١]. وفي السنة النبوية حديث خريم بن فاتك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمئة ضعف) [الترمذي، حديث رقم ١٦٢٥].

ومن أسمى غايات الإنفاق دخول الجنة التي أعدها الله للمتقين من عباده الذين ذكرهم ومن بينهم المنفقين. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران، ١٣٣-١٣٤]. وتبدو أهمية الإنفاق من خلال هذه الآية لتقدم المنفقين على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس. كما أن الإنفاق وقاية وحسن من النار لقوله عليه الصلاة والسلام (اتقوا النار ولو بشق تمرة) [البخاري حديث رقم ١٤١٧].

ولو تتبعنا القرآن الكريم نجده يرغب في كثير من آياته بالإنفاق في سبيل الله، وكذلك يرهب عن الإمساك وكنز الأموال بل عدّه سبيلاً إلى التهلكة كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، ١٩٥].

وفي سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران، ١٨٠]. قال الشوكاني: وأخرج ابن أبي حاتم عن حذيفة بن اليمان أنه قال: (هو ترك النفقة في سبيل الله مخافة العيلة) [الشوكاني: ١٤١٥هـ، ج ١، ٢٤٦].

لا شك أن للإنفاق دور كبير في معالجة القضايا الاجتماعية السائدة في المجتمع. ففرض الله سبحانه وتعالى الزكاة في أموال الأغنياء وأمر بمنحها للفقراء والضعفاء فكانت من أسباب النصر والرزق كما في حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (هل تتصرون وترزقون إلا بضعفائكم) [البخاري، ١٤٢٢هـ، حديث رقم ٢٨٩٦].

وبذلك يصبح المجتمع كالأُسرة الواحدة؛ وتقوم العلاقات على أساس الأخوة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات، ١٠]. ويترتب على رابطة الأخوة الحب في الله؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) بل ويؤثر الآخرين على نفسه وبذلك تثبت أواصر المحبة بين الأغنياء والفقراء فالنفس البشرية مجبولة على حب من أحسن إليها؛ (وبهذا فقد اعترف الإسلام بمصلحة الجماعة وبحقها في التملك بغية الوصول الى التوازن بين مصلحة الفرد والجماعة على أساس من العدل وحسبما تقتضي المصلحة وبذلك استطاع الإسلام حل المشكلة الاقتصادية في إشباع حاجات المجتمع) [الزحيلي، ج ١، ٥٠٠١].

مجالات الإنفاق:

للإنفاق مجالات واسعة وطرق متعددة فعلى سبيل المثال لا الحصر: الإنفاق على الفقراء والمساكين، وإسقاط الديون عن الغارمين والمعسرين وإطعام الطعام وكسوة المحتاجين، والإنفاق على طلاب العلم من الفقراء، والإنفاق على الأرمال والأيتام، وبناء دور العلم والمستشفيات، وبناء المساجد ففيه ثواب عظيم) [وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة السعودية: موقع السكينة ٢٠١٢ م].

وكذلك إنفاق المال في الأحوال الطارئة كالكوارث والحرائق، والزلازل، والفيضانات والحروب وغيرها لمساندة المجتمع. وتجهيز الغزاة في سبيل الله. عن زيد بن خالد قال: قال صلى الله عليه وسلم (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا). [البخاري، ١٤٢٢هـ، حديث رقم ٢٨٤٣].

أنواع الإنفاق:

والنفقة نوعان: النوع الأول: النفقة الواجبة: وهي التي تكون على سبيل الأمر من الله وذلك كالنفقة على النفس والأسرة كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة، ٢٣٣]. وقوله سبحانه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق، ٦].

ومن النفقة الواجبة: النفقة على الوالدين المحتاجين بدليل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة، ٢١٥]. كما تُعدُّ الزكاة من النفقة الواجبة إذا توفرت شروط وجوبها.

النوع الثاني: النفقة المستحبة: والمراد بها عموم الصدقة التي وردت فيها نصوص قرآنية كثيرة [خلفيات، ١٤٣٥هـ، ١٧٠]. نذكر منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون، ١٠]. وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران، ٩٢].

تفسير آيات الإنفاق في سورة البقرة وربطها بالقضايا الاجتماعية:

وردت في سورة البقرة آيات كثيرة تأمر بالإنفاق وترغب فيه وتشجع المؤمنين عليه، وتضمنت تلك الآيات الثواب العظيم الذي اعده الله سبحانه وتعالى للمنفقين، وبينت الشروط والآداب التي تهذب نفس الفرد وتروضها على العطاء فيعود بالنفع لآخذه.

وهي:

١- قوله سبحانه وتعالى: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة، ١-٣].

مما يؤكد أهمية الإنفاق إنه من الركائز الأساسية التي توجب إطلاق صفة المتقي على من أنفق المال. وفي تفسير هذه الآية قال ابن عباس: ﴿المراد زكاة أموالهم﴾ وقال ابن مسعود: (نفقة الرجل على أهله) [ابن كثير: ١٤١٤هـ، ج ١، ٤٨]. وقال الشوكاني: (واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات. وهو الحق من غير فرق بين النفقة على الأقارب وغيرهم وصدقة الفرض والنفل، وعدم التصريح بنوع من الأنواع التي يصدق عليها مسمى الإنفاق يشعر أتم إشعار بالتعميم) [الشوكاني: ١٤١٥هـ، ج ١، ٤٦]. فقد عدَّ الله سبحانه المنفقين من المتقين الذين ثبتت لهم التقوى بإخلاصهم لله سبحانه وحذرهم من الشرك وكل فعل ذميم فهو لاء يكونون على استقامة وتوفيق من ربهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بالجنة المتقين باتصالهم بالله لا يخافون من إنفاق المال فهم ينفقونه سرّاً وعلانية وفي كل وجه من الوجوه فأصبح الإنفاق من

مميزاتهم، ولذا مدحهم الله تعالى ورفع مكانة المحسنين منهم بقوله عز وجل ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهذه إحدى صور التشويق للإنفاق.

٢ - قوله سبحانه: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة، ١٩٥]. قال النسفي في تفسير هذه الآية: (والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله، لأنه سبب الهلاك، أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر ويضيع عياله) [النسفي: ١٤١٩هـ، ج ١، ١٦٧]. ومن آداب النفقة الاقتصاد فيها وعدم الإسراف. فقد مدح الله سبحانه وتعالى المعتدلين في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان، ٦٧].

لذا يجب على المسلم مواجهة طبيعته البشرية التي تحرص على المال كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر، ٢٠] وترويض نفسه على البذل والعطاء وبذلك ينجو من فتنة المال التي تجعل صاحبها عبداً له في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تعس عبد الدينار والدرهم﴾ [البخاري: ١٤٢٢هـ، حديث رقم ٢٨٨٦]. لذا ؛ فإن من فضائل الإنفاق: التغلب على شهوة النفس.

٣ - قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، ٢١٥]، قال مقاتل بن حيان (هذه الآية في نفقة التطوع) وقال السددي: نسختها الزكاة. ومعنى الآية يسألونك كيف ينفقون، قاله ابن عباس ومجاهد. فبين لهم تعالى ذلك. فقال: قل ما أنفقتُم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، أي أخرجوها في هذه الوجوه ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾. أي مهما صدر منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيجزىكم على ذلك أوفى الجزاء. [ابن كثير، ١٤١٩هـ، ج ١، ٤٢٨].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية: عن ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان شيخاً كبيراً ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا نتصدق؟ وعلى من ننفق؟ فنزلت هذه الآية الواحدة. [على بن أحمد ١٤١١هـ، ٦٧-٦٨].

في الآية إجابة لسؤال المؤمنين للنبي صلى الله عليه وسلم فقدّم الله الوالدين في الإنفاق ولا سيما المحتاجين منهما لأن الإنفاق عليهم من أسباب البر والصلة ثم ذكر الأقربين وقدّم حقهم على اليتامى والمساكين وذلك لأن الصدقة على الأقارب المحتاجين أفضل وتعدّ من صلة الرحم، فقد ذكر في حديث سلمان بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلّة) [النسائي، ١٩٨٦م، حديث رقم ٢٥٨٢]. فمن آداب الإنفاق تقديم ذي القربى لأن الأقربون أولى بالمعروف وهو أدعى لإيجاد المودة والصلة.

٤ - قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كُنْ لَكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة، ٢١٩].

العفو : هو ما زاد عن الحاجة أي الفضل. ويعتبر إنفاق (العفو) إنفاقاً في سبيل الله لأنه يقصد به وجه الله، كما يعد من الأسس المهمة لبناء المجتمع في مختلف مجالات التكافل الاجتماعي والاقتصادي (بل يمكن القول بأنه كان أحد الابتكارات المؤسسية الاجتماعية التي جسدت الشعور الفردي بالمسؤولية الجماعية ونقلته من مستوى الإهتمام الخاص الى الإهتمام العام تجاه المجتمع والدولة معا) [عبد السلام، ١٩٩٤م، ١٧].
(قال القرطبي: العفو: ما سهل وتيسر وفضل ولم يشق على القلب إخراجاه فالمعنى أنفقوا ما فضل على حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة. هذا أولى ما قيل في تأويل الآية) القرطبي، ١٩٦٤، ج ٣، ٦١].

٥ - قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة، ٢٤٥].

القرض في اللغة هو القطع. قال القرطبي: (القرض في هذه الآية إنما هو تأنيس و تقريب للناس بما يفهمونه ، والله هو الغني الحميد. لكنه تعالى شبه عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو به ثوابه في الآخرة بالقرض) القرطبي، ١٩٦٤، ج ٣، ٢٤٠].
وفي الآية حث على الصدقة وإخراج المال للفقراء وذي الحاجة كما تدل على عظم ثواب المقرض لما في القرض من التوسعة على المسلم والتفريج عنه فلذا عبّر الله سبحانه عنه بقوله ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ أي غير محدودة ولا نهاية لها. وهذا وعد الله الحق للمنفق وهو الأجر الدنيوي أما الأجر في الآخرة فقد ذكره تعالى في آيات كثيرة.

منها:

وعد الله سبحانه عباده بالمغفرة كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]. وأحياناً بذكر الأجر ﴿إِنْ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد، ١٨].

وفي بعض الآيات يذكر نوعية الأجر بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة، ١٢].

وهذا الجزاء فيه وعد بتكفير السيئات وله وقع حسن في النفس التي ترنو الى مثل هذا الجزاء. وكذلك من الجزاء الأخروي للمنفق ما ذكره الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفْهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد، ١١-١٢].

ففي هاتين الآيتين (ما يحفز المنفق على الإسراع بهذا النوع من العطاء ليحصل على هذا النعيم الأبدي... وأي نور هذا الذي يميزهم عن بقية الناس في ذلك اليوم؟ إنه نور جلهم الله به وأصفاه عليهم وهل يكتفي العلي القدير بهذا القدر من الجزاء؟... يناديهم المنادي ويبشرهم بهذه الجنات جزاء عملهم، وقد شهد الله لهم بأن ذلك هو الفوز العظيم) [بحر العلوم، ١٤٠٨هـ، ٧٧].

والقرض الحسن المذكور في الآيات السابقة الذكر هو الذي أخرجه صاحبه بطيبة نفس من غير من ولا أذى ولا رياء ولا كارهاً له.

ويكون منشراح الصدر مسروراً عند إنفاقه مبتهجاً ولا يكون كالذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا مَتَّعَهُمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ وهذا من آداب الإنفاق التي أمر الله بها. [التوبة، ٥٤].

٦- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة، ٢٥٤].

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية (ظاهر الأمر في قوله: أنفقوا: الوجوب... وقيل ان هذه الآية تجمع زكاة الفرض والتطوع ... أي أنفقوا ما دمت قادرين من قبل أن يأتي ما لا يمكنكم الإنفاق فيه وهو يوم لا بيع فيه، أي لا يتبايع الناس فيه، ولا خلة والخلة: خالص المودة) [الشوكاني، ١٤١٥هـ، ج ١، ٣٤٣].

وفي هذه الآية يأمر الله سبحانه وتعالى بالصدقة قبل فوات الأوان بمجيء يوم القيامة فيندم على تفریطه في حق الله ويتمنى لو أمهل كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ لَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة المنافقين، ١٠]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل) [عتريس، ٢٠٠٢، ١٩١].

تحت الآية المؤمنين على المسارعة في الإنفاق وفعل الخيرات. ولو تمعنا في سياق الآية فإننا نجد أن الأساليب القرآنية تتنوع في معالجة النفس البشرية، فتارة يرغب الله سبحانه وتعالى في الإنفاق بالإخبار عن فوائده وتحقيق النفع للمجتمع وللمنفق بالجزاء الأوفى في الآخرة، وتارة أخرى يتجه إلى غريزة الخوف فيرهّب من التقاعس عن الإنفاق سواء بمنع الزكاة أو التكاثر عن أدائها كما في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة، ٣٤-٣٥]. وهذه إحدى الطرق التي سلكها القرآن الكريم للحث على الإنفاق.

٧- قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، ٢٦١].

ذكر الواحدي سبب نزول هذه الآية فقال: قال الكلبي: (نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فأما عبد الرحمن بن عوف فإنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة. فقال: كان عندي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسي

ولعليالي أربعة آلاف درهم. وأربعة أقرضتها ربي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بارك الله لك فيما أمسكن وفيما أعطيت". أما عثمان رضي الله عنه فقال على جهاز من لا جهاز له في غزوة تبوك فجهز المسلمين بألف بعير. فنزلت فيهما الآية [الواحد، ١٤١٢هـ، ٨٧].

فقد رغب الله سبحانه وتعالى في الإنفاق فحُضِرَ مثلاً للنفقة وشبهها بالحبّة الواحدة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فبين أنه يضاعف له الأجر بإنفاقه (فالإنسان دائماً بحاجة إلى الأجر والثواب كما هو بحاجة إلى المال، لذا كانت الدعوة إلى الإنفاق فيبادر العاقل إلى مصلحة نفسه ابتغاءً لهذا الأجر) [الطهطاوي، ١٤٢٥هـ، ج ١، ٢٢٢].

٨- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، ٢٦٢]

(المن هو ذكر النعمة على الغير وتعدادها، وقد ذكر العلماء أنه من الكبائر ويبطل ثواب الصدقة) [الموسوعة الفقهية الكويتية، ١٤١٢هـ، ج ٣٩، ١٣٢].

وكما نص القرآن الكريم على بطلان ثواب الصدقة بالمن والأذى. وبين فضل الإنفاق بمضاعفة الثواب كذلك أخير بأن الإنفاق الذي يخلو من هاتين الصفتين سيوفي الله المنفقين أجرهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمور الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا، وهذا يعني أن الذين يتبعون الإنفاق بالمن والأذى ليس لهم عند ربهم أجر ولا أمن من الخوف والحزن. فالبعد عنهما من آداب الإنفاق. ثم شبه الله سبحانه الذي يتبع صدقته بالمن والأذى كالمرائي الذي ينفق ليتني عليه الناس لا لوجه الله وبالكافر الذي لا ينفق بسبب عدم إيمانه.

٩- فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة، ٢٦٤].

وهنا ذكر الله سبحانه حكم الصدقة التي يتبعها المن والأذى ومثل المنفق المنان بصفوان - وهو الحجر الأملس - الذي يظنه الراي أرضاً خصباً للزراع فإذا نزل عليها المطر

أذهب ما بها من تراب فيبقى صلباً: أي صلباً لا ينبت - فكذلك المنان ينكشف أمره في الآخرة كما يكشف المطر الحجر الأملس.

وقد رهب النبي صلى الله عليه وسلم من المَن. فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مراراً قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) [مسلم، حديث رقم ١٠٦].

١٠ - قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة، ٢٦٥].

شبه الله سبحانه الذين ينفقون أموالهم طلباً لرضا الله وثقة منه بصدق وعد الله بالثواب العظيم ببستان بأرض طيبة عالية هطلت عليه أمطار غزيرة فأحيتها وأخصبتها وتضاعفت ثمراتها، وإن لم تكن أمطار غزيرة فرذاذ المطر وحده يكفي لمضاعفة الثمرة، فكذلك نفقات المخلصين الذين يبتغون مرضاة الله يضاعف الله ثوابها قلَّت أم كثرت. وهذه سمات المتقين الذين يخلصون الأعمال لوجه الله الكريم ويتأدبون بالآداب الإسلامية للإنفاق وهو ابتغاء وجه الله والبعد عن الرياء فإذا انتهى ذهب الثواب.

قال ابن القيم رحمه الله (المنفق تعترضه عند انفاقه آفتان.... إحداهما: طلبه بنفقته محمدة أو ثناء أو غرضاً من أغراضه الدنيوية. والآفة الثانية: ضعف نفسه وتقاعسها وترددتها، فالآفة الأولى تزول بابتغاء مرضاة الله والثانية تزول بالتنشيط) [ابن القيم، ١٩٤٨م، ج ١، ١٦٠]. وهذا الأدب خاص بالهدف وهناك آداب خاصة بالمال المبذول وهو أن يكون طيباً لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

١١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة، ٢٦٧].

أوجب الله سبحانه على المؤمنين اختيار الجيد من الأموال عند إنفاقها في سبيل الله سواء كانت زكاة أم صدقات لأن الهدف هو التقرب إلى الله وذلك لا يتحقق إلا بالطيب

الأموال، فعلى المؤمن المتصدق أن يتأدب بالأدب الإسلامي ويتعدى عن كل ما يذهب ثوابها وثمرتها. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر صاع من تمر، فجاء رجل بتمر ردئ فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [الواحد، ١٤١هـ، ٩٠]. وفي الآية نهي صريح عن قصد إنفاق الخبيث والردئ من الأموال المتصدق بها والذي إذ قدم إليه مثله لا يأخذه الا بالتساهل وغض البصر وعلى حياء؛ فكيف يؤدي منه حق الله تعالى؟ ولهذا كان لا بد للمؤمن مراقبة الله سبحانه ولا سيما أن أعمال الإنسان كلها يعلمها الله ولا يغيب عنه شيء كما في قوله تعالى:

١٢ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة، ٢٧٠].

وتشمل النفقة: الزكاة والصدقات أو التطوع بالمال للجهاد أو الإنفاق على الفقراء والمساكين وغيرهم. أما النذر فهو ما يوجبه المنفق على نفسه لسبب من الأسباب ويشترط فيه كذلك أن يكون خالصاً لوجه الله وفي سبيله. وعندما يشعر المؤمن بأن الله يراقبه فإنه يتعدى عن الشح والبخل والرياء والخوف من الفقر وكل ما من شأنه أن يحبط ثواب عمله فيطمئن على الجزاء ويشعر بالرضا تجاه ما قام به من أعمال قصد بها وجه الله.

وكذلك من شروط الإنفاق إخفاء الصدقة والإسرار بها لأن ذلك يبعدها عن الرياء كما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ: اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ، وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) [مسلم، حديث رقم ١٠٣١].

إذاً أن من فضائل الصدقة أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة.

ويرى سيد قطب: (أنه قد يكون إظهارها فيه خير فقط في الفريضة وفي كلا الحالتين تجلب الخير لصاحبها بتكفير السيئات) [سيد قطب، ١٤٢٣هـ، ٣٧٠]. ويمكن إعلان

الإنفاق في المصالح العامة كنفقة التطوع وفي تجهيز الغزاة للجهاد وبناء المدارس والمشافي بهدف ترغيب الآخرين كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة، أما الصدقة على الفقراء والمساكين فإسرارها أفضل حفاظاً على كرامتهم ومراعاة لنفسيتهم.

رغب الله سبحانه وتعالى في الإنفاق وأخبر أن النفع يعود للمتصدق نفسه كما في قوله: ١٣- ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة، ٢٧٢].

فالمؤمن الحق لا ينفق لغرض دنيوي دنئ كالرياء وإرضاء البشر فما دام أنه يقصد به وجه الله. فقد طمأنه الله بأنه سيوفيه ثوابه كاملاً من غير نقصان ووجه المنفقين إلى قصد المحتاجين المنفقين بالنفقة.

١٤- قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، ٢٧٣].

وبعد أن ذكر الله سبحانه في الآيات السابقة شروط وآداب الإنفاق والترغيب فيه والترهيب من عدمه والشح، رغب في الإنفاق في جميع الأحوال والأوقات.

١٥- فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، ٢٧٤].

فهؤلاء لهم أجرهم عند الله بمضاعفة المال وجعل البركة فيه كما قال صلى الله عليه وسلم (ما نقص صدقة من مال ..) القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع حديث رقم ٢٥٨٨

أما الثواب العظيم في الآخرة أنهم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا يصيبهم خوف يوم القيامة ولا يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا.

١٦- قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُزِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة، ٢٧٦].

قال الطبري: (يعني عز وجل بقوله: ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ ينقص الله الربا فيذهب... وأما قوله: ﴿يُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ فإنه جل ثناءه، يعني أنه يضاعف أجرها ويربها ويمنيها له) [الطبري، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ١٥].

كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (إن الله عز وجل يقبل الصدقة ولا يقبل منها إلا الطيب ويربها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد) [البخاري، حديث رقم ١٤١٠].

الخاتمة:

إن إنفاق الأموال في سبيل الله من أشرف الأمور التي لا بد أن يتداركها المؤمن. ومن فضل الله ورحمته على عباده أن شرع لهم من الدين ما يقربهم إليه فيكون سبباً في دخولهم الجنة والنجاة من النار. كما حث النبي صلى الله عليه وسلم على التصديق والإنفاق.

وبتتبع الآيات الواردة في سورة البقرة والتي تناولت الإنفاق والحث عليه. توصلت الباحثتان الى النتائج الآتية:

١. تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحث على الإنفاق مثل الترغيب والترهيب.
٢. يساهم الإنفاق في حل مشاكل المجتمع الاقتصادية والاجتماعية فيكون سبباً لازدهار المجتمعات ورفقها.
٣. الإنفاق سبب في تركية النفس وتطهيرها وإزالة البغضاء بين أفراد المجتمع وتقوية العلاقات بينهم.
٤. الإنفاق بركة للمال وتركته ووقاية للإنسان من المصائب الدنيوية والأخروية.
٥. ولا ندعي أن ما توصلنا إليه هو خاتمة المطاف فنترك للباحثين السعي لتقديم ما لديهم من أفكار لتطوير البحث العلمي للنهوض بالأمة الإسلامية.

المراجع:

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، ١٩٤٨م، التفسير القيم. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢. ابن علان، محمد على بن محمد، ١٤٢٥هـ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١.
٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٤١٩هـ، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر للطباعة بيروت، لبنان، ط ١.
٤. أبو عيسى، محمد بن عيسى، ١٩٩٨م، سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ
٥. بحر العلوم، عز الدين السيد، ١٤٠٨هـ، الإنفاق في سبيل الله، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط ١.
٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٢٢هـ، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، دمشق، ط ١.
٧. الزحيلي، وهبة مصطفى، د.ت، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، سوريا، دمشق، ط ٤.
٨. الشاذلي: سيد قطب، ١٤٢٣هـ، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ١.
٩. الشوكاني، محمد بن علي، ١٤١٥هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١.
١٠. الطبري، محمد بن جرير ١٤٢٠هـ، جامع البيان في تأويل آي القرآن مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١.
١١. الطهطاوي، علي أحمد، ١٤٢٥هـ، عون الحنّان في شرح الأمثال في القرآن، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان ط ١.
١٢. عبد السلام، مصطفى محمد، ١٩٩٤م، التكافل الاجتماعي في الإسلام (انفاق العفو نموذجاً) الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، ط ١.
١٣. عتريس، محمد، ٢٠٠٢م، شرح معاني جزء قد سمع، الدار الثقافية للنشر، مصر، ط ١.
١٤. القرطبي، محمد بن أحمد، ١٩٦٤م، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢.

١٥. القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦. مصطفى، إبراهيم وآخرون، بدون تاريخ، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة.

١٧. النسائي، أحمد بن شعيب، ١٩٨٦م، السنن الصغرى، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢.

١٨. النسفي، عبد الله بن أحمد، ١٤١٩هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط١.

١٩. الواحدي، على بن أحمد، ١٤١٢هـ، أسباب نزول القرآن، دار الإصلاح، الدمام، ط٢.

٢٠. وزارة الشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت، بدون تاريخ.

الدوريات

٢١. خليفات، عدنان، ١٤٣٥هـ (حديث القرآن عن الإنفاق)، مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد الأول، العدد الأول، جامعة العلوم الإسلامية العلمية، الأردن.

المواقع

٢٢. الغامدي، عبد الله بن أحمد، بدون تاريخ، داووا مرضاكم بالصدقة - موقع صيد الفوائد

٢٣. وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ٢٠١٢ م - موقع السكينة.

القصة التربوية في القرآن الكريم (الحكمة والموعظة)

د. عبد القادر آدم حسن مكي^(١)

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على القصة التربوية في القرآن الكريم، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تتبع الحكمة من القصة في القرآن الكريم، ولقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن القصة تتفرد بخصائص ومميزات لا توجد في أي نوع آخر من القصص، وعن طريقها أيضاً يمكن نقل صورة حيّة لحياة الأمم الباسقة كما تتميز بالواقعية. كما أوصت الدراسة بعدد من التوصيات أهمها: استخدام الأجهزة والآلات والأدوات الحديثة في المجال التربوي لتقديم قصص ذات محتوى لتخدم الفكر الإسلامي.

مقدمة

ليس من المبالغة في شيء أن ندعي أن حياة الإنسان - أي إنسان - حياة قيمة، بمعنى أن كل إنسان يسير في حياته وفق مجموعة من قيم التربية، ثم ترتيبها على نحو معين، بحيث تحكم تصرفاته في هذه الحياة، وعلاقته بالناس والأشياء، وتتحدد في ضوئها ملامح شخصيته، التي يعرف بها بين الناس، إذا سلمنا بأن حياة الإنسان حياة قيمة، فإننا لا بد أن نقول هذه التربية تنتقل الإنسان من خلال احتكاكه بالكبار في مجتمعه، فمن خلال هذا المجتمع، وتفاعل الإنسان معه، تتشكل لديه مجموعة من القيم التي توجه حياته.

وإذا ما فتشنا وراء القيم وحركتها وتشكيلها سريانها في مجتمع ما، وجدنا لها مصدراً واحداً رئيساً، هو الدين السائد فيها، سماوياً كان هذا الدين أو وضعياً، وسواء كان هذا قد نزل على من السماء، (ليحمل) الناس على حياة لم يألفوها، ولم يكونوا يعيشونها، رحمة من الله بعباده، بعد أن قادهم ما ألفوه من أنماط حياة إلى تدمير للنفس، وتدمير للحياة. ومن المعروف أن القصص القرآني ليست مجرد سرد قصص بطريقة متناسقة وجميلة بل وهي أيضاً حقيقة إلا إن بعض الناس قد ينظرون إليها بأنها قصص غير متناسقة وقد تم رفض هذا الكلام لما في القرآن من دقة في سرد القصص وعدم الخروج عن

(1) أستاذ مساعد: جامعة دنقلا، كلية التربية مروي، قسم العلوم التربوية

موضوعها الأساسي وهذا يتنافي مع من يقول إنها غير متناسقة أو غير دقيقة، وبالنظر لجميع القصص الواردة في القرآن هي حقيقة والدليل على ذلك هو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة وقد أثبتت الكثير من الحقائق لتجعل الباحثين فيها يعلنوا إسلامهم (عبود: ١٩٩٦م: ٥).

مشكلة البحث:

نبعت مشكلة البحث من خلال تأملات الباحث في قراءة القرآن الكريم حيث لاحظ الباحث أن هناك الكثير من القصص القرآنية التي تهدف إلى الموعظة والحكمة والتربية السليمة ومن هنا جاءت مشكلة الدراسة.

أهمية الدراسة:

تمكن أهمتها في الآتي:

• إيضاح أسس الدعوة إلى الله وبيان أصول الشرائع التي بعث الله بها كل نبي قال سبحانه وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥].

• تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب أمته على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وأهله وخذلان أعدائه قال سبحانه **وَلَا نَقْصُ** عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [هود: ١٢٠].

• تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

• إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر عنه من أحوال الأمم الماضية.

• إقامة الحجة على أهل الكتاب فيما كتموه من البنيات والهدي وتحديدهم بما كان في كتبهم قبل تحريفها وتبديلها كقوله تعالى **وَلَا نَقْصُ** عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [آل عمران: ١٢٠].

• حصول الاعتبار في القصص القرآني قال سبحانه وتعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ

وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [يوسف: ١١١]. وقال تعالى: (فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الأعراف: ١٧٦].

أهداف البحث:

١. بيان الحكمة والموعظة والتربية السليمة من القصة في القرآن الكريم.
٢. وسيلة تعليمية في بيان مقاصد التربية الإسلامية للأجيال اللاحقة.
٣. التعرف على الدور الذي تلعبه القصص القرآني في غرس القيم التربوية في نفوس الناشء.

منهج الدراسة:

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي، وذلك من خلال تتبعها في القرآن الكريم.

تمهيد:

القص لغةً: تتبع الأثر وكذلك القصص ومنه قوله تعالى: (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) [الكهف: ٦٤] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاء به وقوله تعالى: أيضاً في قصة موسى عليه السلام (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [القصص: ١١] أي تتبعي أثره حتى تنتظري من يأخذه وكذا اقتص وتقصص، فالقاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها وذلك القصص. وهذا في الغالب عبارة عن يروي أخبار الماضين. وهذا لا يذم لنفسه، لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر، وعظة لمزدجر، واقتداء بصواب لمتبع وقد قال الله عز وجل: (نحن نقص عليك أحسن القصص) [يوسف: ٣]. وقال: (إن هذا هو القصص الحق) [آل عمران: ٦٣]. (ابن منظور ١٨٨٣: ٣٦٥).

والقصة: الأمر والحديث وقد اقتص الحديث رواه على وجهه والقصص بالكسر جمع القصة التي تكتب وفي القرآن سورة القصص (ابن منظور، ١٨٨٣: ٣٦٥).

حكم القصص القرآنية:

من حكم القصص بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صورة مختلفة والقصة المذكورة في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر وتصاغ في قالب غير القالب ولا يمل من تكرارها بل تتجدد في نفسه معان لا

تحصل له في المواضع الأخرى، أما قوة الإعجاز في إيراد المعنى الواحد بصورة متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها، أبلغ في التحدي. الاهتمام بشأن القصة لتمكين عيبرها في النفس فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل. مع أن القصة لا تتكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها. اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب مقتضيات الأحوال.

أنواع القصص القرآنية:

للقصص القرآنية أنواع ثلاثة

الأول قصص الأنبياء: وقد تضمنت دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها ومواقف المعاندين منهم ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين كقصة نوح وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

الثاني قصص تتعلق بحوادث غابرة: كقصة طالوت وجالوت وابني آدم وأهل الكهف وذو القرنين وقارون وأصحاب السبت ومريم وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل وغيرهم. الثالث قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كغزوة بدر وأحد وحنين والأحزاب والهجرة والإسراء ونحو ذلك. ولا تخرج القصص القرآنية عن هذه الأنواع الثلاثة.

مزايا القصص القرآنية:

تمتاز القصص القرآنية بمزايا تتفرد بها عن القصص الإنساني من ذلك أن:

١. القصص القرآني هو أصدق القصص قال تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) [النساء: ٨٧] وقال عز وجل: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصُّ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: ٦٢].

٢. القصص القرآني أحسن القصص قال سبحانه وتعالى: نَحْنُ نُقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ [يوسف: ٣].

٣. القصص القرآني هو أنفع القصص قال عز وجل (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف: ١١١] وذلك لقوة تأثيرها لغوياً في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

٤. علاوة على ذلك فإن القصص القرآني يمتاز بسمو الغاية وشريف المقصد وصدق الكلمة والموضوع وتحري الحقيقة بحيث لا يشوبها شائبة من الوهم والخيال أو مخالفة الواقع.

عناصر القصص القرآنية:

لا بد لأي قصة من أن تقوم على عناصر معينة تشكل بنيانها وعناصر محددة تحكم بنائها بحيث تستقيم في مقياس النقد الأدبي ويطلق عليها مسمى القصة. والقصة القرآنية لا تخرج عن هذا الذي تقرر إذ أنها من حيث الجملة تتحدد من خلال ثلاثة عناصر رئيسة هي: القالب والمضمون والزمان والمكان والأسماء والمسميات، ونتحدث عن كل عنصر من هذه العناصر باختصار شديد (عبد المجيد، ١٩٦٦: ٢٠).

بخصوص عنصر القالب والمضمون فإن القصص القرآني يستدعي الحدث التاريخي من أعماق الزمن ويجمعه من وجوه الأرض ليعرضه على الحياة من جديد في مقام العظة والعبرة وبعبارة أخرى فإنه يبعث الحدث التاريخي بعثاً من جديد يجعله حياً بعد أن كان ميتاً كل ذلك بأسلوب شائق ومضمون فائق، أما بخصوص عنصر الزمن فإن لكل قصة في القرآن زمنها الخاص بها وعنصر الزمن في القصة القرآنية زمن مطلق من كل قيد إلا قيد الماضي فليست لهذا الزمن حدود تحده بل حدث مضي وانتهى، وقل الشيء نفسه بخصوص عنصر المكان فالقصص القرآني لا يلتفت إلى المكان ولا يجري له ذكر إلا إذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في سير القصة أو يبرز ملامحه أو يضم شواهد العبرة والعظة كما في قصة الإسراء حيث ذكر القرآن مكان أحداثها للاعتبارات المتقدمة أما إن لم يكن للمكان أي اعتبار من الاعتبارات المتقدمة فإن القرآن لا يلتفت إلى ذكر المكان كما في قصة أصحاب الكهف (بلبول، د.ت: ٣٢).

أما بخصوص عنصر الأسماء والمسميات فإن القرآن إذا ذكر في قصصه أسماء الأشخاص فإنما يذكر شخصية تاريخية معروفة كذكره أسماء الأنبياء وذكر بعض الأسماء التي تحدث دعوة السماء كفرعون وقارون وهامان وغيرهم وهناك شخصيات لم يذكر القرآن اسمها ولم يكشف عن وظيفتها الاجتماعية في الحياة بل اكتفى بذكر بعض

ما لها من صفات نفسية أو روحية كصاحب موسي (الخضر) وصاحب سليمان، وقد يعرض القرآن بعض الأسماء مجردة من أي صفة مثل (رجل) (قريّة) فهذه الأسماء تكررت لا تدعو ضرورة إلى تعريفها لأنها لا تؤدي دورها في الحدث القصصي باعتبارات خاصة بميزة لها، وإنما مثل عام لجنسها وهذا يفيد أنه من العبث الجري وراء معرفة أسمائها أو تحديد صفاتها (التهامي: ١٩٧٦، ٣٤٨).

وعلى الجملة فإن الله تعالى: لقصه علينا القصص القرآني يشير إلى بعض الحقائق الكونية الجارية حتى قيام الساعة لأننا عندما ننظر إلى العناصر التي يستعملها القرآن نراها غير مختصة بزمن معلوم أو مكان معلوم أو شخص معلوم. هذا هو المنتظر أصلاً. فالحوادث التي ذكرها القرآن تتكرر على مر الزمن تحت صور مختلفة ولكن بالماهية نفسها.

ومن هنا نجد عناصر الأحداث والأشخاص والحوار مجتمعة في كل قصة قرآنية، وموزعة التوزيع الذي يجعل لكل عنصر منها قيمة وخطره في القصة بحيث لو اختفى اختل التوازن الفني، وأنهى ركن من أركان البناء القصصي، لأن هذه الأشياء، إنما تتطلب في الرواية وفي القصة الطويلة (خلف الله: ١٩٥٧، ٦٣).

وجملة القول أن القصة القرآنية سلمت من طوارق الخيال، فلم تتعرض لها في أية حلقة من حلقاتها ولا جزئية من جزئياتها، والقصص القرآني يعتمد اعتماداً كلياً على الحقيقة، فهو يختلف عن القصة الأدبية التي لا تلتزم تلك الحقيقة. وخلاصة القول أن عناصر القصة في القرآن، يمكن تفصيل القول فيها على النحو التالي:

أولاً الأشخاص: حيث يقوم العمل القصصي على محورين، هما الشخصية والحدث ويلاحظ في القصص التاريخي غلبة الشخصية على الحدث، فيكون الشخص هو محور الحركة في القصة (الخطيب: ١٩٦٤: ٤٢).

الشخصيات في القصص الأدبي من صنع الكاتب، ومن مواليد خياله، ومن هنا لا يكون للكشف عن أسمائها أثر في وجودها، الذي أقامها الكاتب عليه. وهذا من شأنه أن يضعف الإحساس بوجود الشخصية في الدور الذي تمثله، ولهذا فإن الصفات - لا الأسماء هي التي تحدد معالم الشخصية هنا، أما في القصص القرآني، فالوضع مختلف تماماً، حيث إن كل مواده - من أناس وأشياء وزمان ومكان - كلها من الواقع المصفي

وترد الشخصية في بعض القصص القرآني محوراً تدور حوله الأحداث، فتؤثر فيها وتتأثر بها والقرآن لم يبرز هذا العنصر لذاته، ولكن للتأسي بالشخصية والخبرة والتفكير من الشخصية الشريرة. لذلك لم يعن القرآن الكريم برسم الخطوط الشكلية للشخصية، وإبراز ملامحها الخارجية، كما يفعل بعض المولعين بالقص، وإنما بالكشف عن مزاج الشخصية (التهامي: ١٩٧٦، ٣٦).

لقد أفاض القصص القرآني في ذكر الشخصيات علي ألوان متعددة، فرأينا شخصيات الرجال فيه تسيرها المصالح العامة والنزاعات النفسية والأهواء، أما شخصيات النساء فكانت تسيرها العواطف والغرائز. وأبرز ما يلاحظ في التصوير الفني للشخصية بصفة عامة فيه الدقة في حكاية أقوالها، والعمق في التعبير عن مشاعرها وصدق الترجمة الباطنية عن خواطرها.

مذهب القرآن في رسم الأشخاص وتصويرها، هو المذهب غير المباشر، وهو الذي يذهب فيه القاص إلى عرض الشخوص في تفكيرها وأعمالها وحركاتها، والقرآن يختار من مواقف شخصياته ما يتفق وأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ليثبت نفسه ويسري عنها، ما ألم بها من حزن وألم (خلف الله: ١٩٥٧، ٢٥٨).

كما أنه يختار من أحوالهم ما يجري على ألسنتهم، ما يبين عقائد الدعوة الإسلامية، ويؤيد مبادئها، والشخصيات في القصص القرآني ليست مقصودة لذاتها، وإنما المقصود هو الحدث الذي جرت حوله القصة، لأن الهدف من سياق القصة هو العبرة والعظة، وليس المراد من سياق القصص هو تجميد الشخصيات، أو ذكر أوصافها، أو التنديد بأفعالها، فالقرآن الكريم حينما يصف الشخصيات، إنما يعرضها كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيرية، كما اعتنى القصص القرآني بحكاية ما جاء على لسان الأنبياء لأقوامهم، وبتوجيهاتهم وسيرتهم ومواقفهم، حتى يكونوا للمؤمنين بهديهم والعالمين بإرشادهم المثل الأعلى الصادق (التهامي: ١٩٧٦، ٥٨).

يرى الباحث أن في القصص القرآني مواقف موحية، تترك في النفس أثراً عميقاً، ومن هذه المواقف يمكن إبراز بعض القيم الإسلامية السامية، التي يمكن غرسها في نفوس الأفراد والقرآن الكريم ما وجه إلى الاقتداء بالشخصية المثالية الخيرة، وما تتصف به من فضائل وقيم.

ثانياً: الأحداث: فالصلة بين الحوادث والشخصيات في القصة، أقوى من أن يدلل عليها، لأنهما العنصران الرئيسان في القصة، وهناك نوع من الأحداث يكون نتيجة القضاء والقدر في القصة، فقد يجيء الرسول فيكذبه قومه، ويطلبون منه أن يأتي بالآيات البينات، التي تدل على صدق دعوته، وبالرغم من ذلك.

• مقاصد القصص القرآنية وأغراضها: بيان حكم الله عز وجل فيما تضمنته هذه القصص من أحكام قال عز من قائل (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ) [القمر: ٤-٥].

• إثبات رسالة النبي صلي الله عليه وسلم فان أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) [هود: ٤٩]، وقال تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) [إبراهيم: ٩].

• القصص ضرب من الأدب يصغي إليه السامع وترسخ عبرة في النفس (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف: ١١١].

٤. بيان أن المعاصي سبب هلاك الأفراد والأمم والشعوب (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيِظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت: ٤٠].

المقصد الرئيس من القصص القرآنية هو الإطلاع على أخبار الأمم السابقة والقرون الماضية ليطلع المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وهذا يعني أن القصد من القصص القرآني ليس السرد والرواية وإنما تحمل تلك الأخبار والقصص من مواعظ وعبر ترشد قارئها إلى إتباع سبيل الفلاح والرشاد وتجنبه طرق الزيغ والضلال بهلاك الأولين قال أبو عبيد: إن القصص التي قصها الله تعالى: عن الأمم الماضية وما عاقبهم به الله ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين؛ وإنما حديث حدث به عن قوم وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم، فيحل بهم ما حل بهم وقريب من هذا

ما ذكره ابن عاشور من أن مقاصد القرآن من ذكر القصص الماضية أن يعتبر بها المسلمون في الخير والشر.

التكرار في القصص القرآنية:

التكرار في القصص القرآني ظاهرة واضحة ملفته للنظر وداعية لكثير من التساؤل والبحث، وعلى الجملة فإن التكرار في القصص القرآني لم يأت عبثاً من غير طائل بل جاء لغايات محددة وقد ألف قاضي الجماعة ابن جماعة كتاباً سماه المقتصر في فوائد تكرار القصص وذكر في تكرار القصص جملة فوائد:

١. إنَّ في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الشيء الذي قبله أو إبدال كلمة بأخرى كنكتة وهذه عادة البلغاء، وقد فصل الزركشي هذه النقطة بقوله: القصة الواحدة وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ فإن كل واحدة لا بد وإن تخالف نظيرتها من نوع معني زائد فيه لا يوقف جوانبها أو تجسم صورة من صورة أو تكمل حدثاً من أحداثها.

٢. إن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة، وقد عبر عن هذه الفائدة الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن بقوله: إن إعادة القصة والواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة وهو بهذا يريد أن يقول: عرض الموضوع الواحد بأساليب مختلفة من غير أن تتغير معالمه ودون أن يضعف أسلوب عرضه وهو من العسير الذي لا يقدر عليه إلا من كان ذا ملكة بيانية واقتدار بلاغي.

٣. أعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ونبهوا أي العرب بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله فيبدأ مكرر وهو بهذا يريد أن يقرر أن من صور التحدي الذي عجز عنه العرب إزاء القرآن عرض القصص القرآني عرضاً متفاوتاً بين الطول والقصر وقد وسع عليهم فهذا مجال المعارضة ، فلم يكن إلا العجز وقد صح إن دارس القول سبب في تكرار القصص القرآني.

٤. إن النفوس جبلت على حب التغيير والتنويع والسامة من المعاد المكرر على هيئة وشاكلة واحدة فراعي الأسلوب القرآني هذا الجانب في النفس البشرية فنوع في أسلوب عرض هذه القصص كي لا تمل النفوس التكرار ولا تسام منه أما التكرار مع التلوين في

القصص، فهو أسلوب من أساليب التعلم وطريقة من الطرق التي اتبعها القرآن، وهي التعبير عن معني معين، أو قضية معينة، بعبارات متعددة، وإثباتها بوجوه متعددة لقد ذكرت قصة موسى عليه السلام في ثلاث عشرة سورة ولا شك أن هذا النوع من الأسلوب يهدف إلى تدعيم المعاني وتأكيداها في القلوب (النجار: ٢٧: ١٩٨١).

فوائد القصص القرآنية:

ذكر العلماء فوائد عديدة من اعتماد أسلوب القصة بل الإكثار منه.

١- إن الإنسان إنما بدأ يتدرج في مراتب الحضارة من خلال اعتماده على تجارب الماضين من أبائهم وأجداده فتلافي ما وقعوا فيه من أخطاء وعمل على تطوير ما توصلوا إليه من تجارب التاريخ مرآة تنعكس عليها جميع ما للمجتمعات من محاسن ومساوئ وورقي وانحطاط والعوامل بكل منها. وعلى هذا فإن مطالعة تاريخ الماضين تجعل عمر الإنسان طويلاً بقدر أعمارهم تحت تصرفه واختياره ولهذا يقول الإمام علي عليه السلام في حديثه التاريخي خلال وصاياه لولده الحسن المجتبي في هذا الصدد أي بني إني وإن لم أكن عمريت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في أثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إلى من أمورهم قد عمريت من أولهم إلى آخرهم وهذا هو تفسير المراد من العبرة في قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف: ١١١] والتاريخ الذي نتحدث عنه هو التاريخ الخالي من الخرافات والأكاذيب والتملق والتحريفات والموسخات.

٢- إن القرآن نزل للتأثير على النفوس وما من شيء أشد أثراً على النفوس من أسلوب القصة ولذا اعتمد القرآن على إيراد الموعظة بنحو القصة وذلك لأن القصة تعطي دليلاً حسيّاً ملموساً لمن يسمعها فعندما يتحدث القرآن عن فرعون وعن علوه وعتوه في الأرض، نحن نعرف ما حل بفرعون حين ما نرى ما بناه من الأهرامات أمام أعيننا فإن ذلك أشد وقعاً في النفس.

٣- القصة والتاريخ مفهومان عند كل أحد على خلاف الاستدلالات العقلية، فإن الناس في مستوى الإدراك ليسوا سواسية وعلى هذا فإن الكتاب الشامل الذي يريد أن يستفيد منه البدوي والأمي والمتوحش... إلى الفيلسوف والمفكر والمتمدن، يجب أن يكون معتمداً

على التاريخ والقصص والأمثلة ومجموعة هذه الجهات تبين أن القرآن خطأ أحسن الخطوات في بيان التواريخ والقصص في سبيل التعليم والتربية ولا سيما إذا التفتنا إلى هذه النقطة وهي أن القرآن لا يذكر الوقائع التاريخية في أي مجال بشكل عار من الفائدة بل يذكر معطياتها بشكل ينتفع بها تربوياً.

الأهداف القرآنية من القصص:

لقد تمكن الخطاب القرآني في كتاب الله من خلال اعتماد أسلوب القصة من تسجيل أهداف مهمة في خدمة الإسلام والنبوة ومن هذه الأهداف:

أولاً - إثبات نبوة نبي الإسلام:

فالنبي صلى الله عليه وسلم عاش في مكة ولم يخرج منها إلا في سفر ولم يفارق قومه فتاريخ حياته بين واضح لديهم ولكنك تجده يورد قصص الأمم السالفة والأنبياء ما لم يكن لأحد اطلاع عليه ولم يكن لأحد إنكاره ولا مجال بالتصديق به وقد الله تعالى: مخاطباً نبيه مذكراً قومه بأن القرآن لم يكن من عند محمد صلى الله عليه وسلم نفسه؛ بل هو من عند الله (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [القصص: ٤٤-٤٦].

ثانياً - بيان وحدة الأديان:

عندما يورد القرآن الكريم قصص الأنبياء السابقين فإنه يريد بيان أن هذه الرسالة السماوية أي الإسلام هو امتداد لكافة الشرائع السابقة فما كان النبي صلى الله عليه وسلم بدعاً من الرسل وما كانت رسالته مخالفة لما سبقتها. فهذا القرآن يذكر قصة موسى مثلاً وما فعله بنو إسرائيل ليبين أن شريعة موسى كانت شريعة إلهية فرفضها القوم وحرفوها.

ثالثاً - تثبيت القلوب:

لقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من المصاعب في تاريخ الدعوة الإسلامية فأراد الله عز وجل أن يسلي نبيه ويزيح عنه الهم الكبير الذي شغل نفسه به ألا وهو دعوة قومه إلى أهل الحق وهو يواجه تحديهم له ورفضهم للإيمان به وقد قال الله تعالى:

وَلَوْلَا نَقْصُ عَلَيْنِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [هود: ١٢٠].

طريقة عرض قصص القرآن:

للقرآن في طريقة عرض القصص صور متعددة :

- سرد القصة من أولها إلى آخرها كما في سورة يوسف.
- يعرض جانب من القصة في سورة والجانب الآخر في سورة أخرى.
- يعرض السورة مرة مبسطة ومرة مقبوضة يراعي مكان العبرة ومقتضى المقام والغرض من القصة.

الفوائد من ذكر القصص في القرآن:

التحذير من وقوع المسلمين فيما وقع فيه بنو إسرائيل (خفاجي: ج ١، ٣٩٠)، إنها جمعت ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والأنعام وسير الملوك والمماليك التجار والعلماء والرجال والنساء وحيلهن وذكر التوحيد والفقہ والسر وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبر المعاش والصبر على الأذى والحلم والعز والحكم إلى غير ذلك من العجائب (ابن عاشور: ج ٥، ٣٩).

ليس مقصوده مقصوراً على ذكر الأولين فقط بل في كل قصة منه إنما ذكرت لما يلحق هذه الأمة في أمد يومها من شبه أحوال من قص عليهم قصصه (ابن الجوزي: ج ٢، ٤١٣).

لا يراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص وإنما هي عبرة للناس (أبو الفضل: ج ١: ٣٩٠)، ليست مخترعة ولا مفتراة بدليل وجود أمثلتها بين الناس قبل نزوله (القاسمي: ج ١، ٧٤).

جميعها مملية بالحكم (القاسمي: ج ٦: ٢٣٧)

جميعها كالتمهيد لتفسيرها (ألقاسمي: ج ٦: ٢٤٧)

آيات بيينة على صدق دعوة الرسول صلي الله عليه وسلم ونذر عظمته مما فيها من بيان سنن الله تعالى: في الأمم وعاقبة أمرهم مع الرسل (ابن القيم الجوزية، ج ٢: ٣٧٣) تبين سنن الله في خلقه مع الأقوام الذين كذبوا الرسل وكان عاقبة أمرهم الدمار والنكال.

بيان أصول الدين المشتركة بين جميع الأنبياء من الإيمان بالله وتوحيده وعلمه وحكمته وعدله ورحمته والإيمان بالبعث والجزاء (المراغي: ج٧، ٩٩).

بيان وظيفة الرسل تبليغ وحي الله لعباده فحسب ولا يملكون وراء ذلك نفعاً ولا ضرراً

بيان سنن الله في الاجتماع وطباع البشر وما خلقه للعالم من الحكمة

بيان سنن الله في استعداد الإنسان النفسي والعقلي لكل من الإيمان والكفر والخير والشر

آيات الله وحجه على خلقه في تأييد رسله

نصائح الأنبياء ومواعظهم الخاصة لكل قوم بحسب حالهم كقوم نوح في غوايتهم

وغرورهم وقوم فرعون وملئه في ثروتهم وعتوهم وفي قوم عاد في قوتهم وبطشهم وقوم

لوط وفحشهم (المراغي: ١٢-١٤).

شروط استخدام طريقة القصة في التدريس:

لاستخدام الطريقة القصصية هناك مجموعة من الشروط التي ينبغي على مراعاتها عند

التدريس بهذه الطريقة هي:

١- أن يكون هناك ارتباط بين القصة وموضوع الدرس.

٢- أن تدور القصة حول أفكار ومعلومات يتم من خلالها تحقيق أهداف.

٣- أن تكون القصة مناسبة لعمر التلاميذ ومستوي نضجهم.

٤- أن تكون الأفكار والحقائق والمعلومات المتضمنة في القصة قليلة حتى لا تؤدي كثرتها إلى التشتت وعدم التركيز.

٥- أن تقدم القصة بأسلوب سهل وشيق يجذب انتباه التلاميذ ويدفعهم إلى الإنصات والاهتمام.

٦- ألا يستخدم المعلم هذه الطريقة في المواقف التي لا تحتاج إلى القصة.

٧- أن تكون الحوادث في القصة متسلسلة ومتتابعة وأن تبتعد عن الحوارات والمعاني التي تصور المواقف تصويراً حسيّاً.

٨- أن يستخدم المعلم أسلوب تمثيل المواقف بقدر الإمكان.

خصائص القصة في القرآن الكريم:

لقد انفردت القصة في القرآن الكريم بميزات وخصائص. لا توجد في أي نوع آخر من

القصص زمن هذه الخصائص ما يلي:

أولاً - أن القصص القرآني قصص واقعي: فإن المتأمل في قصص القرآن الكريم يجد الواقعية أساساً مستوعباً لعقيدته وتشريعته ومسلكه في حياة البشر (علي: ١٩٧٨، ٥٥) وذلك لأن القصص القرآني يحكي الواقع، ولم يأتي عبثاً ولا تسلية وترويح عن النفس، إنما أتى لأهداف تربية سامية، وهي خلق القيم التربوية عند الصغار، وتنميتها عند الكبار، لأنه ذو مغزى إعجازي عظيم، حيث الله سبحانه وتعالى **وَلَا تُقَالُ نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** [هود: ١٢٠]، وهذه القصة الواقعية لا ينكرها أهل الكتاب، لأنها قصص نزل بها جبريل عليه السلام على المصطفى صلى الله عليه وسلم كما نقرأ في سورة يوسف (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: ٢] كما جاء في سورة يوسف أيضاً (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)، [يوسف: ١٠٢]، والقصص القرآني قصص واقعي، يشمل على كثير من القيم التربوية الواقعية وفي هذا الشأن يقول رب العزة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام أيضاً (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف: ٥٦] ومن الآية السابقة تبرز قيمتان تربويتان هامتان الأولى قيمة أخلاقية هامة وهي الرحمة والثانية قيمة اجتماعية وهي الإحسان، وكل قصة في القرآن تثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بما أخبرت به عن الماضي عبر القرون والأجيال والقصص القرآني هو قصص لأمر واقعية، يساق للظة والعبرة، وإعطاء المثالات، لا مجرد الاستمتاع والقراءة (أبو زهرة: ١٩٧٠، ١٨٧) ولذلك قال الله تعالى: **فِي آخِرِ سُورَةِ يُوسُفَ (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [يوسف: ١١١]، والقصص القرآني قصص واقعي، وفي هذا المعنى نذكر - على سبيل المثال ثلاث قصص واقعية، تدور حول الموت والحياة، وإبراز قدرة الله:

الأولي: قصة رجل كافر تبين له الحق، ولكنه أصر على كفره.

الثانية: قصة رجل تبين له الحق فافتتن به، واعترف بأن الله على كل شيء قدير.

الثالثة: قصة نبي أظهره الله على بعض آياته، فأزداد إيماناً وتثبيتاً.

فيما يلي بيان القصة الأولى، حيث يقول رب العزة سبحانه (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [البقرة: ٢٥٨] ويتضح من الآية الكريمة السابقة أن الرشد قد تبين من الغي، وأن الله يتولي المؤمنين فيهديهم، وأن الشيطان يتولي الكفار فيضلهم وأن الله العادل، لا يعطي الهداية لغير مستحقيها من أولئك الكافرين المعاندين، فهم ظالمون، والله تعالى: لا يهدي القوم الظالمين، أي لا يوفقهم إلى حجة يغلبون بها أهل الحق، أما القصة الثانية عن الحياة والموت، فيقول الله تعالى: فيها (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: ٢٥٩]، ومغزى هذه القصة أن هذا الرجل تولاها الله، فبين له الرشد، فاستجاب لهذا التوجيه، وازداد إيمانه ولم يركب رأسه عناداً كالكافر المذكور في القصة السابقة، ولعل اقتران القصتين، كان من أجل اشتراكهما في تبيان أن الله سبحانه وتعالى: هو الذي يحيي ويميت، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

أما في القصة الثالثة عن الحياة والموت فيقول جل شأنه فيها (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة: ٢٦٠] وهذه أيضاً هي القصة الثانية عن إبراهيم عليه السلام. ويتبين من الآية الكريمة السابقة أن سؤال إبراهيم عليه السلام لربه كان حرصاً على الاطمئنان القلبي، عن طريق المشاهدة والعيان، إلى جانب طريق الوحي والبرهان ليزداد إيمانه ثباتاً فوق ثبات.

ثانياً - أن القصص القرآني يحث على المعاملة الطيبة: حيث يتبين بما جاء في القصص القرآني أن دعوة النبيين عليهم السلام جاءت للخير، هادية إلى حسن التعامل، وإصلاح الأرض، وأن إصلاح الأعمال والنفوس ومنع الفساد في الأرض من أعظم المقاصد في الشرائع السماوية، بعد عبادة الله تعالى: والإيمان باليوم الآخر وفي القصص القرآني دعوة صريحة إلى الناحية العلمية، والتي تتصل بالإصلاح الاجتماعي،

والقيام بحق الأمانة في التعامل وفي هذا الشأن يقول - سبحانه وتعالى: في قصة شعيب عليه السلام (وَيَا قَوْمِ أُوفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [هود: ٨٥]، وتشير الآية الكريمة السابقة إلى (أن الله عز وجل أرسل إلى أهل مدين واحد منهم، هو شعيب عليه السلام وكانوا أهل كفر جشعين، يبخسون المكيال والميزان، ولا يوفون الحقوق، ولا يحفظون الأمانات. ثم بدأهم بالدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ثم عقب دعوتهم إلى التوحيد، بالنهاي عن نقص المكيال والميزان، لأنه أعظم عيب تقشي في قومه.

ثالثاً- أن القصص القرآني دعوة للتعلم، ووسيلة لغرس القيم: فمن الأساليب التي لها تأثير ساحر على النفوس، فالقصة تؤثر في النفس إذا وضعت في قالب عاطفي مؤثر، وهي تعجل القاري أو السامع يتأثر مما يقرأ أو يسمع فيميل إلى الخبر وينفذه ويمتنع من الشر فيبتعد عنه (الجمالي: ١٩٦٦، ١٤٠-١٤١).

كل القصص الذي تضمنه القرآن الكريم هو قصص واقعي، جاء به القرآن للتربية، فقد عرض الله قصص الأنبياء السابقة للعظة والعبرة، كما يقول الله سبحانه وتعالى: في كتابه العزيز (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) [الكهف: ٥٤] وذلك لغرس القيم والمبادئ والمثل العليا في نفوس النشء، لتوجهه وتربيته، ولتحقيق الأهداف التربوية في القصة، وأسلوب القصة كطريقة من طرق التربية الإسلامية يعتبر من أهم الأساليب المؤثرة في تقويم الأخلاق، وتغذية العواطف، حيث نأخذ من قصة يوسف - عليه السلام - مثلاً - عبرة أخلاقية مهمة في مضمار الكيد والحسد، وفي ضبط النفس وكبح الشهوات - وقصة سيدنا يوسف عليه السلام فيها مجال خصب لغرس كثير من القيم التربوية، وكما أن القصص القرآني يسهم إسهاماً فعالاً في غرس القيم السامية في نفوس النشء، فإنه يساعد على التخلص من القيم المنحرفة غير الإسلامية، مثل السرقة مثلاً، وفي هذا الشأن يقول رب العزة على لسان إخوة يوسف عليه السلام (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) [يوسف: ٧٣]. كذلك للقصص القرآني دور هام في التخلص من القيم غير الإسلامية، والعمل على بترها من المجتمع، وفي هذا المعنى يقول رب العزة على لسان شعيب عليه السلام (أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ

*وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (الشعراء: ١٨١-١٨٣) حيث ينهاهم عن التطفيف (بمعنى إذا دفعتم للناس فأكملوا الكيل لهم، ولا تبخسوا الكيل وتعطوه ناقصاً فتأخذوه - إذا كان لكم تاماً وافياً، ولكن خذوه كما تعطون (ابن كثير، ١٩٨١، ٢٤٥).

خلاصة القول أن القصص القرآني يحث على التعلم لأنه ليس هناك تعارض بين العقيدة وبين العلم، بل إن العلم يثبت العقيدة ويدعم الإيمان، وقد أكد ذلك، فذكر فائدة العلم ومكانة العلماء، كما ذكر أدوات العلم.

رابعاً- أن القصص القرآني يحقق أهداف التربية: فإن للقصة في القرآن فوائد كثيرة، وهي وسيلة تربية هامة للتعلم والإرشاد والتشريع، ولها دور فعال في بناء الفرد - والمجتمع، وذلك بغرس القيم الإسلامية في قلبه ونفسه حتى تكتمل شخصيته، وهذا هو هدف التربية، وهي تختلف عن القصص الفني في الحدود التي رسمها نقاد القصة الفنية في العصر الحديث، وهناك علاقة وثيقة بين الدين والقصة، فقد يكون الدين في بعض الأحيان مجرد قصة طويلة كانت يوماً ما كتاباً مقدساً عند أهلها - وإن بدت لنا اليوم نسيجاً من خرافات وأباطيل (الخطيب: ١٩٦٤، ٧).

تعتبر القصة جهازاً قوياً من أجهزة التأثير في قيادة الجماعات البشرية، في الحرب والسلم على السواء، ولقد اتخذت القصة لغرس بعض القيم التربوية، لدورها وقدرتها على الإقناع العقلي، عن طريق المشاركة الوجدانية، وإذا كانت القصة تعبيراً عن الماضي وانعكاساً للحاضر، فهي تصور المستقبل أيضاً، وما يجب أن تكون عليه القيم التي تسود المجتمع في المستقبل، ومن أغراض القصص القرآني بيان أن الدين كله من عند الله، من عهد سيدنا نوح عليه السلام، إلى عهد سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، وأن الله واحد لا شريك له، وأنه رب الجميع حيث يقول الله تعالى في سورة الأنبياء (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٩٢]، وإذا كان الهدف الأسمى من التربية الإسلامية هو تكوين الإنسان المتكامل الشخصية، فإن القصة في القرآن تهدف إلى إثبات وحدة الإله، ووحدة الدين، ووحدة الرسل، ووحدة الدعوة، ووحدة المصير). (خليل: ١٩٨٣، ٢٢٥)، حيث إن القصة القرآنية تدعو إلى ذلك كله، وفي هذا المعنى يقول رب العزة سبحانه وتعالى _ في قصة هود عليه السلام في

سورة الأعراف(وَالْيَإِىَّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [الأعراف: ٦٥] كما يقول جل شأنه في سورة هود (وَالْيَإِىَّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) [هود: ٥٠] وكما يقول عز من قائل في سورة المؤمنون (فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [المؤمنون: ٣٢] حيث يستخدم القرآن هنا أسلوب التكرار، لأنه من أشد العوامل في تثبيت الفكرة في نفس السامع.

والقصة القرآنية يحقق أهداف التربية، وتدعو الإنسان - وتيسر عقله - إلى طلب العلم، ويظهر ذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح، في سورة الكهف. والقصص القرآني ركن من أركان الدعوة الإسلامية، لما له من تأثير نفسي وهيمنة على القلوب، ويمس بها العواطف عند سماعه، ويسيطر على العقل والتفكير، وفي هذا الشأن يقول عز من قائل في سيدنا موسى عليه السلام: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [إبراهيم: ٥] ومن هذه القصة يمكن للنشء أن يجعلوا الأنبياء قدوة لهم في حياتهم، فيحترموا معلمهم ويقدرهم.

خامساً - أن القصص القرآني قصص تربوي: فإن القرآن الكريم جاء بقصص تربوية ذات أثر في علاقات الإنسان الخلقية والوجدانية، ذلك مع جمال الأسلوب، وبلاغة المعنى كما نص القرآن الكريم على أهمية القصص للعبارة الأخلاقية (الخطيب: ١٩٦٦، ١٤) فقد ذكر المنافقين والكافرين بقصص أمثالهم من الأمم السابقة الذين كفروا برسولهم، وبين لهم ما حدث نتيجة ظلمهم لأنفسهم، حيث قال تعالى: (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [التوبة: ٧٠].

ولم يكتف القصص القرآني بأنواع التربية، بل إنه ذكر الوسائل التربوية المختلفة، التي لها دور فعال في غرس هذه القيم، مثل التربية بالقدوة، والتربية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتربية بالثواب والعقاب، والتربية بالعادة والتربية بالأحداث الجارية (قطب: ١٩٨٢، ١٨).

ولقد تعددت الطرق التربوية بتعدد القصص القرآني، إلا أن هناك بعضاً من خصائصها، مثل التكرار والتنويع (عبد العزيز: ١٩٧٦، ٢٤٧) وحسن اختيار مضمون القصة أي أنه يجب اختيار القصص القرآني الذي يناسب أعمار التلاميذ، ويراعي ميولهم واستعداداتهم من جميع الجوانب، وذلك من أجل تنمية القيم الإسلامية السامية في نفوس الناشئة.

والقصص القرآني جاء بقصص تربوي، إذا استخدم في التدريس بث في الدرس الجامد روحاً من الحيوية والنشاط. وفي القصص القرآني التربوي توجيه عملي إلى السلوك القويم وغرس القيم الفاضلة، وهذا الهدف لا يتخلف في قصة واحدة من قصص القرآن، حيث نجد في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام على سبيل المثال إن ثورة إبراهيم على الأصنام وعبادتها، ولم تكن ثورة كلامية، بل كانت ثورة عملية، إذ جعل أصنامهم جذاً إلا كبيراً لهم.

وخلاصة القول أن القصة في القرآن منهج تربوي متكامل، يمكن أن يسهم إسهاماً فعالاً في غرس كثير من القيم الإسلامية في نفوس الناشئة، كذلك فإن استخدام القصة القرآنية في التربية يساعد المربي على تذليل ما يصادفه من عقبات وصعوبات، في الحقائق العلمية والمعلومات والمبادئ والقيم والمثل العليا المراد غرسها في نفوس الأفراد والجماعات، كما أن القصة في القرآن تربي الإنسان تربية خلقية واجتماعية ووجدانية وجسمية وعقلية وجمالية.

ولقد دلت التجربة على أن أشد المواعظ الدينية نفاداً إلى القلوب، هي القصة القرآنية لأنها تحمل المستمع على المشاركة الوجدانية للأشخاص والتأثر بالأحداث، والانفعال بالمواقف، وليس موضوع القصة خاصاً بمادة معينة، أو موضوع معين، ولكنها تصلح لكل المواد.

وخلاصة القول أيضاً أن القصة القرآنية تحقق أهداف التربية الإسلامية، وهي وسيلة هامة من وسائل التربية الإسلامية، فعن طريقها يمكن نقل صورة حية لحياة الأمم السابقة، لذا كان القصص القرآني خير وسيلة وخير منبع نستقي منه القيم السامية، التي تؤثر في حياة الأفراد والمجتمع، وفي قصص القرآن الكريم - كذلك - نجد أن الأهداف التربوية واضحة لأن شخصيات هذه القصص واقعية، موجودة في كل عصر ولذلك

تستخدم القصة القرآنية في التربية الإسلامية في غرس القيم في نفوس الصغار، وتنميتها عند الكبار (علي: ١٩٧٨: ٥٥).

نتائج وتوصيات تتعلق بالقصة القرآنية:

- أن القصة القرآنية تتفرد بخصائص ومميزات لا توجد في أي نوع آخر من القصص (عبود: ١٩٨٠، ١٩٧) وأنا من خلالها نستطيع غرس بعض القيم التربوية الإسلامية في نفوس الناشء.
- القصة القرآنية تحقق أهداف التربية الإسلامية، وأنه عن طريقها أيضاً يمكن نقل صورة حية لحياة الأمم السابقة، ومن ثم كان القصص القرآني خير منبع، نستقي منه القيم الأصيلة التي تؤثر على حياة الأفراد في المجتمع.
- أن التربية الإسلامية هي أفضل ألوان التربية، التي تحقق إنسانية الإنسان وأنه من ثم يمكن القول بأن القصة في القرآن الكريم ليس لها غرض واحد، وإنما لها أغراض عدة، وأنها تحتوي على منهج كامل متكامل شامل متوازن.
- القصص القرآني يتميز بالواقعية وأنه يساق للظة والعبرة، لا مجرد الاستماع والقراءة وأنه يمكن التقدم بالمقترحات التالية:
- أن تدرس في كل مرحلة تعليمية مجموعة من القصص القرآني تتناسب مع سن هذه المرحلة، وتلبي احتياجاتها، بحيث تهدف كل مجموعة إلى غرس قيمة معينة في نفوس الناشء، على ألا تقتصر المناهج على القصص القرآني فقط، وإنما تتسع لتشمل المناهج الدراسية، في كل التخصصات التي يحتاج إليها المجتمع المسلم.
- أن تبني محتويات التخصصات المختلفة بحيث تتمثل فيها قيم الدين الإسلامي فمحتوى اللغة العربية ينبغي أن يكون مستنبطاً من قيم الإسلام وأخلاقه ومثله العليا.
- ما قيل في اللغة العربية يقال في اللغات الأجنبية التي ينبغي - هي الأخرى - أن تسهم في غرس القيم الإسلامية، فهدف اللغة هو إتقان الطالب للغة وبناء شخصيته، وتمكينه من التعبير عن نفسه في إطار ثقافته.
- استخدام الأجهزة والآلات والأدوات الحديثة في المجال التربوي على أن يؤخذ في الاعتبار المحتوى الذي تقدمه هذه الأجهزة والآلات، فلا يسمح باستخدام هذه الأجهزة لتقديم قصص ذات محتوى لا يخدم الفكر الإسلامي.

المراجع:

القرآن الكريم

١. ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر بن أيوب: القيم، لابن القيم الجوزية: (ج ٢: ٣٧٣)
٢. ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، القاهرة، دار المعارف
٣. أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (١٩٨٠): تفسير القرآن العظيم، القاهرة، مكتبة دار التراث.
٤. الباقلائي، أبو بكر: مفهومه للإعجاز القرآني، دار المعارف مصر
٥. بلبول، عبده إبراهيم: القصص القرآني، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية أصول الدين جامعة الأزهر.
٦. التهامي، نفرة (١٩٦٧): في ضوء الكتاب والسنة، تونس، ط ٢، الشركة التونسية للتوزيع.
٧. الجمالي، محمد فاضل (١٩٦٦): تربية الإنسان الجديد، تونس، الشركة التونسية للتوزيع.
٨. الجوزي، عبد الرحمن علي محمد: زاد المسير، ابن الجوزي: (ج ٢: ٤١٣)
٩. الخطيب، عبد الكريم (١٩٦٤): القصص القرآني، في منطوقه ومفهومه، القاهرة، الطبعة الأولى، مطبعة السنة المحمدية.
١٠. خفاجي، محمد عبد المنعم (١٩٦٥): الإسلام في قيادة المجتمع العربي سلسلة دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، العدد ٥٢، السنة الخامسة.
١١. خليل، عماد الدين (١٩٧١): بحث احتياجات طلاب الجامعات، من منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية القاهرة.
١٢. الزركشي، بدر الدين محمد عبد الله (١٩٥٧): البرهان في علوم القرآن، ط ١.
١٣. عبد المجيد، عبد العزيز (١٩٦٦): القصة في التربية، القاهرة، الطبعة الخامسة، دار المعارف،

١٤. عبود، عبد الغني(١٩٨٠): التربية ومشكلات المجتمع، القاهرة ، ط١، دار الفكر العربي.
١٥. عبود، عبد الغني(١٩٩٦): القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي ط١.
١٦. علي، سعيد إسماعيل(١٩٧٨): أصول التربية الإسلامية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر
١٧. القاسمي، محمد جمال الدين(١٤١٨هـ): محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨. قطب، محمد(١٩٨٣): منهج التربية الإسلامية، الجزء الثاني، بيروت، الطبعة الرابعة دار الشروق.
١٩. محمد أحمد خلف الله (١٩٥٧): الفن القصصي في القرآن الكريم، القاهرة، ط٢، مكتبة النهضة المصرية.
٢٠. المراغي، الإمام أبي بكر الحسن(٢٠٠١): تفسير المراغي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ١.
٢١. النجار، عبد الوهاب: قصص الأنبياء، القاهرة الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث.

أثر الإسلام في استخدام الأساليب الطلبية عند حسان بن ثابت

د. عبد الله محمد محمد صالح^(١)

مستخلص

أنت الورقة بعنوان أثر الإسلام في استخدام الأساليب الطلبية عند حسان بن ثابت. وهدفت الورقة إلى تتبع أثر القرآن الكريم والسنة الشريفة في الأساليب الطلبية في شعر حسان بن ثابت، والوقوف على مدى تحقيقها وتعبيرها عن مكنوناته، لاسيما وأنه عاصر الجاهلية والإسلام وهو شاعر مطبوع، وأنه من شعراء التكسب، ثم هو ملاح رسول الله، فلربما حققت له هذا الأساليب ما كان يصبو إليه من تحقيق نواحي روحية، ورضى داخلي، أو ما كان يصبو إليه من نواحي معنوية أو اجتماعية. واتبعت الورقة اعتمدت هذه الدراسة المنهج التاريخي في تسلسل الأحداث والمنهج الوصفي في تتبع الظواهر والأساليب، والمنهج التحليلي في استخراج شواهد طرائق تأصيل الأساليب الطلبية من النص القرآني والسنة الشريفة، وما يتطلبه ذلك من تحليل وربط كل شاهد بسياقه.

خرجت الورقة بعدة توصيات منها:

- تمكن الشاعر حسان بن ثابت من تناول جميع الأساليب الطلبية بمعظم أغراضها.
- تميز الشاعر في اختيار الألفاظ والتراكيب الواضحة التي تؤدي المعنى بأسلوب وصور فنية رائعة وذلك بسبب تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف وبعاطفة المسلم الرقيقة.
- أجاد الشاعر في اختيار الأساليب السهلة التي لا التواء فيها ولا اعوجاج، ويعود السبب إلى تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف ودعوته إلى توخي السهولة والعذوبة ومخاطبة الناس بما يفهمون.

- استمد الشاعر مضمون قصائده من حيث المعاني من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وقد تأثر بأسلوب وبلاغة كل منهما، فجاء شعره صدى إبداعاً للتربية القرآنية والتعليمات النبوية.

أوصت الورقة بقيام دراسات تتناول التأصيل في ديوان حسان بن ثابت.

(1) أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة دنقلا

المقدمة:

تتمثل مصادر اللغة العربية بالترتيب في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ثم الشعر الجاهلي، والذي يعتبر البداية الأساسية الراسخة لعصور الشعر العربي التي توالى فيما بعد، ومن ثم حظي هذا العصر الجاهلي الأول باهتمام الباحثين، ومتذوقي اللغة والأدب، واعتبروه المصدر الأساس للغة العربية والشعر العربي، ومنذ ظهور الإسلام ونزول القرآن ببلاغته المنقطعة؛ أيقن الباحثون أن القرآن هو المصدر الأول في اللغة العربية بكل جوانبها البلاغية، يليه الحديث النبوي، ليتراجع الشعر الجاهلي إلى المرتبة الثالثة. هنالك الكثير من الأساليب المستخدمة في اللغة العربية، مما يعطيها رونقاً وجمالاً خاصاً يميزها عن غيرها من لغات، إذ تتنوع هذه الأساليب بين أسلوب النداء، وأسلوب الاستغاثة، وأسلوب الأمر، والمدح، والذم، التحذير، الإغراء، والاباحة، والتعجب، الندبة، والنهي، والقسم، والتشبيه.

تتنوع أساليب اللغة العربية وكلامها ما بين الأساليب الخبرية والانشائية، فالأساليب الخبرية منها الإنكاري ومنها الطلبي.

تنفرع الأساليب الانشائية إلى انشائي غير الطلبي مثل: المدح، الذم، الرجاء، التعجب، القسم، وصيغ العقود، ويضم الفرع الثاني؛ الأسلوب إنشائي الطلبي مثل: أسلوب الاستفهام، الأمر، التمني، النداء، والنهي.

أنواع الأساليب الانشائية تخرج من معانيها المعهودة إلى معاني أخرى مثل: الالتماس، التعجب، النصح والإرشاد، والتعجيز، أو تخرج إلى معاني التوبيخ، النصح والإرشاد، والتحقير، كما يمكن أن تخرج إلى معاني التقرير، التقريع، التسوية، التمني، والانكاء، أيضاً يمكن أن تخرج إلى معاني الإغراء، التحسر، والزجر.

التأصيل (مفهومه، وتعريفه)

تأصيل: (اسم)، الجمع: تأصيلات، تأصيلُ الشيء: جَعَلُهُ ذَا أَصْلٍ ثَابِتٍ، تأصيلُ النَّسَبِ: تَبْيَانُ أَصْلِهِ وَأَصَالَتِهِ.

قال ابن فارس: الألف والصاد واللام أصل يدل على أساس الشيء. وقال المناوي: أَصَدَلْتُهُ تَأْصِيلاً: جَعَلْتُ لَهُ أَصْلاً ثَابِتاً يَبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وبهذا يكون معنى التأصيل إرجاع القول والفعل إلى أصل وأساس يقوم ويبنى عليه.

والقرآن والحديث هما أصل العلوم وأساسه، فالتأصيل هو بيان الأصل من كتاب الله أو من سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم.

مصطلح التأصيل: يستخدم الباحثون عدة مصطلحات كتأصيل العلوم، توطين العلوم، اسلمة العلوم، تبيين العلوم؛ للدلالة على ذات المعنى، غير أننا نفضل استخدام مصطلح تأصيل لعدة أسباب منها: أن مصطلح تأصيل أكثر شمولاً، إذ أن المصطلح يدل على الرد إلى الأصل، والأصل يرد بمعنى الدين أي النص اليقيني الورود القطعي الدلالة، كما يرد بمعنى يقارب معنى الفلسفة أي القاعدة الكلية المجردة التي تندرج تحتها قواعد جزئية عينية، ورد في شرح المحلى على الورقات (فَالْأَصْلُ ... مَا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ. كَأَصْلِ الْجِدَارِ، أَيْ: أَسَاسِهِ. وَأَصْلُ الشَّجَرَةِ، أَيْ: طَرَفُهَا الثَّابِتُ فِي الْأَرْضِ. وَالْفَرْعُ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الْأَصْلِ: مَا يُبْنَى عَلَى غَيْرِهِ. كَفُرُوعِ الشَّجَرَةِ لِأَصْلِهَا وَفُرُوعِ الْفِقْهِ لِأَصُولِهِ) (ابن تيمية ١٩٦٥)، فهو يتضمن تحديد للعلاقة بين العلم والفلسفة والدين، كما أن مصطلح تأصيل يدل على اندراج مشكلة تأصيل العلوم تحت مشكلة أشمل هي مشكلة العلاقة بين الأصالة والمعاصرة (خليل ٢٠٠٥).

الأساليب الطلبية (مفهومها، أنواعها)

مفهوم الأساليب الطلبية:

الانشاء الطلبي هو كما يدل عليه اسمه يطلب فيه من المخاطب أن يؤدي أمراً معيناً (سطاني ٢٠٠٨: ٣١).

عُرِّف الطلب بأنه يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل (القزويني ٢٠٠٣: ١٠٨).

كما عُرِّف بأنه ما يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب (هارون ٢٠٠١: ١٣).

أنواع الأساليب الطلبية:

أولاً: النهي:

هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الالتزام، ويكون لمن هو أقل شأنًا من المتكلم، وهو حقيقة في التحريم، فمتى وردت صيغة النهي أفادت التحريم على الفور (قاسم ٢٠٠٣: ٢٨٩).

وعُرف أيضاً بأنه طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وصيغته واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية.

ويكون الفعل مسنداً إلى المخاطب، أو الغائب.

يمكن أن يقترن الفعل بعد لا الناهية بنون التوكيد.

معنى صيغ النهي: هي مثل الأمر صادرة على وجه الاستعلاء مطلوب بها الكف عن اتیان فعلٍ ما في الخارج.

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام وبذلك تسهم صيغ النهي مثل غيرها من الصيغ في تلوين الأساليب العربية الدعاء، الالتماس، التمني، التيئيس، التهديد، التحقير، الارشاد (الجويني: ٢٧).

ثانياً: الأمر: عُرف بأنه طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقةً أو ادعاءً.

وتأتي صيغ الأمر على صورٍ متعددة منها: فعل الأمر، المضارع المقرون بلام الطلب، اسم فعل الأمر، والمصدر النائب مناب فعل الأمر.

قد يأتي الأمر على سبيل المجاز مثل: التمني، التعجيز، التهديد، التحقير، التسوية، الإباحة، الامتتان، الالتماس، الدعاء.

ثالثاً: التمني:

عرف بأنه طلب أمر محبوب أو مرغوب فيه، يصعب تحقيقه لاستحالته في تصور المتمني، وقد يكون ممكناً، وله أداة أصلية، هي ليت (عبد الغني: ٢٥٣).

يجري إنشاء التمني في الكلام بعناصر من قبيل الأفعال والحروف:

١/ الأفعال: أتمنى، أمل، وما يتصل بها من مشتقات وهي تستعمل مسندة إلى المتكلم لإنشاء التمني، فهو ينشئ التمني عندما يتلفظ بها.

٢/ الحروف: وهي نوعان:

- أصلية في إنشاء التمني: ليت

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب.

وعرف أيضاً بأنه طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيد، أو امتناع أمر مكروه كذلك.

والاصل فيه أن يكون بلفظ ليت وقد يأتي ب هل، لو، لعل، ألا، لولا، لوما.

رابعاً: النداء:

عرف بأنه المنادى بحرف نائب مناب أدعو والاصل في مناداة القريب أن تكون بالهمزة أو أي وفي نداء البعيد بغيرهما وقد يعكس الأمر فيدعى القريب بدعاء البعيد لغرض بلاغي كعلوّ المدعوّ نحو يا الله، أو لسهوه، أو نومه أو لانحطاط درجته عن درجة الداعي.

قد يأتي النداء لغير طلب الإقبال مثل: الإغراء، الاختصاص، الندبة، الاستغاثة، التعجب، التوجع.

وظيفة النداء هي التنبيه، فالكلام المشتمل على النداء ينقسم إلى قسمين:
- لفظ النداء: وهو فاتحة التواصل بين الطرفين إذ يفتح القناة بين المتلفظ والسامع المعني بذلك التلفظ.

- نص الرسالة: تمثل المضمون المراد تبليغه إلى السامع وتكون خبراً أو إنشاء، ووجودها ضروري بعد النداء وحده إلا إذا ما فهم مضمون الرسالة التي كان ينبغي أن تظهر بعده من خلال عناصر المقام.

يتكون تركيب النداء من قسمين: الأداة والمنادى.

أدوات النداء: هي حروف ذات معنى واحد هو التنبيه، ويجري استعمالها حسب المسافة الفاصلة بين طرفي التواصل.

وتنقسم إلى حروف لنداء القريب وحروف لنداء البعيد:

أ/ نداء القريب: الهمزة (أ)، أي.

ب/ نداء البعيد: يا، آ، أي، أيها، أيّا، هيا، وا:

وا: هو حرف نداء اختصت به الندبة، ويجوز استعماله في النداء الحقيقي.

ويمكن أن يتحقق النداء دون استعمال الأداة (الزناد: ١٣٢).

خامساً: الاستفهام:

وعرّف بأنه من أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فيه طلب الفهم والاستفسار لمعرفة شيء مجهول لدى المستفهم أو السائل (عبد الغني: ٣٤٠).

عرّف أيضاً بأنه طلب الفهم أي طلب العلم لشيء لم يكن معلوماً بواسطة أداة من ادواته وهي الهمزة، من، ومتى، هل، ما، أين، أيان، أنى، كيف، كم، أي.

تتقسم هذه الأدوات من حيث ما يطلب بها إلى ثلاثة أقسام:
ما يطلب به التصور، أو التصديق، وما يطلب به التصديق فقط، وما يطلب به التصور فقط.

١/ الذي يطلب به التصور أو التصديق هو الهمزة خاصة:
فتأتي للتصور، أي طلب تعيين المفرد.
تكون الهمزة أيضاً لطلب التصديق، أي طلب تعيين النسبة.
٢/ والذي يطلب به التصديق فقط هو "هل" خاصة، ويكون الجواب معها مماثلاً للجواب مع الهمزة التي للتصديق.

٣/ ما يطلب به التصور فقط هو بقية الأدوات فمنها ما يطلب به تعيين العاقل وهو (من) وما يطلب به شرح الاسم أو حقيقة الشيء وهو (ما) وما يطلب به تعيين الزمن ماضياً أو غيره (متى) أو تعيين الزمن المستقبل هو (أَيَّان) وما يطلب به تعيين المكان وهو (أَيْن) وما يسأل به عن الحال وهو (كيف)، وما يسأل به عن مبهم و هو (كم) وما يستعمل تارةً بمعنى كيف وأخرى بمعنى أين هو (أنى) وما يسأل به عما يميز أحد المشاركين في أمر يعمهما وهو (أي) (السيد ١٩٢٢: ١٤).

قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ آخر تفهم من المقام: التعجب، الاستبطاء، التنبيه على الضلال، الوعيد، الإنكار، التوبيخ، التهكم، التحقير، الاستبعاد، التشويق، التمني، النفي، التعظيم (هارون: ١٧).
ينقسم الاستفهام إلى:

١/ استفهام مباشر وينقسم إلى: أ/ استفهام مباشر صدى هو ما كان الاستفهام فيه إعادة لملفوظ لم يتبينه سامعه أولم يفهمه أولم يصدق، قصد الاستفسار أو التأكد.
ب/ استفهام المباشر غير الصدى فاستفهام أنشأه سامعه دون أن يستند إلى كلام سابق يعيده.

٢/ استفهام غير مباشر ويكون في شكل جملة خبرية مركبة يمثل المركب الإسنادي الفرعي فيها موطن الاستخبار (الزناد: ١١٣).

ترجمة الشاعر

ينتمي حسان إلى قبيلة الخزرج الأزدية، وهو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، عاصر الجاهلية والإسلام، كان من الشعراء المجيدين المدافعين عن الدعوة وأهلها، فقد اختاره الرسول "ص" للرد على المشركين، واعتمد عليه كثيراً في مواجهاتهم في المعارك الكلامية، فكان يحثه على الرد عليهم ويدعو له (الحارثي ١٤٣٤ هـ: ٥).

حياته ونسبه: أجمع المؤرخون العرب على أن حسان عاش مائة وعشرين سنة، ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، وذكر بعضهم أنه ولد قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ببضع سنين، ورأى آخرون أنه مات سنة ٥٠ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ويرجح أن يكون حسان اتصل ببلاط بني جفنة حوالي سنة ٦١٠م.

كانت أسرة حسان ذات شأن عظيم في الجاهلية والإسلام، فوالده ثابت بن المنذر قد حكّمته الأوس والخزرج في حرب سمير ونزلوا على حكمه وكان لحسان أخوان هما: أوس بن ثابت وأبو شيخ أبي بن ثابت، وقد عُرف من أخوات حسان كبشة ولبنى، وكلتاهما أختاه لأبيه وأمهما سخطى بنت حارثة وقد أدركتا الإسلام وأسلمتا.

كان حسان شديد العصبية لقومه، فلا يكاد يتعرض لهم أحد بسوء حتى ينبري للدفاع عنهم بشعره، فيشيد بمناقبهم ويهجو أعداءهم، وهذه العصبية تفسر لنا غلبة الهجاء والفخر على شعره الجاهلي، وكان حسان يشارك في الحياة الأدبية في عصره، وكان على صلة بالشعراء الذين يفدون على عكاظ في المواسم، ومنهم النابغة والأعشى والخنساء، واتصل بالغساسنة ملوك جلق يمدحهم بشعر جيد، ويتقاسم هو والنابغة الذبياني وعلقمة الفحل وغيرهم من شعراء البلاط أعطيات بني غسان، وقد طبابت لحسان الحياة في ظل تلك النعمة، إذ أن الغساسنة أكرموا وأغدقوا عليه العطايا وجعلوا له مرتباً سنوياً، وكان هو يستدر ذلك العطاء بشعره (مهنا: ١٩٩٤: ٨).

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

وحينما يمدح حسان الغساسنة، فإنه لا يسلك سلوك الشعراء الغرباء عنهم الذين يمدحونهم ليأخذوا عطاياهم فحسب؛ ولكنه يمدحهم ليفتخر بهم لأنهم أخواله الذين استطاعوا أن يبنوا لهم مجداً، فمدحهم مجده، وذكر محامدهم فخر له يقول:

رب خال لي، لو أبصرته سبط المشية في اليوم الخصر

ثم اتصل حسان ببلاط الحيرة وعليها أبو قابوس النعمان بن المنذر الرابع فحل محل النابغة، حين كان هذا على خلاف مع البلاط، إلى أن عاد شاعر ذبيان إلى ظل أبي قابوس، فتركه حسان مكرهاً، وقد أفاد من احتكاكه بالملوك معرفته بالشعر المدحي وأساليبه، كما أفاد وهو في قبيلته معرفته بالشعر الهجائي ومذاهبه خاصة فيما شجر من مناقضات بين حسان كشاعر للخزرج وبين قيس بن الخطيم كشاعر للأوس، وقد استطاع حسان أن يشيد بأيام الخزرج ويقف من قيس موقف الند للند، وخير مثال على ذلك قصائده يوم الربيع ويوم خطمه ويوم بعث، وهي نقائض تثبت مقدرته وامتيازته، وانطوى شعر حسان قبل الاسلام على المديح والفخر معاً الأمر الذي اشترك فيه اغلب شعراء العرب الذين طالما فخروا بأجداد قبائلهم حيث يرون أنفسهم مسهمين في إعلاء شأنها وتعظيم مكانتها، وقد كان لقبيلة حسان الخزرج شأن لا يغفل قبل الإسلام وبعده (الفحام: ٧).

هكذا فإن حسان كان في تمام الأهبة للانتقال إلى ظل محمد صلى الله عليه وسلم والمناضلة دونه بسلاحي مدحه وهجاء أعدائه.

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب واتخاذها مقراً لبث دعوته؛ عرفت منذ ذلك الحين بمدينة الرسول، وتطلعت إليها أنظار العرب وهفت إليها قلوب المسلمين، ولم يكن للمدينة أن تحتل المنزلة التي وصلت إليها بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها لو لم تبادر قبيلتا الأوس والخزرج إلى اعتناق الدين الجديد، وإلى إيواء حامل الرسالة الذي حقق المؤاخاة بين المهاجرين وأهل المدينة، ولم يعد يفرق بين القبيلتين فيها تفرقاً قليلاً وإنما أسماهم جميعاً اسماً واحداً هو الأنصار: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نصّب حسان نفسه للدفاع عن الدين الجديد والرد على أعدائه، وقد نشبت بين الفريقين معارك لسانية حامية، فكان شعره شعر نضالٍ يهجي به الأعداء ويمدح فيه رجال الفريق، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الاستجداء، بل للدفاع، وقد ضم النبي "ص" إليه حسان بن ثابت علماً منه بأن هذه سنة عربية لا بد منها، ومن ثم اصطبغ الشعر بصبغة السياسة فكان شعراً سياسياً حقيقياً (أمين ١٩٥٢: ٣٥٩).

في هذه الحقبة أصبح حسان شاعر الرسول وأصبح شعره سجلاً لجميع الأحداث التي توالى على المسلمين وأصبحت لحسان منزلة خاصة في نفوس المسلمين لدفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وزوده عن الإسلام، وأحيط شعره بهالة من الإعجاب والتقدير (أمين ١٩٥٢: ٣٥٩).

الأساليب الطلبية عند حسان بن ثابت

الإنشاء الطلبي هو كما يدل عليه اسمه يطلب فيه من المخاطب أن يؤدي أمراً معيناً، وعُرف الطلب بأنه يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل، كما عُرف بأنه ما يستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب.

أنواع الأساليب الطلبية:

أولاً: أسلوب الأمر:

عرف بأنه طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقةً أو ادعاءً.

صيغ الأمر:

- ١/ فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].
- وقوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١].

ونحو قول الشاعر:

ذريني فإن البخل لا يخلد الفتى ولا يهلك المعروف من هو فاعله.

- ٢/ المضارع المقرون بلام الطلب كقوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

وقوله: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

- ٣/ اسم فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

المصدر النائب مناب فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

قد يأتي الأمر على سبيل المجاز مثل:

- ١/ التمني نحو: يا ليل طل يا نوم زل يا صبح قف لا تطلع.
 - ٢/ التعجيز كقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣].
 - ٣/ التهديد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].
 - ٤/ التحقير كقوله تعالى: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠].
 - ٥/ التسوية كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦].
 - ٦/ الإباحة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].
 - ٧/ الامتتان كقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ﴾ [النحل: ١١٤].
 - ٨/ الالتماس كقولك لمساويك: افعل كذا، المقصود قرينك/ ندك
 - ٩/ الدعاء نحو: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر: ١٠].
- وفي التنزيل الحكيم: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].
- أولاً: أسلوب الأمر:**

في إنتاجه الشعري أورد شاعرنا حسان بن ثابت أغراضاً متنوعة لأسلوب الأمر بمعناه المعهود وغير المعهود؛ آخذاً أو مقتبساً ألفاظه ومعانيه من القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ حيث يقول في غرض:

أ/ غرض النصح والإرشاد، ويقول فيه:

فَدَعَ الدِّيارَ وَذَكَرَ كُلَّ خَرِيْدَةٍ بَيَضَاءِ آنِسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ
وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى مِنْ مَعْشَرٍ مُتَأَلِّبِينَ غِضَابِ

الخريدة من النساء: البكر التي لم تُمسس قط، وقيل الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة قد جاوزت الإعصار ولم تَعَسْ.

اقتبس الشاعر صدر البيت الثاني من قول سيدنا يعقوب: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، ويعني بقوله: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي)، ما أشكو همِّي وحزني إلا إلى الله.

يُعد الصبر من أهم وأوسع أبواب تكفير الخطايا والذنوب والسيئات؛ حيث روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما يصيبُ المؤمنَ من وصبٍ، ولا نصبٍ، ولا سقمٍ، ولا حزنٍ، حتَّى الهمُّ يهُمُّه، إلَّا كفرَ به من سيئاتِه) (مسلم: ٢٥٧٣)، وروى البخاري بسندٍ صحيح

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها) (البخاري: ٥٦٤٠).

الرأي في الشكوى: فلا حرج على المسلم في أن يتكلم عن حاله أو أن يكتب ذلك فيصف فيه أمراً تمر به أو مرضاً يبين أعراضه لطبيب ما لم يكن في ذلك اعتراض على مقدور أو تأفف بمكتوب قضاة الله على عبده. ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

ب/ غرض الحسرة والندم، ويقول فيه:

فَجُودِي عَلَيْهِ بِالْدمُوعِ وَأَعُولِي لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ

جادت العين بالدموع: كثر دمعها، وأعولي من العويل: شدة البكاء، يرثي الشاعر النبي صلى الله عليه وسلم.

بوفاته (صلى الله عليه وسلم) حلت بالمسلمين مصيبة عظيمة وكادت أن تقع الفتنة رغم أنهم قرأوا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "والله لكان الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا ينلوها".

فكما بكاه حسان بن ثابت؛ فقد بكاه كل الصحابة.

ج/ غرض السخرية؛ وفيه يقول وهو يهجو الحارث بن كعب المجاشعي وهم رهط النجاشي:

ذَرُوا التَّخَاجُؤَ وَأَمْشُوا مِشْيَةَ سَجْحًا إِنَّ الرِّجَالَ ذَوُوعَصَبٍ وَتَذَكِيرُ

التخاجؤ: التكبر والتبختر، والمشي السجح: اللين، والعصب: شدة الخلق،

استطاع حسان أن يصطحب في شعره كثيراً من التوجيهات والتربية الدينية، فها هو يسخر من الكبر الذي هو رؤية النفس فوق الغير في صفات الكمال، وهو عبارة عن شعور داخلي، مخادع لصاحبه، يملؤه بالاستعلاء على الناس، والكبر بذرته في القلب؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، وأشمل ما عُرف به هو ما جاء في الحديث النبوي: (بطر الحق، وعَمَطُ الناس)؛ أي: رفض الحق،

واحتقار الخلق. والله تعالى لا يحب العبد المتكبر: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]، ومن ثمَّ لن تصيب أنوار الهداية قلبه؛ فيُحرم التوفيق: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، حتى يصل به الأمر إلى أن يختم الله تعالى على قلبه بخاتم الطرد والإبعاد: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

التبخر: مشي التكبر والخيلاء، والرقص، ومن ذلك قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

د/ غرض التوجيه؛ وفيه يقول:

أَعْرِضْ عَنِ الْعُورَاءِ أَنْ أَسْمِعَتْهَا وَأَفْعَدَ كَأَنَّكَ غَافِلٌ لَا تَسْمَعُ
وَدَعِ السُّؤَالَ عَنِ الْأُمُورِ وَبَحْثَهَا فَلَرَبَّ حَافِرٍ حُفْرَةٍ هُوَ يُصْرَعُ
وَالزَّمْ مُجَالَسَةَ الْكَرَامِ وَفِعْلَهُمْ وَإِذَا اتَّبَعْتَ فَأَبْصِرْ مَنْ تَتَّبَعُ
وَإِذَا كَدَحَ بِنَفْسِكَ لَا تُكَلِّفْ غَيْرَهَا فَبِدِينِهَا تُجْزَى وَعَنْهَا تَنْدَفَعُ

العوراء: الكلمة القبيحة، حافر حفرة هو يصرع: كقوله: كالباحث عن حقه بظلفه، أكدح بنفسك: اعتمد على نفسك في العمل.

نرى بوضوح أن حسان قد استمد معاني أبياته من نص القرآن الكريم، ومن هدي نبينا المصطفى؛ فالكلام في أعراض المسلمين بما يكرهون منكراً عظيماً، وهو من الغيبة المحرمة، بل من كبائر الذنوب لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أتدرون ما الغيبة فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته) رواه مسلم.

أيضاً أخذ حسان معاني بقية أبياته من النص القرآني ومن الهدي النبوي: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]. وقال النبي

صلى الله عليه وسلم (من رد عرض أخيه رد الله عليه وجهه من النار يوم القيامة) (رواه الترمذي وحسنه).

هـ/ غرض التنبيه والتهديد؛ يقول فيه وهو يهجو أبا قيس بن الأسلت القيسي:.

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا قَيْسٍ رَسُولًا إِذَا أَلْقَى لَهَا سَمْعًا تُبِين

اقتبس حسان المعنى وبعض الألفاظ من النص القرآني: ﴿إِنَّ فِي تِلْكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ثانياً: أسلوب النهي:

هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الالتزام، ويكون لمن هو أقل شأنًا من المتكلم، وهو حقيقة في التحريم، فمتى وردت صيغة النهي أفادت التحريم على الفور (قاسم: ٢٨٩).

وعرف أيضاً بأنه طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وصيغته واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَا﴾ [الإسراء: ٣٢]. ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ويكون الفعل مسنداً إلى:

-المخاطب: لا تأكل فاسد الطعام.

-الغائب: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [آل عمران: ٢٨].

يمكن أن يقرن الفعل بعد لا الناهية بنون التوكيد:

-ولا تحسبن المجد زفاً وقينة.

معنى صيغ النهي: هي مثل الأمر صادرة على وجه الاستعلاء مطلوب بها الكف عن اتیان فعلٍ ما في الخارج.

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام وبذلك تسهم صيغ النهي مثل غيرها من الصيغ في تلوين الأساليب العربية (الجويني ١٩٨٥: ٢٦):

١/ الدعاء كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢/ الالتماس كقولك للمساوي: لا تفعل.

٣/ التمني كقول الشاعر: يا صبح قف لا تطلع.

٤/ التئيس كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحریم: ٧].

٥/ التهديد كقولك لخادمك: لا تمتثل أمري.

٦/ التحقير كقوله تعالى: ﴿لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

٧/ الإرشاد نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

في إنتاجه الشعري أورد شاعرنا حسان بن ثابت غرضين لأسلوب النهي؛ حيث أخذاً الألفاظ واقتبس المعاني ودلالاتها من القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ حيث وصف النبي بالنعمة الآلهية على الناس، فيقول في غرض:

أ/ إظهار الحزن والحسرة والحث:

وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَّعِدُ

بكى رسول الله: أبكى عليه، أسبغ النعمة عليه: وسعها، يتعمد: يستر، يقال تغمده الله برحمته: أي غمره بها.

حسان موقن أن النبي نعمة من نعم الله على الناس كافة، فلنشكر الله على بعثة هذا النبي الكريم، والرسول العظيم، وأن نحب الله لما أجزل من نعمه التي لا تحصى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَادْكُرُونِي أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

ببعثة النبي بهذا الدين؛ قد أشرقت الأرض بنور الله ابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ورجع الكفر خاسئاً حسيراً أدرجاً، وتحققت منة الله على المؤمنين؛ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢-٤].

ب/ غرض التوجيه؛ وفيه يقول:

لَا تَتَّبِعَنَّ غَوَايَةَ لَصِبَابَةٍ إِنَّ الْغَوَايَةَ كُلَّ شَرٍّ تَجْمَعُ

وَالْقَوْمُ إِنْ نَزَرُوا فَرْدٌ فِي نَزْرِهِمْ لَا تَقْعُدَنَّ خِلَالَهُمْ تَتَسَمَّعُ

وَالشَّرْبُ لَا تَدْمِنُ وَخُذْ مَعْرُوفَهُ تُصْبِحُ صَاحِبَ الرَّأْسِ لَا تَتَصَدَّعُ

نزر الرجل: سألته فأعطى قليلاً، والنزر: القليل التافه، ونزر العطاء: قللته، معروف الشرب: غير المحرم منه، أو القدر غير المضر منه.

معاني الأبيات ودلالاتها أخذها حسان من التوجيهات الربانية، والتربية النبوية؛ إذ تكررت لفظة الغواية مشتقاتها في القرآن الكريم (٢٢) مرة، فقد وردت بلفظ الغاوين (٤) مرات في مثل النص الكريم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

كما وردت بلفظ الغي (٣) مرات، ومرتين بلفظ غوى، ولفظ أغويتني، وأيضاً مرتين بلفظ لأغوينهم، وكذلك مرتين بلفظ الغاؤون، ومرة واحدة بلفظ أغوينا، ومرة بلفظ أغويناهم، ومرة بلفظ غوينا، ومرة بلفظ أغويناكم، ومرة بلفظ يغويكم، ومرة بلفظ غيا، ومرة بلفظ غوي.

استمد حسان توجيهه بعدم شرب المسكر وأورد الحكمة من عدم تعاطيها؛ من عديد آيات القرآن التي وردت في سورة البقرة والنساء والمائدة، والتي منها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

واستمدها من الأحاديث العديدة التي سمعها عن النبي ومنها: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام).

ثالثاً: أسلوب التمني:

عرف بأنه طلب أمر محبوب أو مرغوب فيه، يصعب تحقيقه لاستحالته في تصوّر المتمني، وقد يكون ممكناً، وله أداة أصلية، هي ليت (عبد الغني: ٢٥٣).

يجري إنشاء التمني في الكلام بعناصر من قبيل الأفعال والحروف:

١/ الأفعال: أتمنى، أأمل (أمل)، وما يتصل بها من مشتقات وهي تستعمل مسندة إلى المتكلم لإنشاء التمني، فهو ينشئ التمني عندما يتلفظ بها: أتمنى لك التوفيق في مهمتك الصعبة، تمنيت لو كنت معي، أملّي أن أفوز في السباق.

٢/ الحروف: وهي نوعان:

أصلية في إنشاء التمني: ليت

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب.

وعرف أيضاً بأنه طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيد، أو امتناع أمر مكروه كذلك.

والأصل فيه أن يكون بلفظ ليت، وقد يأتي بـ هل، لو، لعل، ألا، لولا، لوما.

قال تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

وقال: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

من أساليب التمني استعمل حسان بن ثابت لفظة (ليت) مقتبساً إياها من النص القرآني، مخاطباً هند بنت عتبة التي اغرت (وحشي) أن يقتل حمزة بن عبد المطلب في أحد:

تَقُولُ وَهْنًا وَقَدْ جَدَّ الْمَخَاضُ بِهَا يَا لَيْتَنِي كُنْتُ أَرْعَى الشَّوْلَ لِلْغَادِي

وهن وهناً: ضعف، وجد المخاض: اشتد الوجع، والشول: النوق.

أخذ حسان لفظة (يا ليتني) من ورود اللفظة في آيات عديدة في القرآن، حيث وردت ثماني مرات بلفظة يا ليتني، ليتني، يا ليتنا، منها: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣].

رابعاً: أسلوب النداء:

عرف بأنه المنادى بحرف نائب مناب (أدعو) والأصل في مناداة القريب أن تكون بالهمزة أو أي وفي نداء البعيد بغيرهما وقد يعكس الأمر فيدعى القريب بدعاء البعيد لغرض بلاغي كعلو المدعو نحو يا الله، أو لسهوه، أو نومه أو لانتحاط درجته عن درجة الداعي نحو:

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبي سكان

قد يأتي النداء لغير طلب الإقبال مثل:

١/ الإغراء نحو: يا مظلوم أقبل.

٢/ الاختصاص نحو: أنا أفعل كذا أيها الرجل.

٣/ الندبة كقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

٤/ الاستغاثة نحو: يا الله من ألم الفراق!

٥/ التعجب نحو: يا للعيش ويا للماء!

٦/ التوجع كما في نداء الأطلال، والمنازل، والمطايا ونحو ذلك.

وظيفة النداء هي التنبيه، فالكلام المشتغل على النداء ينقسم إلى قسمين:

- لفظ النداء: وهو فاتحة التواصل بين الطرفين إذ يفتح القناة بين المتلفظ والسماع المعني بذلك التلطف.

- نص الرسالة: تمثل المضمون المراد تبليغه إلى السامع وتكون خبراً أو إنشاءً، ووجودها ضروري بعد النداء وحده إلا إذا ما فهم مضمون الرسالة التي كان ينبغي أن تظهر بعده من خلال عناصر المقام.

يتكون تركيب النداء من قسمين: الأداة والمنادى.

أدوات النداء: هي حروف ذات معنى واحد هو التنبيه، ويجري استعمالها حسب المسافة الفاصلة بين طرفي التواصل فتتقسم إلى حروف لنداء القريب وحروف لنداء البعيد:

- نداء القريب: الهمزة (أ): أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل، أي: أي بني لا تعجل فتندم.

- نداء البعيد: يا، آ، أي، أيها، أيا، هيا، وا.

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم

يا أيها القلب هل تنهاك موعظة * أو يحدثن لك طول الدهر نسيانا

أيا راكباً غما عرضت فبلغن * ندماي من نجران أن لا تلاقيا

- وا: هو حرف نداء اختصت به الندبة، ويجوز استعماله في النداء الحقيقي: واحر قلباه! وامتصماه!

- ويمكن أن يتحقق النداء دون استعمال الأداة (الزناد: ١٣٣): رب اغفر لي!.

من أساليب النداء استعمال حسان بن ثابت غرض (النصح والإرشاد) مقتبساً دلالاتها

من النص القرآني، وذلك في رثائه لعثمان ابن عفان رضي الله عنه:

يا أَيُّهَا النَّاسُ أَبْدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ لَا يَسْتَوِي الصَّدُوقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ

وقوله أبدوا ذات أنفسكم: أي أطهروا ما تضمرون وكونوا صريحين.

اقتبس حسان المعنى وبعض الألفاظ من الآية الكريمة ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

فقد وردت لفظة (أنفسكم) ٢٥ مرة في القرآن، كما وردت لفظة (تبدوا) عدة مرات.

خامساً: أسلوب الاستفهام:

وعرّف بأنه من أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فيه طلب الفهم والاستفسار لمعرفة شيء مجهول لدى المستفهم أو السائل.

عرّف أيضاً بأنه طلب الفهم أي طلب العلم لشيء لم يكن معلوماً بواسطة أداة من أدواته وهي الهمزة، من، ومتى، هل، ما، أين، أيان، أنى، كيف، كم، أي.

تنقسم هذه الأدوات من حيث ما يطلب بها إلى ثلاثة أقسام:

ما يطلب به التصور، أو التصديق، وما يطلب به التصديق فقط، وما يطلب به التصور فقط.

- الذي يطلب به التصور أو التصديق هو الهمزة خاصة: فتأتي للتصور، أي طلب تعيين المفرد مثل: أدبس في الإناء أم عسل؟ فتقول عسلاً مثلاً.

تكون الهمزة أيضاً لطلب التصديق، أي طلب تعيين النسبة كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلٌ إِي وَرَبِّي﴾ [يونس: ٥٣].

- والذي يطلب به التصديق فقط هو "هل" خاصة، كقولك: هل حان وقت السفر؟ ويكون الجواب معها مماثلاً للجواب مع الهمزة التي للتصديق.

- ما يطلب به التصور فقط هو بقية الأدوات فمنها ما يطلب به تعيين العاقل وهو (من) وما يطلب به شرح الاسم أو حقيقة الشيء وهو (ما) وما يطلب به تعيين الزمن ماضياً أو غيره (متى) أو تعيين الزمن المستقبل هو (أيان) وما يطلب به تعيين المكان وهو (أين) وما يسأل به عن الحال وهو (كيف)، وما يسأل به عن مبهم و هو (كم) وما يستعمل تارةً بمعنى كيف وأخرى بمعنى أين هو (أنى) وما يسأل به عما يميز أحد المشاركين في أمر يعمهما وهو (أي).

قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ آخر تفهم من المقام:

أ/ التعجب نحو: مالي لا أرى الهدهد!

ب/ الاستبطاء نحو: منذ كم دعوتك.

ج/ التنبيه على الضلال نحو: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦].

د/ الوعيد نحو: ألم أنكل بفلان؟

هـ/ الإنكار قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

- و/ التوبيخ قال تعالى: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٠].
 ز/ التهكم قال تعالى: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧].
 ح/ التحقير قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [الدخان: ٣٠].
 ط/ الاستبعاد قال تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣].
 ي/ التشويق: قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].
 ك/ التمني: قال تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣].
 ل/ النفي: قال الشاعر:

ومن لم يعشق الدنيا قديماً؟ ولكن لا سبيل إلى الوصال

م/ التعظيم: قال الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا؟ ليوم كريهة وسداد ثغر؟

ينقسم الاستفهام إلى:

- ١/ استفهام مباشر وينقسم إلى:
 أ/ استفهام مباشر صدى هو ما كان الاستفهام فيه إعادة لملفوظ لم يتبينه سامعه أولم يفهمه أولم يصدقه، قصد الاستفسار أو التأكد.
 ب/ الاستفهام المباشر غير الصدى فاستفهام أنشأه سامعه دون أن يستند إلى كلام سابق يعيده.
 ٢/ استفهام غير مباشر ويكون في شكل جملة خبرية مركبة يمثل المركب الإسنادي الفرعي فيها موطن الاستخبار: لا أعرف من سيتولى إلقاء المحاضرة؟
 من أساليب الاستفهام استعمل حسان بن ثابت أغراض (التقرير، النفي، والتعجب) مقتبساً دلالاتها من النص القرآني والأحاديث النبوية الشريفة:
 أ/ غرض التقرير، وفيه يقول:

أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ

أي لقد وجدتم، أمر الله يأخذ بالقلوب كناية عن موصوف وهو لحظة الموت ومقابلة الحق جل وعلا، حديثي المقصود به دعوت الرسول صلى الله عليه وسلم للتوحيد والإسلام التي رفضها المشركون.

يعلم حسان بن ثابت بإيمانه ومن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؛ أن القلب مركز الحب والبغض، وأنه مركز الطمأنينة والقلق والخوف: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، والقلب مركز العقل: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

فقد وردت كلمة قلب في القرآن الكريم تقريباً مئة وأربعين مرة، وكل مرة كان لها معنى دقيق جداً.

ب/ غرض النفي، وفيه يقول:

وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالٌ قَوْمٌ تَسْفَهُوا عَمَى وَهَذَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدٍ

في هذا البيت تجلّت إيمانيات حسان بن ثابت، وأظهر مدى المامه ومعرفته بكثير من مفردات وألفاظ القرآن ومعانيها ودلالاتها، هنا وببراعة استطاع أن يَجْمَلَ كل هذه المعاني والدلالات مستمداً أفكاره من النص القرآني والحديث النبوي:

فبمعنى الكفر وخفة العقل والضلالة عن الحق، وبمعنى عدم الوصول للرشد؛ وردت لفظة السفاهة ومشتقاتها (السَّفَهَاءُ، سَفَهٌ، سَفِيهاً، سَفَاهَةً، سَفِيهاً) في القرآن حوالي أحد عشر مرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

كما وردت لفظة السفاهة ببعض مشتقاتها في عدة أحاديث نبوية: (عن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج في آخر الزمان أقوام أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة).

وردت لفظة الأعمى بمعنى (عمى القلوب وهو الكفر وعمى الأبصار وهو عدم القدرة على مشاهدة المخلوقات) ومشتقاتها (عُمِيَ، عَمُوا، فَعَمُوا، عَمِيَ، عَمِينَ، الْعُمَى، فَعُمِيَتْ، عُمِيًا، تَعْمَى، عُمِيَانًا) في القرآن حوالي خمسة وعشرين مرة: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ [غافر: ٥٨].

ج/ غرض التعجب؛ وفيه يقول هاجياً خبير:

أَمِنْ الْمَوْتِ تَرْهَبُونَ فَإِنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْهَزَالِ غَيْرُ جَمِيلٍ

موت الهزال: أراد موت الذل.

استمد حسان قوله مما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة، فقد وردت لفظة الموت في القرآن الكريم حوالي ثمانية عشر سورة: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَأْتُكُمْ ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

كما وردت أحاديث كثيرة عن الموت منها: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت). رواه الألباني، في صحيح الجامع.

الخاتمة

استطاع حسان أن يصطبغ تعاليم ومفاهيم الإسلام في إيراد أساليبه الطلبية؛ فجاءت متناسبة مع أغراضه التي كان يرمي إليها، فأصابت هذه الأساليب وعبرت بجلاء عن حالته التي يعايشها الشاعر في تلك اللحظات وفق تربيته الإسلامية، فأثرت معبرة عن حكمته التي اتصف بها في النصح والإرشاد، والتوجيه، والتنبيه والدعاء، والتعظيم وإظهار الحب للنبي صحبه، وعبرت عن مكانته في التقرير والتعظيم والتفخيم وعبرت عن دفاعه للإسلام، وتهديده ووعيده للكفار، كما عبرت عن حالته النفسية في الالتماس والتلطف والرجاء والتعجب والحسرة والندم والانكار، كل ذلك بشعر تنفح جوانبه إيمانيات راسخة.

النتائج:

١/ استخدام حسان بن ثابت للأساليب الطلبية:

تتميز الأساليب الإنشائية بأنها من الأساليب ذات الدلالات الشعرية، وهي تمثل اللغة في جانبها المتحرك المثير، لما فيها من عناصر الإثارة والتأثير، وقد عني البلاغيون بهذه الوسائل منذ بدأ النظر في تراكيب الكلام والتعرف على عناصر بلاغته وتأثيره.

تمكن الشاعر حسان بن ثابت من تناول جميع الأساليب الطلبية بمعظم أغراضها، من أمر واستفهام ونهي ونداء وتمني، كثرت استخداماته لأسلوبي الاستفهام والأمر، وقلّ استخدامه لأسلوب النداء، بينما كان مقلداً نوعاً ما في استخدامه لأسلوبي النهي والتمني مقارنة بكثرة ورود الاستفهام والأمر.

٢/ الدلالات:

إن الافتتاح بالأساليب الاستفهامية افتتاح شعري، لأن الاستفهام من الأساليب الحية الموقظة وخاصة إذا وقع في أول القصيدة؛ فيكون أول صوت يُسمع، ومن هنا كان موقع الاستفهام في بداية القصيدة أمراً ملتزماً جداً، وهذه الظاهرة الخاصة تقود إلى أخرى تبدو في الغالب عامة، فكان من عادة الشعراء الجاهليين افتتاح قصائدهم بأسلوبي الاستفهام والأمر فكثرت ذلك في شعرهم.

٣/ جودة الشعر عند حسان بن ثابت:

أ/ من حيث الألفاظ: أجاد الشاعر في انتقاء الألفاظ الدالة على جودة المعنى ووضعها في مواضعها الصحيحة في سياقه الشعري العام.

تميز الشاعر في اختيار الألفاظ والتراكيب الواضحة التي تؤدي المعنى بأسلوبٍ وصورٍ فنية رائعة وذلك بسبب تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف وبعاطفة المسلم الرقيقة.

ب/ من حيث الأسلوب: تميز أسلوب الشاعر بالبساطة والوضوح، فهو يعبر عن أفكاره وعواطفه تعبيراً سهلاً سلساً، لا يحتاج إلى كد في الذهن، أو جهد في التصوير والخيال، فجاء السبك في شعره متيناً متماسكاً دون إخلال بالمعنى أو الأسلوب.

أجاد الشاعر في اختيار الأساليب السهلة التي لا تتواء فيها ولا اعوجاج، ويعود السبب إلى تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف ودعوته إلى توخي السهولة والعذوبة ومخاطبة الناس بما يفهمون، وغالباً ما تكون بالأسلوب القصصي والأساليب الطلبية الإنشائية كالأمر والدعاء والاستفهام.

ويظهر هذا النوع من الأسلوب في قصيدته التي قال فيها:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعا

هنا في هذا البيت نرى أثر أسلوب القرآن الكريم في وصف رب العزة للمؤمنين ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قد قال ابن خلدون: "إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين، وعليه نجد أن شعر حسان بن ثابت أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة، والسبب في ذلك أنه من هؤلاء الذين أدركوا الإسلام وسمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن والحديث الذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما".

ج/ من حيث المعاني: أورد الشاعر معاني متماز بالدقة والانسجام والتألف والصدق والقرب من العقل والبعد عن التعقيد والغموض، مع مراعاة المخاطبين.

استمد الشاعر مضمون قصائده من حيث المعاني من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وقد تأثر بأسلوب وبلاغة كل منهما، فجاء شعره صدى إبداعياً للتربية القرآنية والتعليمات النبوية وشمولية الانتماء المنهجي والتعبيري دون ابتذال أو غموض وعليه كان سبكه لقصائده رصيناً في الأسلوب ومتيناً في المعنى.

٤/ أسهمت الأساليب الطليبية المتشحة بمعاني ودلالات القرآن والهدي النبوي في ترابط النص الأدبي عند حسان، حيث استطاع أن يعبر بهذه الأساليب عن تفاصيل حياته في كل حالاتها.

٥/ استخدم حسان عشرة غرض من أغراض الاستفهام، وستة أغراض من أغراض الأمر، وخمسة من أغراض النداء، وأربعة من أغراض النهي، وأربعة من أغراض التمني، كل ذلك في سلاسة ودون تكلف أو تعقيد.

٦/ هذه الأساليب وما صاحبها من دلالات دينية مكنت الشاعر من إجادة انتقاء الألفاظ الدالة على جودة ودقة المعاني التي وردت في انسجام وتألف دون غموض، فيعبر عن أفكاره وعواطفه تعبيراً سهلاً سلساً.

٧/ شخصية حسان الدينية وقربه من النبي وصحبه ودفاعه بشعره عنهم وعن الدعوة؛ ميّزته عن كثير من شعراء عصره، وصقلت تجاربه وأكسبته إجادة النظم الشعري.

٨/ حسان بن ثابت أحد الشعراء المخضرمين المشهورين، وكان شاعر الرسول "ص" في كف هجاء المشركين على الإسلام، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو له: "اللهم أيده بروح القدس".

التوصيات:

١/ أوصت الورقة بقيام دراسات تتناول التأصيل في ديوان حسان بن ثابت.

المصادر والمراجع

القران الكريم:

الأحاديث النبوية:

١/ صحيح مسلم.

٢/ صحيح البخاري.

أولاً: المراجع:

١/ ابن تيمية، الرد على المنطقيين، طبعة بيروت، ١٩٦٥.

٢/ أحمد أمين، النقد الأدبي، (القاهرة: دار كلمات عربية للترجمة والنشر، ١٩٥٢م).

٣/ الأعلام الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، بيروت: منشورات دار الآفاق الحديثة، ١٩٣٨م.

٤/ الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغ المعاني والبيان والبديع، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

٥/ الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.

٦/ أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني، القاهرة: دار التوفيقية للتراث، د.ت.

٧/ حمدو طماس، ديوان النابغة الذبياني، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٥م.

٨/ عباس عبد الستار، ديوان النابغة الذبياني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

٩/ كرم البستاني، ديوان النابغة الذبياني، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

١٠/ عبداً مهنا، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

١١/ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.

١٢/ عبد القاهر بن السيد، الترصيع في علم المعاني والبيان والبديع، دمشق: مطبعة دمشق، ١٩٢٢م.

١٣/ عمر فروخ، أحد العمرين، عمرو بن أبي ربيعة. مطبعة الكشف - بيروت ١٩٤٤م

١٤/ محمد أحمد قاسم وآخر، علوم البلاغة، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٣م.

١٥/ محمد علي سلطاني، المختار في علوم البلاغة والعروض، دمشق: دار العصماء، د. ن، ٢٠٠٨م.

١٦/ مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية، الاسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٥م.

ثانياً: الرسائل العلمية:

١/ بدرية منور العتيبي، الأساليب الإنشائية في شعر لبيد بن ربيعة مواقعها ودلالاتها، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٠هـ.

٢/ محسنة بنت عبد الله بن حبيب الحارثي، البناء والصورة في الشعر الإسلامي لحسان بن ثابت، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى السعودية، كلية اللغة العربية، ١٤٣٤-١٤٣٥هـ.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

<http://waqfeya.com>

<https://drsabrikhalil.wordpress.com>

أساليب التأديب الإيجابي في تعليم الأطفال من منظور إسلامي

د. حاتم عبد الماجد الصادق عنان^(١)

مستخلص الدراسة:

هدفت الدراسة الي الكشف عن بعض أساليب التأديب الإيجابي في تعليم الأطفال من منظور إسلامي، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: إهتمام الاسلام بالطفولة والعناية بها عناية فائقة من الناحية الجسمية والعقلية والنفسية والأخلاقية والروحية، وأعطته حقوق تكفل له النشء الكريم في كل جوانب النمو الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، ومن هذه الحقوق التالي: حق الطفل في صلاح الوالدين، وحق الطفل في الرعاية المادية، وحق الطفل في الرضاعة. وحق الطفل بالولاية، وحق الطفل في العدل والمساواة، وحق الطفل في الاسم الحسن، وحق الطفل في الحضانة، واتسمت الأساليب التربوية في الاسلام بالتوازن بين تربية إيمانية وخلقية وجسمية وعقلية ونفسية واجتماعية، ومن هذه الأساليب: أسلوب التأديب الإيجابي بالعادة، وأسلوب التأديب بالقُدوة الحسنة، وتحمل المسؤولية، وتقديم البديل الأفضل، والعدل في التعامل، ويتم التأديب الإيجابي في أربع خطوات يمكن تلخيصها على النحو التالي: وصف السلوك الملائم والمطلوب من الطفل، وإعطاء أسباب واضحة لاتباع هذا السلوك، وطلب الاعتراف بقواعد السلوك، وتعزيز السلوك الحسن، ويوصي الباحث بالاهتمام بإعداد المربين إعداداً متكاملاً ، بما يتفق مع معايير التأديب الإيجابي في الاسلام، وإعداد الدورات التدريبية اللازمة التي تزود المربين بالكفاءات اللازمة لتحقيق التأديب الإيجابي، إن المجتمعات الاسلامية تعاني من مشكلة تربوية خطيرة هي التمسك بقيم التربية الغربية، وعادات وتقاليدها المجتمعات التي تتنافى وقيم الاسلام السمحة، مثل العنف الجسدي

(1) أستاذ مساعد بكلية التربية دنقلا جامعة دنقلا، قسم العلوم التربوية والمناشط.

والنفسى مع تعليم الأطفال، بينما الرسول الكريم صلوات الله عليه وصحابته الكرام كانت تربيتهم تقوم على الرفق
الكلمات المفتاحية : التأديب الإيجابى من منظور إسلامى ،
أساليب، تعليم الأطفال.

المقدمة:

اهتم الاسلام بالعلم اهتماماً كبيراً، وذلك لما للعلم من أهمية كبيرة فى حياة المسلم، فبالعلم يهتدى إلى الطريق الصحيح، ويعرف حقيقة الايمان بالله سبحانه وتعالى، وبالعالم يستفيد الانسان فى حياته ومعاشه، وتتفتح أمامه آفاق جديدة، وميادين واسعة، ويؤكد ذلك الكتاب والسنة، فى قوله (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [الفلق: ١]، وقوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر: ٢٨]، وقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب العلم، ومدارسه، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (ابن ماجه، ١٩٨١م: ٦٦)، وكذلك "من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده" والاسلام يأمر بالعلم والعمل معاً، ويذهب فى ذلك الفارابى إلى القول: إنَّ الكمال التام للإنسان إنما هو بالعلم والعمل معاً (البخارى: ١٩٨١، ج٢)، إنَّ التأديب الإيجابى من أهم العمليات تأثيراً على الأطفال فى مختلف مراحلهم العمرية، لما له من دور أساسى فى تشكيل شخصياتهم وتكاملها، ويتم من خلال وسائط متعددة، وتعد المدارس والأسرة والجامعات أهم هذه الوسائط، فهو يقوم على فهم كيفية تعلّم الأطفال، وبناء مهاراتهم وتعزيز التأديب الذاتى الذى يحتاجون إليه لكي يكونوا ناجحين، والتأديب الإيجابى يدعم التعليم والتربية، فهو يبنى الثقة بالنفس لدى التلاميذ ويغرس حباً للتعلّم يمكن أن يرافقهم لمدى الحياة، والتأديب الإيجابى يجمع بين: ما نعرفه حول النمو السليم للأطفال ونتائج الأبحاث عن التعليم الفعّال، ومبادئ

حقوق الطفل والمبادئ التربوية. (جون، ٢٠١٠م: مقدمة دليل المبادئ التوجيهية للمربين).

مشكلة الدراسة:

من خلال مشاركة الباحث كميّسر في ورش برنامج التنشئة الإيجابية، لكتيتى التربية وتنمية المجتمع بجامعة دنقلا، بدعم ومشاركة من منظمة اليونيسف وبمشاركة كل من المجلس القومي لتعليم الكبار ومحو الأمية ووزارة التربية والتعليم بالولاية الشمالية، رأى الباحث أن التأديب الإيجابي فى الاسلام هو الجانب المهم المفقود لتحقيق الغايات على المدى البعيد، ومن هنا تمثلت مشكلة الدراسة فى السؤال الرئيس التالى: ما التأديب الإيجابي فى تعليم الأطفال من منظور إسلامي؟

تساؤلات الدراسة:

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

❖ ما طرق وأساليب التأديب الإيجابي فى تعليم الأطفال من منظور إسلامي؟

❖ ما خطوات تطبيق أساليب التأديب الإيجابي وحل المشكلات فى تعليم الأطفال من منظور إسلامي؟

❖ ما مدى تطبيق التأديب الإيجابي الاسلامي فى تعليم الأطفال فى واقعنا المعاصر؟

أهداف الدراسة:

تتمثل في الهدف الرئيس التالي:

❖ بيان بعض طرق وأساليب التأديب الإيجابي فى تعليم الأطفال من منظور إسلامي.

❖ الكشف عن خطوات حل المشكلات فى التأديب الإيجابي فى تعليم الأطفال من المنظور الاسلامي.

❖ التعرف على مدى تطبيق التأديب الإيجابي الاسلامي فى تعليم الأطفال فى واقعنا المعاصر.

أهمية الدراسة:

يرى الباحث أن هذه الدراسة تتلخص أهميتها في أنها: تأصيل لبرنامج التأديب الإيجابي الذي يتم تدريب المعلمين بالتعليم العام والأساتذة بكليات التربية وتنمية المجتمع عليه، في عدد من ولايات السودان بواسطة وزارة التربية والتعليم العام وكليات التربية وكليات تنمية المجتمع بدعم وشراكة من منظمة اليونيسيف، وتبين مفهوم التأديب الإيجابي من منظور إسلامي، وتعالج الأخطاء في ممارسة أساليب التأديب في تعليم الأطفال.

منهجية الدراسة:

هو المنهج الوصفي لوصف أساليب التأديب الإيجابي في تعليم الأطفال من المنظور الإسلامي وتحدياته في الواقع المعاصر، والمنهج الاستنباطي بغرض توضيح كيفية التعامل مع الأطفال في العملية التعليمية للمراحل العمرية المختلفة والوقوف على الأسباب (أبو سليمان، ١٤٠٨هـ): ٢٤-٢٥ و(جابر، ١٩٧٨هـ: ٤٠).

التأديب الإيجابي في تعليم الأطفال من منظور إسلامي.

نجد أن التربية علم متجدد في عالم متغير ولذلك يصبح موضوع النظر في المفاهيم التربوية ومراجعتها ومتابعة ما استجد فيها أمر ضروري، ويرتبط مفهوم التأديب لدينا في السودان بمفهوم العقاب، كأنهما مفهوم واحد وبمزيد من التأمل نجد المفهومين في غاية الاختلاف، حيث أن التأديب؛ محاولة للتحكم في سلوك الشخص باستخدام وسائل متعددة ربما تكون سالبة أو موجبة، والتأديب السالب يلتقى مع العقاب في بعض مظاهره، بينما العقاب إلام جسدي أو نفسي يفرض على شخص ما لخرقه قاعدة أو إظهاره سوياً خارجاً، وذلك بغرض تخويله أو ردعه، والتأديب الذي يهدف إلى تقويم السلوك المعوج هو تأديب إيجابي وهو وسيلة للتعامل مع سلوك الأطفال.(معاوية، وعبد الصادق ٢٠١٥م: ٥)، وبما أن مفهوم التربية من منظور إسلامي هو: إعداد

المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي فى جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة فى ضوء المبادئ والقيم وفى ضوء أساليب وطرق التربية التى جاء بها الاسلام، ويعرفها الباحث بأنها مبادئ وفق منهج الله سبحانه وتعالى للتعامل مع الأطفال فى جميع الأحوال بغرض تحقيق عمارة الأرض وترقية الحياة الدنيا والفوز والفلاح فى الحياة الآخرة، وذلك أن الانسان مخلوق لعبادة الله سبحانه وتعالى فى المقام الأول، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [سورة الزاريات: ٥٦].

ثم لعمارة الأرض فى إطار هذه العبادة لقوله تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [سورة هود: ٦١].

فكل إنسان سوى يولد مزوداً بملكة العقل وأدوات المعارف، يقول تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [سورة النحل: ٧٨]، وباستخدام هذه الأدوات ينمو العقل. (إسراء، ٢٠١٨م/١٤٣٩هـ، مج ١٨، منقول عن: طه، ٢٠١٨: ١٩٨٣م، ٢٠١٥). ولذلك من الضروري صياغة أهداف التربية والتعليم على مقاصد الشريعة الاسلامية باعتبارها غايات نهائية ينبغي أن تسعى نحوها المجتمعات المسلمة (قاسم ٢٠١٧م/١٤٣٩هـ: ١٨٧) ولتحقيق هذه الأهداف والغايات لا بد من اتباع أساليب التأديب الإيجابية من المنظور الاسلامى ومن هذه الأساليب أسلوب اللين، والحكمة، والموعظة الحسنة، والمعاملة الطيبة فى تعديل سلوك وتصرفات ونشاطات الأطفال الخاطئة إلى السوك الأفضل المطلوب. (معاوية، وعبد الصادق ٢٠١٥م: ٣٦).

الطفولة مفهومها ومراحلها من منظور إسلامي:

الطفل فى اللغة: "هو الصغير من الأولاد للناس والبقرة والظباء ونحوها، وقال الأصمعى لا أعرف للطفولة وقتاً" (عبد الرحمن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ٢٥).

الفترة من الميلاد إلى بلوغ العامين من عمر الوليد، علامة نهايتها اكتشاف الطفل لمقدراته الانسانية التطورية التي تميزه عن الحيوان.

مراحل الطفولة من منظور إسلامي:

إنَّ إكتمال الانسان الجسمي والعقلي لا يأتي دفعة واحدة، فهو ينتقل من مرحلة إلى مرحلة، ويبين ذلك قوله تعالى: (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) نوح: ١٤. ويمكن تقسيم هذه المراحل نسبياً إلى: وليد: "وهو الصغير إذا ولد" وذلك حين خروجه إلى الحياة الدنيا. المرجع: الرفاعي، جميلة عبد القادر (١٩٩٣م). الأحكام الخاصة بالصغار في الفقه الاسلامي. رسالة ماجستير، غير منشورة، في الفقه وأصوله، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

وبعد الوليد يكون الرضيع: وهو "الصغير الذي يرضع أمه" ويبين ذلك قوله تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) [البقرة: ٢٣٣]. ثم بعد الرضيع يأتي الغلام: وهو "من بعد الفطام إلى سبع سنوات" أي من سنتين إلى سبع سنوات. وعمر السابعة إعتبره المسلمون العمر الذي يتأكد فيه الدخول في سن التمييز، لإرتباطه بالأمر بالصلاة، أول مراحل التكليف الديني، وذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع) وعمر السابعة هو العمر الذي تختاره معظم المجتمعات الانسانية لبداية تدريب الناشئة على إكتساب ثقافة ومعتقدات وعادات وتقاليد المجتمع الذي يعيشون في كنفه، كما يرتبط بعمر المدرسة. وأشار (بياجيه) إلى إستمرار نمو الدماغ إلى سن السادسة عشر، إلا أنَّ بلوغ الحلم لا يمثل بالضرورة تمام التمكن من المقدرات والمعارف العقلية. (إسراء، محمد البشير ٢٠١٨م/١٤٣٩هـ ، مج ٥٠: ١٨).

وقد نبه العلماء المسلمون من أمثال الغزالي والبلدي إلى أهمية اللعب في الطفولة، وأوصيا بإعطاء الطفل الحرية لمزاولته. وتعددت الآيات

والقصص القرآنية التي تبين المتميزين من البشر الذين يختارهم الله سبحانه وتعالى ويتولاهم برعايته لأداء أدوار إختصهم بها، ومنها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٣٣]. (محمد المصري، دب.ت، ٥٥).

ومن عامة البشر من يميزه الله سبحانه وتعالى بمقدرات عقلية عالية، وهو ما أشار إليه الفارابي: بأن مراتب أهل المدينة تتفاضل في الرئاسة والخدمة بحسب فطر أهلها وبحسب الآداب التي تأدبها (الفارابي، ١٩٣٤: ٥٥).

وبناءً على اطلاع الباحث على أدبيات مختلفة في مراحل النمو يلخص الباحث مراحل الطفولة في التالي: جنين، وذلك قبل ولادته، ورضيع: بعد الولادة إلى الفطامة، وفطيم: بعد الفطامة، إلى غلام، وإلى شاب: ما بين أوائل التمييز إلى البلوغ.

حقوق الطفولة من منظور إسلامي:

اهتم الإسلام بالطفولة واعتنى بها عناية فائقة من الناحية الجسمية والعقلية والنفسية والأخلاقية والروحية وغيرها، وأعطته حقوق تكفل له النشء الكريم في كل جوانب النمو الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية وغيرها، ومن هذه الحقوق التالي: (عبد الرحمن بن ناصر بن ابراهيم، ٢٠٠٩م، ٤٨).

❖ حق الطفل في صلاح الوالدين: لا بد أن يحفظ الأزواج حقوق الأطفال عند إختيار كل منهم الآخر، معتمدين على الأسس الشرعية الثابتة ومتمثلين قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ) النساء: ١١.

❖ حق الطفل في الرعاية المادية: أنعم الله على الطفل بحق الرعاية المادية في المأكل، والملبس، والصحة، والتعليم، والسكن، وكل ما هو ضروري لحياة الأطفال، وقد ورد في صحيح مسلم ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه

- على عيال، ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله) مسلم، صحيح مسلم (٦٩/٧)
- ❖ حق الطفل فى الرضاعة: أوجب الاسلام للطفل حق الرضاع، وطلب من الوالدين تهيئة الأوضاع المادية والمعنوية المناسبة لرضاع الطفل، وذلك لما للرضاع من فوائد جسدية وعقلية ونفسية، قال تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٣٣].
- ❖ حق الطفل بالولاية: من أهم الحقوق التى شرعها الاسلام للطفل على الوالدين حق الولاية المالية والولاية على النفس، وتقتضى مراقبة سلوك الطفل، وتصحيح أخطائه، وحمايته من جهل نفسه وقصور عقله.
- ❖ حق الطفل فى العدل والمساواة: أوصى الاسلام بالمساواة بين الأطفال فى العطف والحنان والحقوق، ونهى عن التمييز بكافة أشكاله وصوره. (عباس، إيناس، ١٩٨٥م: ٣١٩).
- ❖ حق الطفل فى الاسم الحسن: من حقوق الأطفال على الوالدين الإسم الحسن، وما يستحب من الأسماء، لأن للإسم الأثر الأكبر فى تقوية الثقة فى نفس الطفل، ودفعه نحو طريق الخير.
- حق الطفل فى الحضانة: الأصل فى الحضانة أنها للنساء ألا لأنهن أشفق وأرفق وأهدى إلى تربية الطفل ثم تصرف إلى الرجال لأنهم الأقدر على الحماية والصيانة، وحق الحضانة هو تربية وتأديب ورعاية وتعليم وتوفير العطف والحنان، وأثبتت الدراسات أن الحاجة النفسية والتربوية لا يشبعها سوى الأم، وأن الطفل يتأثر وينفعل بما يلقى من حنو أو قسوة فى صغره تأثير يرافقه بقية عمره، ويشكل وجهة سلوكه فى المجتمع. (عبد الرحمن بن ناصر، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٥٠).

أساليب التأديب الإيجابي من منظور إسلامي:

اتسمت الأساليب التربوية في الإسلام بالتوازن بين تربية إيمانية وخلقية وجسمية وعقلية ونفسية واجتماعية، وفيما يلي بعض من هذه الأساليب:

أسلوب التأديب الإيجابي بالعادة:

ومثال لذلك حين أخذ أحد ابنه تمر - وهو الحسن - من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كخ كخ أرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة) (البخاري، ج ٢: ٥٤٢؛ [ومسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ١١٧]). ولا شك أن الطفل هنا لا يعي الألفاظ وإنما أراد عليه الصلاة والسلام الترك وسيأتي يوماً ما يعي لماذا قيل له لا وإن تعويد الأطفال على سلوك معين من خلال النهي والأمر يصبح سجية وعادة ثم تكون بعدها خلقاً لهم حتى إذا لم يستوعبوا الألفاظ، حتى يصلوا مرحلة التمييز. (عبد الرحمن بن ناصر: ٢٠٠٩م، ١٩١).

أسلوب التأديب بالقدوة الحسنة:

وهذه الوسيلة هي أعظم وأكبر أثراً في نفوس الأطفال، فعندما سئلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام قالت: "كان خلقه القرآن" وجاءت الشهادة الربانية بكرم خلقه صلى الله عليه وسلم بقوله جل وعلا (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤].

تحمل المسؤولية:

كان صلى الله عليه وسلم يربى الأطفال على تحمل المسؤولية كل حسب طاقته وقدراته، يكر البخاري في ذلك عن أنس رضى الله عنهما قوله "أسرّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم سرّاً، فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به" [البخاري: ح رقم ٦٢٨٩]. فحين يسر المربي أو يسند للطفل أمر أو مهمة، فذلك يعزز تحقيق ذاته ويقوى الثقة بنفسه.

تقديم البديل الأفضل:

عند تصحيح سلوك الأطفال كان النبي عليه الصلاة والسلام يقدم البديل الأفضل، والذي لا يتعارض مع فطرة الطفل، فالنبي عليه الصلاة والسلام يحذر الشباب من دوافعهم الفطرية بدعوتهم للزواج الشرعى بقوله: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم). (البخارى، ج ٥، ١٩٥٠، رقم الحديث (٤٧٧٨).

العدل فى التعامل:

إنّ المدرسة السودانية تسرف نوعاً ما فى استخدام العقاب البدنى والنفسى، بصوره المختلفة من جلدٍ وعنف لفظى، ويمثل ذلك إنتهاكاً لحقوق الطفل، ولا يؤدى بهم إلى تعلم القواعد الاجتماعية واتباعها ولا يطور سلوكهم، بينما أثبتت دراسات علم النفس التربوى أنّ الأطفال يستجيبون بشكل أفضل للمواقف الايجابية كالحوار والمكافأة، ينما لا نجد ذلك فى ديننا الاسلامى، فقد جاء فى صحيح البخارى عن عائشى رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم: إنّ الله يحب الرفق فى الأمر كله، وكما قال عليه الصلاة والسلام: (إنّ الرفق لم يكن فى شىء إلا زانه، وما نزع من شىء إلا شانه)، ويتم التأديب الايجابى فى أربع خطوات على النحو التالى: (قشى، و جاد الله: ٢٠١٥م، ٢٣-٢٤) وصف السلوك الملائم والمطلوب من الطفل.

- إعطاء أسباب واضحة لاتباع هذا السلوك.
 - طلب الاعتراف بقواعد السلوك.
 - تعزيز السلوك الحسن.
- ويرى الباحث بناءً على تجربته فى تدريب برنامج التأديب الايجابى مع كليات التربية وتنمية المجتمع ووزارة التربية والتعليم العام بدعم ومشاركة من منظمة اليونيسيف أن خطوات التأديب الايجابى يمكن توضيحها على النحو التالى:

- ❖ تحديد اكبر عدد من الأسباب التي أدت إلى السلوك.
- ❖ تحديد الغايات على المدى البعيد.
- ❖ توفير الدفء (التعامل بلين ولطف)، أى توفير بيئة آمنة للطفل ليشرح الطفل بالأمان.
- ❖ الارشاد والتوجيه، مع مراعاة المرحلة العمرية للطفل، وخصائص الطفل، والفروق الفردية، والفروق المنزلية (الاجتماعية والثقافية والاقتصادية).

وركز الاسلام على حسن تربية الأطفال فكان صلى الله عليه وسلم يختار من الأساليب فى تعليمه للأطفال أحسنها وأفضلها وأوقعها فى نفس الطفل، وأقربها إلى فهمه وعقله وأشدها تثبيتاً للعلم فى ذهنه، (عبد الرحمن بن ناصر: ٢٠٠٩م، ٥٨) ولعل أقوى ما يلفت النظر فى ميدان العلاقة بين الجسم والعقل ما نجده بين التطور الجسدي والتطور العقلي من موازاة، فنجد أن التطور الجسدي يسير جنباً إلى جنب مع التطور العقلي (القوصي، ١٩٥٢: ٣٠)

فالتربية لا تعني العقاب والشدة والتحقير كما يظن الكثيرون وإنما تعني أولاً مساعدة الناشئ للوصول إلى أقصى كمال ممكن. (محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش، ١٤٢١هـ، ٢٠١).

الدراسات السابقة:

١- دراسة: على ابن مسعود العيسى، ١٤٢٩هـ/ ١٤٣٠هـ، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى كلية التربية، بعنوان: تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة، ومنهج الدراسة: المنهج الوصفي، وهدفت الدراسة إلى: تحديد القيم الأخلاقية اللازمة لطلاب المرحلة المتوسطة بمحافظه القنفذة والتعرف على مدى إكتساب طلاب المرحلة المتوسطة لبعض القيم من وجهة نظر معلمى التربية الاسلامية بالقنفذة، وأهم النتائج هى: أن القيم الخلقية جاءت فى المرتبة الاولى مثل بر الوالدين، بينما جاءت الشورى فى المرتبة الثانية

والعشرين، وفى الأساليب المناسبة لتنمية القيم الخلقية جاء أسلوب الحرص على الصلاة فى جماعة المرتبة الأولى بينما جاءت مشاركة التلاميذ فى تقييم المعلمين فى المرتبة الثانية، وفى مدى إكساب القيم الخلقية جاء الفعل السلوكى الذى يظهر فيه التلميذ الاحترام والتقدير ويثنى على والديه المرتبة الأولى.

٢- دراسة: أحمد آدم معلا جمعة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م جامعة دنقلا، كلية التربية، بعنوان: نماذج من التربية النبوية للصحابة رضوان الله عليهم دراسة على شخصية (على ابن ابى طالب رضى الله عنه)، ومنهج الدراسة: الوصفى والإستنباطى التاريخى وهدفت الدراسة إلى الإطلاع على مفهوم التربية لغة وإصطلاحاً فى الإسلام والإخبار عن شخصية على ابن أبى طالب من النشأة الى الإستشهاد وتحديد جوانب التربية النبوية التى تربي عليها على بن أبى طالب على يد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقويم واقعنا المعاصر تربوياً فى ضوء تربية الرسول صلى الله عليه وسلم، وأهم النتائج للدراسة: أن العالم الإسلامى يعانى من مشكلة تربوية خطيرة هى التمسك بقيم التربية الغربية، وإن جوانب التربية التى تربي عليها على ابن أبى طالب رضى الله عنه إذا إنغرست فى الإنسان المسلم فتكون له شخصية مثالية متوازنة، وهى الشخصية التى عجزت الفلسفات التربوية عن تكوينها، وإن تبنى المناهج الغربية فى العالم الإسلامى هو السبب فى ضياع القيم الإسلامية والفكر الإسلامى.

٣. دراسة: سماهر عمر الأسطل، (١٤٢٧ هـ / ١٤٢٨ هـ) الجامعة الإسلامية غزة فلسطين، كلية التربية، بعنوان: القيم التربوية المتضمنة فى آيات النداء القرآنى للمؤمنين، والمنهج الذى إستخدمه الباحث الوصفى التحليلى، وهدفت الدراسة إلى: الكشف عن القيم التربوية المتضمنة فى آيات النداء القرآنى للمؤمنين ووضع تصور مقترح لتوظيف القيم لمواجهة التحديات وأهم نتائج الدراسة: إستخرجت

الدارسة ٤٢ قيمة إيمانية و ١٨ قيمة أخلاقية و ٢٢ قيمة إجتماعية و ١١ قيمة إقتصادية و ١٤ قيمة سياسية وعسكرية ووضعت صيغة تربوية علاجية الإستفادة من هذه القيم.

٤. دراسة: الطيب أحمد عبد الصمد الشنقيطي، ١٤٢٨- ١٤٢٩هـ، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، بعنوان: الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم، وهدفت الدراسة إلى: توضيح بعض الأساليب التربوية المؤدية الى تنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم ومنهج الدراسة هو المنهج الوصفي الإستنباطي، وأهم نتائج الدراسة: إن السنة النبوية هي المنهج القويم والأسلوب التربوي الأمثل الذى تربي عليه أصحاب النبو صلى الله عليه وسلم، وإن تنمية الشباب ضرورة لبناء الشخصية المسلمة المتميزة، وإن القدوة الحسنة من أعظم الأساليب التربوية المؤثرة فى النفس البشرية، وتعتبر أساليب الحوار والقصة والإقناع العقلى من أنجع الأساليب التربوية فى الوصول الى نتائج إيجابية منها: الترغيب والترهيب كأسلوب علاجى لتقويم النفس البشرية وردها الى الطريق الصحيح.

٥. دراسة: أحمد عبد الفتاح ضليمي، ١٤١٢هـ بعنوان: تربية الشباب فى الإسلام الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، كلية الدعوة والاعلام (رسالة دكتوراة غير منشورة)، ومنهج الدراسة: المنهج الوصفي، والمنهج الإستنباطي، وهدفت الدراسة إلى: تحديد الأسس العقائدية والعلمية والخلقية والإجتماعية والجنسية والصحية والابتكارية التى يتم تربية الشباب وفقا لمبادئ وإرشاداتها، وبيان الوسائل والأساليب التربوية التى تعمل على بناء الشخصية السوية الإيجابية للشباب المسلم، وأهم نتائج الدراسة: إن التربية عن طريق التنشئة على التمسك بالعبادة والإلتزام بآدابها وإرشاداتها يعد من أهم الأساليب التربوية الإسلامية لما تتركه العبادة من آثار روحية ونفسية وإجتماعية.

٦. دراسة: كرم الله عبد المطلب محمد العباس، ١٤٣١هـ - ٢٠٠١م، بعنوان: أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة، جامعة دنقلا كلية الدراسات العليا دائرة العلوم التربوية، شعبة أصول التربية، ومنهج الدراسة: المنهج الوصفي التاريخي، وهدفت الدراسة إلى التعرف على مصادر وتصنيف الأساليب التربوية في الإسلام وعلى الأساليب المستخدمة مع اليهود ومدى فاعليتها، وأهم نتائج الدراسة هي: أنَّ من بعض صفات اليهود الغدر، والخيانة، والمكر، والخديعة، وإن اليهود استخدموا شتى السبل والحيل للقضاء على الإسلام وأهله وخاصة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود بالمدينة المنورة أسلوب التربية بالقُدوة والتربية بالعمل، التربية بالموعظة الحسنة والتربية بالعقاب، وإن مخططات اليهود ضد الإسلام وأهله أشد وأخطر من مخططاتهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لإملاكهم الوسائل التكنولوجية الحديثة وحالة الضعف التي تمر بها الأمة الإسلامية والعربية.

التعقيب على الدراسات السابقة:

بالرجوع للدراسات السابقة رأى الباحث أن الدراسات:

- ❖ اتفقت جميعها في المنهج الوصفي التحليلي عدا دراسة أبو العينين إعتمدت على المنهج التحليلي فقط والضليمي إعتمدت دراسته على المنهج الاستنباطي.
- ❖ كما إتفقت الدراسة الحالية مع جميع الدراسات السابقة في أهمية التنشئة الإيجابية (التأديب الإيجابي) عن طريق تنمية القيم الأخلاقية الإسلامية.
- ❖ وإتفقت مع جميع الدراسات في أن مصادر القيم الأخلاقية الإسلامية الرئيسة هي القرآن والسنة.

اتسمت الأساليب التربوية فى الاسلام بالتوازن بين تربية إيمانية وخلقية وجسمية وعقلية ونفسية واجتماعية، أما دراسة: **على ابن مسعود العيسى**، ١٤٢٩هـ/ ١٤٣٠هـ أكدت على تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة، بينما الدراسة الحالية شملت الأطفال فى كل المراحل التعليمية من رياض الأطفال وحتى المرحلة الثانوية، وأهم نتائج دراسة: **على ابن مسعود العيسى** هى: أنَّ القيم الخلقية جاءت فى المرتبة الاولى مثل بر الوالدين، وفى مدى إكساب القيم الخلقية والفعل السلوكى الذى يظهر فيه التلميذ الاحترام والتقدير ويثنى على والديه، جاءت فى المرتبة الأولى، ودراسة: **أحمد آدم معلا جمعة**، ١٤٣٤هـ، وأهم النتائج للدراسة: إنَّ العالم الإسلامى يعانى من مشكلة تربوية خطيرة هى التمسك بقيم التربية الغربية، وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة الدراسة الحالية، وتزيد عليها الدراسة الحالية، بتمسك مجتمعات العالم الإسلامى بالعادات والتقاليد، ودراسة: **سماهر عمر الاسطل**، من أهم نتائجها: استنباط القيم الإيمانية والقيم الأخلاقية والقيم الإجتماعية والقيم الإقتصادية والقيم السياسية والعسكرية ووضعت صيغة تربوية علاجية للإستفادة من هذه القيم، وهو ما تضمنته هذه الدراسة، ودراسة: **الطيب أحمد عبد الصمد الشنقيطى**، من أهم نتائجها: أنها تناولت أساليب السنة النبوية وهو المنهج القويم والأسلوب التربوى الأمثل الذى تبنى عليه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، وأنَّ أسلوب القدوة الحسنة من أعظم الأساليب التربوية المؤثرة فى النفس البشرية، وتعتبر أساليب الحوار والقصة والإقناع العقلى من أنجع الأساليب التربوية فى الوصول الى نتائج إيجابية، وهو ما يتفق والأساليب التربوية فى تعليم الأطفال الذى تناولته هذه الدراسة، ودراسة: **أحمد عبد الفتاح ضليمى**، بينت الوسائل والأساليب التربوية التى تعمل على بناء الشخصية السوية الإيجابية للشباب المسلم، بينما ركزت الدراسة الحالية على الوسائل والأساليب فى تعليم الأطفال،

واتفقت فى أن التربية عن طريق التنشئة يعد من أهم الأساليب التربوية الإسلامية لما تتركه العبادة من آثار روحية ونفسية واجتماعية، ودراسة: **كرم الله عبد المطلب محمد العباس**، كانت أهم نتائجها أنها تناولت الأساليب التربوية التى إستخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود بالمدينة المنورة أسلوب التربية بالقُدوة والتربية بالعمل، التربية بالموعظة الحسنة والتربية بالعقاب، وهو ما يتفق مع أساليب التأديب الايجابى فى هذه الدراسة.

أهم النتائج :

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

❖ إهتم الاسلام بالطفولة واعتنى بها عناية فائقة من الناحية الجسمية والعقلية والنفسية والأخلاقية والروحية، وأعطته حقوق تكفل له النشء الكريم فى كل جوانب النمو الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، ومن هذه الحقوق التالى: حق الطفل فى صلاح الوالدين، وحق الطفل فى الرعاية المادية، وحق الطفل فى الرضاة. وحق الطفل بالولاية، وحق الطفل فى العدل والمساواة، وحق الطفل فى الاسم الحسن، وحق الطفل فى الحضانة: الأصل فى الحضانة أنها للنساء ألا لأنهن أشفق وأرفق وأهدى إلى تربية الطفل ثم تصرف إلى الرجال لأنهم الأقدر على الحماية والصيانة.

❖ اتسمت أساليب التأديب الايجابى فى الاسلام بالتوازن بين تربية إيمانية وخلقية وجسمية وعقلية ونفسية واجتماعية، وفيما يلى بعض من هذه الأساليب: أسلوب التأديب الايجابى بالعبادة، وأسلوب التأديب بالقُدوة الحسنة، وتحمل المسؤولية، وتقديم البديل الأفضل، والعدل فى التعامل:

❖ يتم التأديب الايجابى فى أربع خطوات على النحو التالى: وصف السلوك الملائم والمطلوب من الطفل، وإعطاء أسباب واضحة

لاتتباع هذا السلوك، وطلب الاعتراف بقواعد السلوك، وتعزيز السلوك الحسن.

❖ إن العالم الإسلامي يعاني من مشكلة تربوية خطيرة هي التمسك بقيم التربية الغربية، وعادات وتقاليده المجتمعات التي تتنافى وقيم الاسلام السمحة، مثل العنف الجسدي والنفسي مع تعليم الأطفال، بينما الرسول الكريم صلوات الله عليه وصحابته الكرام كانت تربيتهم تقوم على الرفق.

يوصي الباحث :

❖ الاهتمام بإعداد المربين إعداداً متكاملاً ، بما يتفق مع معايير التأديب الإيجابي في الاسلام.

❖ إعداد الدورات التدريبية اللازمة التي تزود المربين بالكفاءات اللازمة لتحقيق التأديب الإيجابي وذلك لتحقيق الغايات المرجوة، وتزويدهم بالمهارات التي تمكنهم من اختيار طرق وأساليب وفق المنظور الاسلامي، وبالتالي يتوافقون مهنيًا، ويصبحون أكثر فعالية مع طلابهم .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد (٢٠٠٥). تحفة المودود بأحكام الموجود، خرج أحاديثه أحمد بن سفيان، بن أحمد، ط١، مكتبة الصفا القاهرة.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (١٩٨١م). مسند ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة، دار الدعوة، تركيا.
- أبو سليمان، عبد الوهاب (١٤٠٨هـ): كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية.
- أحمد آدم معلا جمعة. (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م). نماذج من التربية النبوية للصحابه رضوان الله عليهم دراسة على شخصية (على ابن أبي طالب رضى الله عنه) جامعة دنقلا، كلية التربية.

- أحمد عبد الفتاح ضليمي. (١٤١٢هـ): تربية الشباب في الإسلام الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، كلية الدعوة والإعلام، (رسالة دكتوراة غير منشورة).
- إسراء، محمد البشير (٢٠١٨م/١٤٣٩هـ). النمو العقلي، دراسة مقارنة بين المنظور الإسلامي وعلم النفس، مجلة تفكر، مجلد ١٨ (منقول عن: طه، علم النفس في التراث الإسلامي).
- البخاري محمد بن إسماعيل (١٩٨١). الجامع الصحيح، المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج ٢ تحقيق محمد ذهني أفندي.
- جابر، عبد الحميد، وكاظم، أحمد خيري (١٩٧٨هـ). مناهج البحث في التربية وعلم النفس. دار النهضة العربية.
- جون إ. دورانت (٢٠١٠م). التأديب الإيجابي في التعليم اليومى. دليل المبادئ التوجيهية للمربين منظمة رعاية الأطفال، السويد المكتب الإقليمي لجنوب شرقى آسيا، بانكوكيين تايلاند.
- خالد، محمد أبو شعيرة (٢٠١٠م). التربية المهنية بين الفكر التربوى الإسلامى والفكر التربوى الغربى المعاصر، مجلة كلية التربية، الخرطوم، العدد الرابع.
- سماهر عمر الأسطل. (١٤٢٧ هـ / ١٤٢٨هـ). القيم التربوية المتضمنة فى آيات النداء القرآنى للمؤمنين. الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، كلية التربية.
- الطيب أحمد عبد الصمد الشنقيطى (١٤٢٨ - ١٤٢٩هـ). الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم. المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى.
- عبد العزيز القوصي (١٩٥٢م) أسس الصحة النفسية ط٤، مكتبة النهضة المصرية.
- على ابن مسعود العيسى. (١٤٢٩هـ/ ١٤٣٠هـ) تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة. المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى كلية التربية.
- الفرابي، أبو نصر (١٩٣٤). كتاب السياسة المدنية، الملقب بمبادئ الموجودات، حققه وقدم له وعلق عليه فوزى متري نجار، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.
- كرم الله عبد المطلب محمد العباس. (١٤٣١هـ - ٢٠٠١ م) أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود فى المدينة، جامعة دنقلا كلية الدراسات العليا دائرة العلوم التربوية، شعبة أصول التربية.

- محمد المصري (ب.ت). تدبير الأطفال الجسدى والنفسي، في التراث العلمي الطبي العربي، رسالة ماجستير غير منشور، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، قسم العلوم الطبية.
- محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش (١٤٢١هـ) تربية الأطفال في رحاب الإسلام، مكتبة السوادي، جدة السعودية.
- معاوية السر على قشى، وعبد الصادق عبد العزيز جاد الله. (٢٠١٥م). دليل الاديبي الايجابى فى الفصل. المركز القومى للمناهج والبحث التربوى، بخت الرضا. السودان.
- نشوان، يعقوب حسين، (١٤٢٥هـ). التربية في الوطن العربي. الأردن، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

النِّداء في السُّنة النَّبَوِيَّة (الكتب السُّنة أنموذجاً)

د. عمر عثمان محمد عثمان^(١)

مستخلص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أسلوب النداء في السنة النبوية إضافة للتعرف على علم الأسلوب وفق منهج الحديث النبوي. وحثت الدراسة أسلوب النداء في السنة النبوية، وقسمت للآتي: معنى النداء في اللغة والاصطلاح - الأسلوبية - الأغراض الأسلوبية للنداء في السنة النبوية - وبلاغة النداء في الحديث النبوي. توصلت الدراسة إلى أنَّ أسلوب النداء من الأساليب التي لا يمكن الاستغناء عن دورها الوظيفي في التواصل البشري والدعوي .

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله العلي العظيم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأصلي وأسلم على نبي الرحمة والهدى محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد:

تأتي أهمية هذه البحث من حيث مكانة النداء في السنة النبوية ودوره الوظيفي في التعرف على التوجيهات النبوية، والتواصل بين النبي صلى الله عليه وسلم وقومه من خلال الحوار، للتعرف على ما أوجبه الله تعالى علي عباده المؤمنين.

مشكلة البحث:

تعالج هذه الدراسة عدد من المشكلات تبرز فيما يلي:

- ❖ ما أهمية النداء النبوي في حياة الأمة الإسلامية قاطبة؟
- ❖ ما التطبيقات التربوية لقيمة النداء النبوي على مستوى الفرد والجماعة؟
- ❖ هل استخدام أسلوب النداء يستحضر قلب المخاطب؟

(1) أستاذ مساعد في كلية الدراسات الإسلامية، السنة وعلوم الحديث، جامعة كسلا

أهداف الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة قيمة أسلوب النداء في السنة النبوية، من خلال استعراض عدد من الأحاديث النبوية، لتكون محل إهتمام عند كل داعية ومربي.

منهج الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة المنهج التأصيلي الذي يوضح أهمية أسلوب النداء في السنة النبوية.

حدود الدراسة:

سوف تقتصر الدراسة على كُتُب السُنَّة النبوية (السُنَّة) لتوضيح أقواله صلى الله عليه وسلم في أسلوب النداء في الأحاديث النبوية.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة متخصصة في أسلوب النداء في السنة النبوية، ولكن وقفت على دراسة بحث بعنوان أسلوب النداء في القرآن الكريم دراسة بلاغية، وهو بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها جامعة كسلا كلية التربية (رسالة ماجستير ٢٠١٣م).

تعريف النداء في اللغة والاصطلاح

النداء في اللغة:

ورد في لسان العرب أنَّ النداء هو الصوت وذلك مثل الدعاء، وقد نادى به، وناداه مناداةً أي صاح به (ابن منظور ١٤١٤هـ) والنداء يأتي بمعنى الدعاء (أبو حيان ٢١٦٩). وفي ذلك يقول الزجاج: الندى بعد الصوت ورجل ندى الصوت أي بعيد الصوت، والنداء بُعد مدى الصوت.

وندى الصوت بعد مذهبه، والنداء ممدود: الدعاء رفع الصوت وقد ناديته نداءً، وفلان أندى صوتاً من فلان أي: أبعد مذهباً وأرفع صوتاً (ابن السكيت ت ٢٤٤هـ).

إذاً النداء في اللغة هو الصوت، وعلى هذا ثبت في القاموس المحيط (الفيروزآبادي ١٤٢٦هـ).

النداء في الاصطلاح:

فنجده بمعنى تنبيه المنادى وجعله على الالتفاف، ويعبر عن هذا المعنى أدوات استخدمت لهذا الغرض وهي: الهمزة ، أي ، أيا ، وا ، هيا (المخزومي ١٩٨٦م) ، وفي ذلك يقول الخطيب القزويني: النداء هو طلب إقبال المدعو على الداعي، بأحد حروف مخصوصة (المخزومي ١٩٨٦م)، أما أحمد الهاشمي فيقول: النداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء وأدواته ثمانية.

وهي نفس الأدوات المذكورة سابقاً. ومن الملاحظ أن هناك اتفاقاً في تعريف النداء والأدوات المستعملة فيه لحد كبير.

ولما كانت حروف النداء خاصة به فمن الضروري أن تشمل جميع أنواع النداءات البعيدة، والقريبة فما كان للعلماء إلا أن يخصصوا لكل نداء أدواته فكان ذلك حيث نجد الأداتين: الهمزة وأي. لنداء القريب وباقي الأدوات لنداء البعيد.

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فننادي بالهمزة وأي إشارة إلى أن شدة استحضاره المنادي في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه، لا يغيب عن القلب. وكأنه ماثل أمام العين (الهاشمي).

الأسلوبية:

لقد عرف مصطلح الأسلوب قديماً عند العرب كما عرف عند الغربيين. والأسلوب هو الطريق أو المذهب والجمع أساليب، قال أحمد الشايب: هو طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية، فهو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه (الشايب ٢٠٠٣م).

أما علي أبو المكارم فقد تناول الأسلوب في كتابه التراكيب الإسنادية بمعنى الحالة أو الطريقة وذلك في شرحه لبيان حالات اسم الفاعل إذ نجده يقول: (ولاسم الفاعل - من حيث - العمل عند النحاة أسلوبان: الأسلوب الأول: أن يقترب ب (أل).

الأسلوب الثاني: التجرد من أل مطلقاً (المعجم الوجيز، ص ٣٠٢).

وقد تناول الجرجاني هذا المصطلح بالتعريف فقال: (هو الضرب من النظم والطريق فيه). أما الأسلوب عند الأوربيين قديماً فقد كان من عهد أرسطو ومن بعده وكانت تستخدم للقلم والريشة وبعد ذلك استخدمت لفن النحت، ثم دخلت في الدراسات الأدبية حيث أصبحت طريق خاص لاستعمال اللغة بحيث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب أو الخطيب (الشايب ٢٠٠٣م).

الأغراض الأسلوبية للنداء في السنة النبوية:

هنالك مجموعة من الأغراض التي تعرضت لها أحاديث النداء النبوي والتي تعبر عن القيم المستنبطة من أحاديث النداء، عبر التحليل الموضوعي وذلك لبيان الأدوار التي لعبها أسلوب النداء في تحديد وتنظيم وعلاقة الإنسان بخالقه، وتجعل لحياته هدفاً دنيوياً وأخروياً.

ويأتي ترتيب الأغراض حيث لا يمكن الإغناء عن أغراض دون غيرها كما يلي:

١. الأغراض التربوية الإيمانية.

٢. الأغراض التربوية الأخلاقية.

٣. الأغراض التربوية الاجتماعية.

٤. الأغراض السياسية العسكرية.

٥. الأغراض الاقتصادية.

أولاً: الأغراض التربوية الإيمانية:

تأتي الأغراض الإيمانية في صدارة كل الأغراض لأنها المعبر الذي عبره تتكامل كل الأغراض الأخرى فهو أهمها ولبيان ذلك نتناول الأحاديث التالية مع بيان تحليلها:

١. رسوخ الإيمان:

قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهم بهذه الآية: لَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (الممتحنة،

١٠) ، قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط منهن، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد بايعتك» كلاماً يكلمها به، والله ما مست يده امرأة قط في المبايعة، وما بايعهن إلا بقوله (البخاري ١٤٢٢هـ).
نجد أنّ النداء في هذا الحديث للمؤمنات وبعد النداء جاء الأمر بالتأكد من إيمانهنّ، والمقصود هنا الثبات والمداومة علي الإيمان بالإتيان بهذه الشروط، وهي امتثال ما أمر الله وبه واجتناب ما نهى الله عنه.

٢. تحقيق التقوى:

عن عبد الله، قال: "علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة أن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، يا أيها الذين آمنوا {اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء، ١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران، ١٠٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} (الأحزاب، ٧١). (أبو داود حديث ٢١١٨).

وجاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى فلا يفيد الشريف النسب نسبة إذا لم يكن من أهل التقوى وينتفع الوضع النسب بالتقوى كما قال تعالى {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات، ١٣)، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يرغب في التحلي بالتقوى في كل الأمور (ابن حجر ١٣٧٩م).

ثانياً: الأغراض الأخلاقية:

تمثل مجموعة الأغراض المستنبطة من أحاديث النداء النبوي التي تتصل بصفات وقوانين يلتزم بها الإنسان في سلوكه ويترتب عليها مسؤولية وحكم، وجزاء، ويمكن إجمال هذه القيم فيما يأتي:

١ - التأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم:

لزم على المؤمن احترام النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يناديه بما لا يليق، وهذا يجب أن يعمل به المؤمن في حياته خاصة ومع من لهم فضل عليه: مثل والديه، ومعلمه، وغير ذلك، فقد جاء في صحيح مسلم أنه قال: عن أنس بن مالك، أنه قال لما نزلت

هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي} إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل هو من أهل الجنة» (مسلم، حديث ١١٩).

فجاء النداء موجهاً المؤمنين إلى التخلق بأحسن الأخلاق بألا تجعلوا كلامكم مرتفعاً على كلامه صلى الله عليه وسلم في الخطاب إذا كلمتموه وهو صامت فلا تبلغوا بكلامكم الجهر المتعارف بينكم ولا تتادوه باسمه يا محمد بل قولوا يا رسول الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم، خشية أن تبطل أعمالكم الصالحة ويذهب ثوابها، بل أخفضوا أصواتكم في مجلسه وأثناء مكالمته (البخاري ١٦٨/٥).

٢ - تعظيم مقام النبي صلى الله عليه وسلم:

تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم منزلة فوق المحبة، لأنه ليس كل محب مُعَظِّماً إلا أن الوالد يحب ولده، ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه، ومعلوم أن حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب، لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، وهدانا له وأوانا إلى جنات النعيم، فأَيُّ نعمة توازي هذه النعم، ثم إنه جل ثناؤه ألزَمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار، ووعدنا بإتباعه الجنة، فأَيُّ رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأَيُّ درجة تساوي في العمل هذه الدرجة (البيهقي ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) وفي بيان ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه قال: عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته، قالت: أقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرسه من مسكنه بالسبح (منازل بني الحارث ابن الخزرج بالمدينة، بينها وبين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميل (ابن فتوح ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها، فتييم النبي

صلى الله عليه وسلم وهو مسجى بِرْدِ حَبَرَةٍ (ثوب مصري أبيض من كتان (ابن الأثير ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله، ثم بكى، فقال: «بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّهَا» (البخاري، حديث ١٢٤١).

وأيضاً ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومع النبي صلى الله عليه وسلم صفية مردفها على راحلته، فلما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة، فصرع النبي صلى الله عليه وسلم والمرأة، وإن أبا طلحة - قال: أحسب قال: - اقتحم عن بغيره، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله جعلني الله فداك هل أصابك من شيء؟... (البخاري، حديث ٣٠٨٦). فجاء النداء في الحديثين ليؤكد محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم أجلاً وتعظماً وأكرماً له.

ثالثاً: الأغراض الاجتماعية:

النماذج التالية من أحاديث النداء النبوي تحدد صلة الإنسان بمجتمعه وسلوكه تجاه ذلك لأن الترابط الاجتماعي يمثل التعاون على البر والتقوى الذي أشارت إليه السنة النبوية وإليك بعض النماذج لبيان ذلك:

١ - تجنب الغيبة وتتبع العورات:

ما أوجبنا نحن في هذا العصر إلى هذه القيم التي يُعد فقدانها من المسائل التي تهدد من بناء المجتمعات، فالإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع صاحب أدب، لكل فرد منه كرامته التي لا تمس، لذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصفات الذميمة التي يتحلى بها غير كاملي الإيمان، والنهي عن الصفات الذميمة يقتضي المجيء بأضدادها، فيقول الإمام أبي داود في سننه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة (سير أعلام النبلاء: ١١/١٥١)، حدثنا الأسود بن عامر (تهذيب الكمال ٣/٢٢٦)، حدثنا أبو بكر بن عياش (تقريب التهذيب، ٢/٣٩٩)، عن الأعمش (تعريف أهل التقديس ١/٣٣)، عن سعيد بن عبد الله بن جريج (تاريخ الإسلام، ٥/٧٩)، عن أبي برزة الأسلمي (طبقات ابن سعد، ٤/٢٩٨)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان

قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» (أبو داود، حديث ٤٨٨٠).

والغيبية ذكر الإنسان في غيبته بما يكره وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه وهما حرامان لكن تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك لستة أسباب. أحدها: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول ظلمي فلان أو فعل بي كذا. الثاني: الاستغاثة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك. الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمي فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا، فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والأجود أن يقول في رجل أو زوج أو والد وولد كان من أمره كذا ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند وقولها إنَّ أبا سفيان رجل شحيح، الرابع: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب صوناً للشيعة ومنها الإخبار بعيه عند المشاورة في مواصلته. الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يظاهر به ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر. السادس: التعريف فإذا كان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها جاز تعريفه به ويحرم ذكره به تنقصاً ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى والله أعلم. (المنهاج ١٣٩٢م).

٢- الحذر من غواية النساء:

يرى الإسلام وجوب تهذيب خُلُق المرأة، وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة، وبحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا، ويعدّهم عليه الثواب الجزيل من الله، ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا. ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج في القتال عند الضرورة الماسة، ولكنه وقف عند هذا الحد واشترط له شروطاً شديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة، ومن ستر الجسم، ومن إحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف، كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهي أحب الفتن إلى نفسه، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهي أقرب الفتن إلى قلبها، والأحاديث

المطهرة تنطق بذلك، ومنها ما أخرجه ابن ماجة في سننه فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه، وعلي بن محمد، قالوا: حدثنا عبيد الله بن موسى (طبقات ابن سعد: ٤٠٠/٦)، عن موسى بن عبيدة (تقريب التهذيب، ٢/٢٨٦)، عن داود بن مدرك (تقريب التهذيب، ١/٢٣٤)، عن عروة بن الزبير (تقريب التهذيب، ٢/١٩)، عن عائشة، قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد، إذ دخلت امرأة من مزينة تزف (الذيل). ورغل إزاره إذا أسبله وتبخر فيه (ابن الأثير ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) في زينة لها في المسجد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس انهؤا نساءكم عن لبس الزينة، والتبخر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة، وتبخرن في المساجد» (ابن ماجه، حديث ٤٠٠١). موسى ضعيف فيه بن عبيدة ضعيف، وداود بن مدرك مجهول، إلا إنه يرتقي إلى الحسن بحديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: «لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل...». (مسلم، حديث ٤٤٥).

رابعاً: الأغراض العسكرية:

هذه الأغراض المستنبطة من أحاديث النداء النبوي تحدد علاقة المسلم مع أعدائه في الداخل والخارج وسلوكه تجاههم وكذلك تدبير شؤون المجتمعات، والنماذج التالية تبين ذلك:

١ - قتال الكفار بشدة:

قد أمر الله عزو وجل بقتال الكفار بشدة دون رحمة حتى ولو كان الكافر أبوك أو أقرب الناس إليك، لأنَّ الفصيل بينكما الإسلام، وليست العاطفية الأبوية والنسب، فالنصرة لله ولدينه فقط. فعن أبي هريرة، قال: وفدت وفود إلى معاوية وذلك في رمضان، فكان يصنع بعضنا لبعض الطعام، فكان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله، فقلت: ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي؟ فأمرت بطعام يصنع، ثم لقيت أبا هريرة من العشي، فقلت: الدعوة عندي الليلة، فقال: سبقتنني، قلت: نعم، فدعوتهم، فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار، ثم ذكر فتح مكة، فقال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم مكة،...». (مسلم، حديث ١٧٨٠).

٢ - الحيلة والحذر في حالة السلم والحرب:

المؤمنون مطالبون بأن يخذوا حذرهم في حالة السلم والحرب حتى لا يقعوا في فخ ومكر الأعداء، وفيه التزام السلطان الحذر والخوف على نفسه في الحضر والسفر؛ ألا ترى فعل الرسول مع ما عرّفه الله أنه سيكمل به دينه، ويعلى به كلمته، التزم الحذر خوف فتك الفاتك، وأذى المؤذى بالعداوة في الدين، والحسد في الدنيا، وفيه أنّ على الناس أن يحرسوا سلطانهم ويتخفوا به خشية الفتك وانخراط الأمر (ابن بطال: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م)، وفي ذلك ما أخرجه الإمام الترمذي في سننه فقال: حدثنا عبد بن حميد (تقريب التهذيب، ٥٢٩/١) قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم (المروزي ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) قال: حدثنا الحارث بن عبيد (تقريب التهذيب ١٤٢/١)، عن سعيد الجريري (برهان الدين الحلبي ١٩٨٨م)، عن عبد الله بن شقيق (تقريب التهذيب، ٤٢٢/٢)، عن عائشة (تقريب التهذيب، ٦٠٦/٢)، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} (المائدة: ٦٧) فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله» (الترمذي، حديث ٣٠٤٦)، وهو حديث صحيح الإسناد.

خامساً: الأغراض الاقتصادية:

وهي الأغراض التي تتعلق بالإنفاق والعلاقات المالية، وأتناول من هذا الغرض نماذج أبين فيها دور النداء النبوي في بيان ذلك.

١ - مشروعية التجارة وكثرة الصدقة:

نهى الله عز وجل عن أكل أموال الناس بالباطل وأباح التجارة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم البعد عن اللغو والحلف في البيع، وندب للتاجر كثرة التصدق تكفيراً لما يقع فيها من حلف أو غش أو غبن في السعر أو سوء خلق ونحو ذلك، أخرج الإمام أبو داود في سننه فقال: حدثنا مسدد (تقريب التهذيب ٢٤٢/٢)، حدثنا أبو معاوية (تقريب التهذيب، ١٥٧/٢)، عن الأعمش (تهذيب التهذيب ٣٣/١)، عن أبي وائل (تقريب التهذيب ١٥٧/٢)، عن قيس بن أبي غرزة (الإصابة ١٤١٥ هـ)، قال: كنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمى السماسرة فمر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمانا باسم هو أحسن منه، فقال: «يا معشر التجار، إن البيع يحضره اللغو والحلف،

فشويوه بالصدقة» (أبو داود، حديث ٣٣٢٦)، و(الترمذي، حديث ١٢٠٨). قال: عن عاصم، عن أبي وائل، به. وهو حديث صحيح الإسناد. قال الخطابي: السمسار أعجمي وكان كثير ممن يعالج البيع والشراء فيهم عجماً فتلقوا هذا الاسم عنهم فغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماسرة - بفتح السين الأولى وكسر الثانية جمع سمسار بالكسر المتوسط بين البائع والمشتري - إلى التجار التي هي من الأسماء العربية، لأن التجارة مذكورة في مواضع عديدة من القرآن في مقام المذح، وأمرهم بالصدقة لما فيها من الفضائل والفوائد منها: أنها تطهر صاحبها من الذنوب والخطايا ويدل على ذلك القرآن العظيم قال تعالى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} (التوبة، ١٠٣)، وأنها ترفع البلاء والأمراض قال صلى الله عليه وسلم: "الصدقة تسد سبعين باباً من الشر" (الهيثمي ١٤١٤هـ). قال رواه الطبراني في الكبير، حديث (٤٤٠٢)، وفيه: حماد بن شعيب، وهو ضعيف، وقال: ابن عدي وهو ممن يكتب حديثه مع ضعفه.

وهذا الحديث يضبط الجانب الاقتصادي ويجعله متوازناً، وعلى المسلمين أن يستجيبوا لهذا النداء النبوي، وهو عملية تطهير لبقايا رواسب الحياة الاقتصادية في المجتمع الجاهلي.

٢ - عدم التعامل بالربا:

لقد بين الله سبحانه وتعالى بياناً شافياً الطرق المشروعة في أكل الحلال وكسب الحلال، ومقت الطرق الملتوية، خاصة الربا، ومما يدل على حرمة التعامل بالربا ما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه ابن ماجة في سننه قال: حدثنا هشام بن عمار (تقريب التهذيب، ٣٢٠/٢) قال: حدثنا يحيى بن حمزة. (تقريب التهذيب، ٣٤٦/٢) قال: حدثني برد بن سنان (تقريب التهذيب، ٩٥/١)، عن إسحاق بن قبيصة. (تقريب التهذيب، ٦٠/١)، عن أبيه (تقريب التهذيب، ١٢٢/٢)، أن عبادة بن الصامت الأنصاري النقيب، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: غزا مع معاوية أرض الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير، وكسر الفضة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس، إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تبتاعوا الذهب بالذهب...» (ابن ماجة، ح ١٨). هو حديث صحيح الإسناد.

فهذا النداء النبوي بين أنه كلما ابتعد الناس عن هدي النبوة وزمانها وقعوا في ظلمات وورطات، بناء على ما وقع في حياتهم من مستجدات وإحداثيات، ومن المعلوم من الدين بالضرورة حرمة الربا، ولكن استجدت طريقة التعامل بالربا، بناء على ما اصطلاح عليه الناس من معاملات بالدنانير والدرهم بدلاً من الذهب والفضة، ولما وقع هذا التغير نازع بعض من زلت قدمه، وضل فهمه في جريان الربا في النقود التي بين أيدي الناس اليوم، فوقعوا في حرمة التعامل بالربا.

بلاغة النداء في الحديث النبوي:

للحديث عن بلاغة النداء في الحديث النبوي لا بدّ من الإشارة إلى أنّ البلاغة في بدايتها لم تكن كما هي عليه الآن فالعرب يعرفونها عبر الفطرة، فكانوا يضربون خيمة للنايعة بسوق عكاظ في الجاهلية ويأتي الشعراء ويعرض عليه كل منهم شعره ليميز بين جيده ورديئه، وهذه دلالة واضحة على أنّ هناك مقاييس معينة لاختيار أفضل الشعر، وهذا يؤكد أنّ العرب عرفوا البلاغة، ولكنها البلاغة الفطرية.

وقد صور القرآن الكريم والسنة النبوية هذه المراتب الرفيعة من بلاغة العرب في غير موضع، وقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم قوة الفصاحة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «بعثت بجوامع الكلم...» (البخاري، حديث ٧٠١٣) أي أعطي عليه الصلاة والسلام الكلمات البليغة الوجيزة الجامعة للمعاني الكثيرة. (المناوي ١٤٠٨هـ) ومما يؤكد بلاغة النداء النبوي ما جاء علي لسان خديجة رضي الله عنها حينما ذهبت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل. (ابن عساكر ١٤١٥هـ) فقالت: (يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى...» (البخاري، ح ٣). فلما أرادت السيدة خديجة رضي الله عنها مخاطبة ورقة بن نوفل استخدمت أسلوب النداء وذلك للترقيق حيث قالت: (يا ابن عم)، والقصد من هذا النداء الترقيق والاستعطاف، والأصل في هذا النداء: يا ابن عمي، فحذفت ياء المتكلم تخفيفاً، وهذا الحذف مخصوص بأسلوب النداء وهو الذي يسمى بأسلوب الترخيم، فدل هذا النداء على بلاغة أسلوب النداء في السنة النبوية الشريفة المطهرة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين.
أما بعد:

فإنه بعد أن فرغت من كتابة هذا البحث بحمد الله وتوفيقه أشير إلى النتائج التالية:

- ١ - النداء من الأساليب الخطابية التي تداولها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته.
- ٢ - النداء له جملة من الوظائف التبليغية في الخطاب النبوي.
- ٣ - النداء في السنة النبوية لا يخلو من أمرين إما أمر يُمتثل أو نهي يُجتنب.
- ٤ - النداء في السنة النبوية من الأساليب التي تفيد التنبيه والاستعداد في معظم حالاته.

المصادر والمراجع:

١ - القرآن الكريم.

١. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: للمؤلف مجد الدين أبو السعادات

المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن

الأثير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر

أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

٢. ابن السكيت: القلب والإبدال: لأبن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت

٢٤٤هـ).

٣. ابن العباس: المحيط في اللغة: لأبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس

(ت: ٣٨٥هـ).

٤. ابن بطلال: شرح صحيح البخاري لابن بطلال: المؤلف ابن بطلال أبو الحسن

علي بن خلف بن عبد الملك تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر:

مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن

محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى

محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥

هـ

٦. ابن حجر: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، الناشر: مكتبة المنار، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
٧. ابن حجر: تقريب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
٩. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقمه وكتبه أبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
١٠. ابن سعد: الطبقات الكبرى: أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
١١. ابن عساکر: تاريخ دمشق: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساکر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
١٢. ابن فتوح: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥.

١٣. ابن ماجة: سنن ابن ماجه: للإمام ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٤. ابن منظور: لسان العرب: للمؤلف محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
١٥. أبو الفيض: تاج العروس من جواهر القاموس: للمؤلف محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، الناشر: دار الهداية.
١٦. أبو داود: سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٧. أبو داود: صحيح أبي داود: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري الألباني، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.
١٨. أسلوب النداء في القرآن الكريم دراسة بلاغية: رسالة ماجستير إعداد الطالب حبيب محمد محمد إبراهيم، إشراف د. المشارك محمد حسن عطا المنان.
١٩. الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي.
٢٠. البخاري: صحيح البخاري: للإمام محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢١. البيهقي: شعب الإيمان: للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريره أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢. الترمذي: سنن الترمذي: للإمام محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق:، أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
٢٣. الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).
٢٤. الحلبي: نهاية الاغتيال بمن رمي من الرواة بالاختلاط: لبرهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي سبط ابن العجمي، تحقيق: علاء الدين علي رضا، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨ م.
٢٥. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢٧. الرازي: مختار الصحاح: زيد الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥ (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
٢٨. السمعاني: الأنساب: للمؤلف عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

٢٩. الشايب: الأسلوب: للمؤلف أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣.
٣٠. الفيروزآبادي: القاموس المحيط: للمؤلف مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣١. المخزومي: النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، لبنان، بيروت، ط٢: ١٩٨٦م.
٣٢. المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للإمام يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
٣٣. مسلم: صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٤. المعجم الوجيز: معجم اللغة العربية، جمهورية مصر العربية.
٣٥. المناوي: التيسير بشرح الجامع الصغير: للمؤلف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٣٦. النسائي: سنن النسائي: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
٣٧. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٣٨. الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: للمؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
٣٩. الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

مستقبل مهنة المكتبات من وجهة نظر غير المتخصصين في السودان دراسة استكشافية

د. فضل عبد الرحيم عبد الله^(١)

د. محمد عبد الله عيساوي

مستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مستقبل مهنة المكتبات في عصر تقنية المعلومات والاتصالات، وذلك من خلال استطلاع وجهة نظر غير المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات من مختلف الفئات التي تستفيد من خدمات هذه المكتبات. تركز فكرة الدراسة على قناعة مقدميها أن للمهنة رجالها القادرون على المضي بها قدماً نحو غاياتها المرجوة في عصر التطورات التقنية المتسارعة، كما كانوا وما زالوا منذ أن سجل الإنسان الأول معارفه البسيطة على وسائطه البدائية، مروراً بما آل إليه الحال في ظل تقنيات المعلومات والاتصالات المتطورة. ولكن تبرز المشكلة فيما يفكر فيه غيرهم تجاه المهنة ومستقبلها وهل انتهى عصر المكتبات من وجهة نظرهم؟ وهل توفر الشبكات ووسائل الاتصالات ما يسد حاجاتهم نحو المعلومات بدون الحاجة للمصادر التقليدية أو لاستشارات وخدمات أمناء المكتبات واختصاصيي المعلومات في الحال وفي المستقبل؟ استخدم الباحثان أسلوب المسح ودراسة الحالة للعينات موضوع الدراسة في السودان ووظفا المنهج الوصفي التحليلي والمداخل الاستقرائية؛ بغرض التعرف على وجهات نظر المستهدفين. وتكون مجتمع الدراسة من عينة مقصودة من المثقفين عموماً ومرتبدي المكتبات من أساتذة الجامعات والباحثين، وطلاب الجامعات في مراحل الدبلومات التقنية والبيكالوريوس والدراسات العليا، وكذلك العاملين في القطاعين الحكومي والخاص والمسؤولين ومتخذي القرار. أما أدوات جمع المعلومات الرئيسية في هذه الدراسة فهي الاستبانة والمقابلة، بالإضافة إلى استصحاب الأدبيات المنشورة واستشراف المستقبل.. وتحليل النتائج الأولية تبين أن هناك رؤية متباينة تجاه مستقبل المهنة، بعضها يرجع لقصور فهم غير مقصود لدور المهنة ومنسوبيها وأوضاعهم الوظيفية والاجتماعية

(١) جامعة النيلين، كلية الآداب، قسم المكتبات

(٢) جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب، قسم المكتبات

وأخرى لغياب ثقافة المكتبة في حياة قطاعات كبيرة في المجتمع السوداني. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها إن مفهوم المكتبة ظل ثابتاً رغم تطور أشكال مصادر المعلومات، وإن غالب افراد العينة يفضلون المصادر التقليدية والحديثة معاً، ويمكن اعتبار ذلك مؤشراً علي ثبات مفهوم المكتبة.

الإطار المنهجي للدراسة

توطئة

تأثرت مؤسسات المعلومات بمختلف أنواعها ودور وثائق وأرشيف بتطور تقنيات المعلومات والاتصالات والشبكات، وفرض هذا التطور على القائمين على أمر هذه المؤسسات من الأمناء واختصاصيي المعلومات تحديات كبيرة تتطلب مهارات جديدة وخدمات متطورة؛ بهدف تقديم الخدمات المناسبة والملائمة لتلبية احتياجات المستفيدين. ومعلوم أن مهنة المكتبات مهنة عريقة، صاحبت بداية تسجيل الإنسان معارفه البسيطة على أقرب الوسائط الموجودة حوله، بدءاً بجدران الكهوف وألواح الطين والعظام والجلود، ثم خط معارفه من بعد على أوراق البردي. وحينما اكتشف الورق انتشرت المطبوعات بكافة أشكالها وأنواعها، ثم ظهرت المواد المسموعة والمرئية، والمصغرات الفيلمية والأشرطة المغنطة والمضغوطة وملفات الحاسوب. وبدأت بعض المكتبات تتحول تدريجياً إلى أشكال رقمية وبشكل كامل، وبعضها الآخر تحول بشكل تدريجي من المكتبات الورقية إلى المكتبات الرقمية مع الاحتفاظ بالأصل الورقي. والكثيرون يتوقعون أن تصبح المكتبات في المستقبل القريب مكتبات افتراضية - بلا جدران - يعتمد إتاحة المعلومات فيها على الوصول الحر عبر وسائط الاتصال عن بعد. وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على رؤية غير أهل التخصص لمستقبل المهنة في ظل هذا التسارع التقني والتغير الحاصل في سلوكيات المستفيدين تجاه حصولهم على المعلومات.

مشكلة الدراسة

تبرز مشكلة الدراسة فيما يفكر فيه غير المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات تجاه المهنة ومستقبلها وهل انتهى عصر المكتبات من وجهة نظرهم؟ وهل يمكنهم الاستغناء عن المصادر الورقية؟ وهل توفر الشبكات ووسائل الاتصالات ما يسد

حاجاتهم من المعلومات بدون الحاجة لاستشارات وخدمات أمناء المكتبات واختصاصيي المعلومات في الحال وفي المستقبل؟ خاصة أن هناك سعيًا دؤوبًا من قبل أهل المهنة نحو اعتماد نظرية منهجية ومقررات دراسية تستوعب التطورات التقنية وتوظيفها، لتمكين المهنة وأهلها من مواكبة هذه المستجدات وتمكين المستفيدين من الوصول الحر للمعلومات.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. هل لا يزال مفهوم المكتبة ودورها في المجتمع قائمًا ومواكبًا للتكنولوجيا الحديثة؟
٢. ما أفضلية مصادر المعلومات لدى المستفيدين التقليدية أم الحديثة أم الاثنان معًا؟
٣. هل توفر المكتبة مصادر المعلومات التي تلبي حاجات المستفيدين؟
٤. ما مؤشرات مستقبل المهنة وفقًا لرؤية مرتادي المكتبات؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها تعكس وجهات نظر المستفيدين الذين يرتادون المكتبات، وإلى أي مدى يجدون فيها ما يلبي حاجاتهم البحثية والقراءة والترفيهية، وهل يجد المستفيدون في الإنترنت ما يغنيهم عن ارتيادهم المكتبات؟ أم أن الإنترنت نفسه تم توظيفه عبر المكتبات للوصول إلى قواعد البيانات ومراسد المعلومات التي تتيح النصوص الكاملة ومقالات الدوريات المتخصصة في مجالات اهتمامهم؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على التوقعات المستقبلية لمهنة المكتبات اعتماداً على توقعات وآراء غير المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات من طلاب الجامعات في مختلف مراحلها من دبلومات وسيطة وبكالوريوس ودراسات عليا وأساتذة الجامعات والعاملين في القطاعين العام والخاص في الدرجات الوظيفية العادية والقيادية وذلك بهدف التعرف إلى ما يلي:

١. مكانة مهنة المكتبات والمعلومات في المجتمع.
٢. تأثير البيئة العامة للمكتبات من مبانٍ وأثاث وتجهيزات على المهنة.
٣. تأثير ثقافة المعلومات والاتصالات ومطلوبات المواكبة المستقبلية للمهنة.
٤. مؤشرات مستقبل المكتبات وفقًا لرؤية المستفيدين من خدمات المكتبات.

حدود الدراسة

الحدود الموضوعية للدراسة تنحصر في محاولة تلمس وجهات نظر غير المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات من الطلاب والأساتذة والباحثين في الجامعات المختلفة والعاملين في القطاعين العام والخاص من السودانيين نحو مستقبل مهنة المكتبات والمعلومات ومحاولة استشراف مستقبل المهنة في ظل تطور تقنيات المعلومات والاتصالات. وتقع الحدود المكانية للدراسة في جمهورية السودان ممثلة في ولاية الخرطوم. أما الحدود الزمنية للدراسة تبدأ من منتصف العام ٢٠١٨ وتنتهي بنهاية العام. وهي الفترة التي أُعدت فيها الدراسة.

منهج الدراسة ومجتمعها والأدوات المستخدمة فيها

بدأ الباحثان بمراجعة الإنتاج الفكري المتعلق بموضوع الدراسة، كما اعتمدا أسلوب ومنهج المسح Survey study method لمتابعة ورصد آراء عينة عشوائية Random sampling من مجتمع الدراسة وهي العينة التي يتم تجميعها من عدة عناصر ... بحيث تكون لها فرص الاحتمال نفسها عند وقوع الاختبار، وعادة ما تشمل هذه العينة عينة صغيرة من مجتمع العينة الأصلية وتجمع بطريقة عشوائية (عبد الغفور: ٢٠٠٠: ٢٤٨).

استهدفت عينة من ثلاثمائة متردد على المكتبات، استجاب منها عدد اثنين وأربعين ومائتي متردداً (٢٤٢) وذلك في قطاع الدارسين والباحثين ومستخدمي المكتبات بوجه خاص. ومن ثم إخضاع المعلومات للوصف والتحليل وفق المنهج الوصفي التحليلي Descriptive method. ووظفت الاستبانة كأداة رئيسة لجمع المعلومات وكذلك المقابلة والملاحظة مؤكدين على ذلك من خلفية الاهتمام والتخصص في المجال.

الدراسات السابقة

يستعرض الباحثان عدداً من الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع ومنها:-

١. دراسة جوزيف جاستن و برامسوري (Joseph Jestin: 2007) التي هدفت إلى التعرف على التحديات التي تواجهها مهنة المكتبات في الهند، مؤكدة على عوامل تؤثر على مهنة المكتبات، منها العوامل التربوية والتعليمية والمنح الدراسية والاقتصاد والتقنية، وهذه العوامل تلعب دوراً مهماً في فهم حاجات المكتبات ومطلوباتها. وفي ظل هذه

العوامل والتحديات تحتاج المكتبات إلى أن تغير في مهامها التقليدية، وربما يقوم أمناء المكتبات بمهام استشارية في مجال المعلومات، والتخلي عن العمل التقليدي أو التقليل منه، وأن المكتبات ستتحول من مراكز للمقتنيات إلى مراكز إتاحة المعلومات وتقديم خدمات موجهة. ويمكن للمكتبات أن تواجه هذه التحديات من خلال خمسة محاور رئيسة تشمل: مشاركة المصادر والشبكات والجمعيات والاتحادات والبرمجيات وأخيراً المهارات المطلوبة.

٢. هدفت جوليا (Julia Dawn Paris: 1996) في دراستها عن الحاجة لتدريب أمناء المكتبات في عصر التقنية إلى التعرف على تأثير التقنية على المكتبات الأكاديمية، وبخاصة على رواد مكتبات جامعة ويستيرن كاب بجنوب أفريقيا. ومدى التغيير في مهام المكتبات الجامعية وفقاً للمطلوبات التي سوف تلعبها هذه المكتبات في المستقبل. وأكدت الدراسة على تأثير عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على مهام المكتبات التقليدية والطبيعية الديناميكية للمعلومات وإنتاجها وإدارتها واستخدامها وازدياد حركة نشر المطبوعات. كل ذلك أجبر المكتبات إما أن تتألف مع هذه الطبيعة الجديدة، أو أن تموت وتتلاشى معلة ذلك باستخدام التقنيات الحديثة والشبكات وقواعد البيانات المنتشرة في العالم؛ الأمر الذي يتطلب مهارة ودرجة عالية من التخصص التقني والمعرفي مما يقود إلى ضرورة التدريب المستقبلي لأمناء المكتبات الجامعية.

٣. استعرضت دراسة سميث (Smith: 2007) تأثير تقنيات المعلومات على كل من المكتبات والمستفيدين على حد سواء، فالتطور الحاصل في شبكات المعلومات الإلكترونية جعلت المستفيد يحصل على المعلومات بدون الحاجة إلى الذهاب إلى المكتبة. وجعلت أمناء المكتبات يعملون خارج جدران المكتبة؛ ولذلك فإن مبنى المكتبة لن يكون ضرورياً في المستقبل. وقد توقعت الدراسة أن يكون دور المكتبي في العصر الإلكتروني هو التحول إلى عالم المستفيد، والاهتمام باحتياجاته من خلال تدريبيه وتعليمه وتوفير برامج المهارات المعلوماتية، والتأكيد على الاستراتيجيات المستخدمة في البحث لغرض الوصول إلى القوائم الإلكترونية والندوات والمؤتمرات والدوريات الإلكترونية وقواعد البيانات ونظم وخدمات المعلومات.

٤. عالجت دراسة داري آي سي (Youngman Dary I C. : 1999) مهام الكادر المكتبي في عصر التكنولوجيا والعناصر الأساسية لإمكانات التغيير، وتوصلت الدراسة إلى عدة نقاط أساسية منها: أن كل المؤشرات تدل بأن التغيير سيستمر في مهام المكتبات وخدماتها، وأن أمناء المكتبات يتحركون بشكل دراماتيكي باتجاه مهام مختلفة مثل الخدمات الجديدة التي ظهرت، والخدمات التي ستظهر في المستقبل، وأن الموارد البشرية تعتبر شيء جوهري لنجاح كل خدمة مبنية على التكنولوجيا، وأن تقوم المكتبات بتطوير خدمات جديدة، وفي الوقت ذاته تقوم بتطوير الخدمات التقليدية الموجودة وتعتمد في ذلك على الكادر الوظيفي الموجود وبدون زيادة. كما أوضحت الدراسة أن ضمان الخدمات الإلكترونية يتطلب مهارات تقنية خاصة، وربما تعتمد على استغلال مهارات المكتبيين المتمرسين، وستواجه المكتبات زيادة في الطلب على الخدمات مع وجود كادر مكتبي محدود وميزانية محدودة، وستكون المهام الجديدة لأمين المكتبة إضافة إلى المهام القديمة وليست بديلاً عنها، وسيقوم أمناء المكتبات بتنمية وتطوير مهارات جديدة والاعتماد على مهام جديدة لضمان نجاح الخدمات المبنية على التكنولوجيا، وستؤثر التكنولوجيا على كل مظهر من مظاهر العمل المكتبي تقريباً مثل القوائم بعملية الاختيار والمفهرس وأخصائي المراجع.

٥. دراسة أوتو (Otto: 2000) عن خدمات المكتبات الأكاديمية مستخدمة أسلوب دلفي للتنبؤ بدور أمين المكتبة الأكاديمية في القرن الحادي والعشري، وقد شمل التقرير الذي قدم عن هذه الدراسة إلى المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية لكليات المكتبات في عام ١٩٨٠م تحليلاً للجولات الثلاث المتبعة في أسلوب دلفي والتنبؤات عن أدوار ووظائف أمناء المكتبات الجامعية عام ٢٠٠٠م وقد اعتمدت الدراسة على خبراء يعملون كمدرء للمكتبات الجامعية وأعضاء هيئة التدريس في معاهد وكليات المكتبات والمعلومات، ومن بين المجالات التي شملها التنبؤ هي المقررات الدراسية المستقبلية لكليات وأقسام المكتبات والمؤهلات الأكاديمية واللغوية لأمناء المكتبات في القرن الحادي والعشرين.

٦. هدفت دراسة الوكالة السويدية للتطوير الإداري بعنوان "استخدام أسلوب دلفي في التخطيط لمستقبل المكتبات" (أحمد بدر : أسلوب دلفي، ١٥-١٦) إلى تنظيم المكتبات

البحثية في السويد. وقد تضمنت الدراسة حوالي مائتي حدث واحتمالات وقت حدوثها، ووضعت هذه الأحداث في ثلاث مجموعات هي: مكتبة المستقبل، الاكتشافات التكنولوجية في استرجاع ونقل المعلومات، وأخيراً التطورات المستقبلية في التوثيق والمعلومات وقد أعتمد في دراسة دلفي هذه ٤٩ خبيراً في مختلف الاختصاصات وأعد لهذا الغرض ثلاث جولات، وكان من بين النتائج التي تتبأت بها الدراسة أن التطورات في أساليب الخزن والاسترجاع ونقل المعلومات ستؤدي إلى استخدام وسائط اتصال جديدة على نطاق واسع، وستحل الأوعية الإلكترونية مكان الوسيط الورقي، وسيتم ميكنة وحدات التوثيق والمعلومات التي تؤدي وظائف اختزان وبث المعلومات أما عمليات تجهيز المعلومات وتحليلها فستظل يدوية.

٧. دراسة (محمد أحمد السنباني ومحمد عودة عليوي: ٢٠١٠) عن مهنة المكتبات وتحليلتها المستقبلية والتي هدفت إلى استشراف مستقبل المهنة عبر استقراء آراء خبراء في المجالات المختلفة وعددت الدراسة أسباباً تسهم في تدني المهنة منها ما يتعلق بالتكوين والتدريب، ومنها ما يتعلق بالأوضاع المهنية والاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى ما ترتب على التقنية وأثرها في مجالات التعاون بين المكتبات. وخلصت الدراسة إلى أن الاهتمام بأسباب التدني ومعالجتها يمكن أن يؤدي إلى نهضة المهنة في المستقبل.

٨. دراسة (يوفنشوش نصيرة: ٢٠١٧) ذهبت إلى أن مفهوم المكتبات تطور تطوراً ملموساً عبر العصور حتى أصبحت المكتبة العمود الفقري لبنية المجتمع التحتية. وقد أدى هذا التطور إلى أن يكون أمين المكتبة واسع الاطلاع مدركاً لأهمية تنمية قدراته المهنية ومتابعاً للتطورات على الساحة المعلوماتية، وأصبحت له مسميات منها وسيط المعلومات في ظل ما يُعرف بتسويق المعلومات فنشأت صناعة المعلومات أو صناعة المعرفة.

هدفت الدراسات السابقة إلى التعرف على التحديات التي تواجهها مهنة المكتبات في ظل التطور التقني، والعوامل التي تؤثر فيها. وتوصلت إلى أن هنالك مهاماً جديدة يتطلبها الواقع الجديد من أمناء المكتبات، والتخلي عن العمل التقليدي أو التقليل منه، وستكون المهام الجديدة لأمين المكتبة إضافة إلى المهام القديمة وليست بديلاً عنها، وهو التحول

إلى عالم المستفيد، والاهتمام باحتياجاته من خلال تدريبه وتعليمه وتوفير برامج المهارات المعلوماتية، وأن الموارد البشرية تعتبر شيء جوهري لنجاح كل خدمة مبنية على التكنولوجيا. وإن التطورات في أساليب الخزن والاسترجاع ونقل المعلومات ستؤدي إلى استخدام وسائل اتصال جديدة على نطاق واسع، وستحل الأوعية الإلكترونية مكان الوسيط الورقي، وسيتم ميكنة وحدات التوثيق والمعلومات التي تؤدي وظائف اختزان وبحث المعلومات أما عمليات تجهيز المعلومات وتحليلها فستظل يدوية.

ويخلص الباحثان أن التحديات المستقبلية للمهنة ترتبط بقدرة أمناء المكتبات واختصاصي المعلومات من مواكبة التغييرات التكنولوجية، وبهذا تحتفظ المكتبة بكيوننتها ودورها الحيوي. وهذا ما يحاول الباحثان ان ينلمسوا في هذه الدراسة عن رؤى أهل السودان من غير المتخصصين في مجالات علوم المكتبات والمعلومات.

مفاهيم وأدبيات الدراسة

مفهوم المكتبة

المكتبة Library هي مجموعة من الكتب وغيرها من المواد المطبوعة وغير المطبوعة، محفوظة في مكان ومسجلة ومنظمة بغرض استخدامها والإفادة منها. قديماً حفظ السومريون في بلاد ما بين النهرين آثارهم الفكرية في مكتبات سموها "بيت اللوحات" كما سمي المصريون القدماء مكتباتهم بأسماء عديدة مثل "بيت الكتابات المقدسة" و "مكان إنعاش الروح" وغير ذلك من الأسماء الدالة على التدين. وقد استخدم اليونان كلمة ببليوتيكا Bibliotheka للدلالة على المكتبة والتي تتألف من مقطعين الأول هو الكتاب Biblion والآخر هو المكان الذي يُحفظ فيه الكتاب وهو Theke ولا تزال الكلمة مستخدمة في الدول اللاتينية للدلالة على المكتبة؛ فيطلق على المكتبة الوطنية في فرنسا Bibliothèque Nationale والبريطانيون يسمون القائم بأمر الكتاب في المتحف البريطاني الحارس Keeper للدلالة على مهمته في الحفاظ على الكتاب. واستخدم الرومان مصطلح Libri للمكان المعد للقراءة والبحث.

استخدم المسلمون في الحضارة الإسلامية كلمات مثل "بيت ودار وخزانة" للدلالة على المكتبة. فكان "بيت الحكمة" في بغداد و"دار الحكمة" في مصر و"خزانة القرويين" في المغرب وفي العصر الحاضر استخدم العرب مصطلح دار للدلالة على المكتبة الوطنية،

في بعض البلاد مثل مصر وقطر وسوريا وغيرها، وبعضها الآخر يستخدم مصطلح مكتبة مباشرة ومن ذلك المكتبة الوطنية السودانية. ولكن كلمة مكتبة أصبحت أكثر على الرغم من تنازع استخدامها لشيئين مختلفين تماماً مكان حفظ الكتب للاطلاع والبحث وكذلك محلات بيع الكتب. (أحمد بدر: ١٩٩٦، ٢٧١).

كما ذكر سابقاً فإن المكتبة هي مجموعة من الكتب وغيرها من المواد المطبوعة وغير المطبوعة، محفوظة في مكان ما ومسجلة ومنظمة بغرض استخدامها والإفادة منها. ومواكبة للتقنية الحديثة لم تعد مقتنيات المكتبات كلها تحفظ بين الجدران فأصبحت "مكتبات إلكترونية" Electronic Libraries "مكتبات بلا جدران" Libraries without walls و"مكتبات افتراضية" Virtual Libraries و"مكتبات رقمية" Digital Libraries و"مكتبات هجين" Hybrid Libraries ولا يوجد البتة فصام أو انفصال بين ما ذكر من تسميات جديدة وما يقول عنه البعض أنه مكتبات تقليدية ومكتبات حديثة. المكتبة هي المكتبة وإن اختلف شكل الوسيط الحامل للمعلومات منذ أن كان الوسيط حجراً أو عظماً أو لوح طين أو خشب أو رق (جلد) أو بردي أو ورق ومن ثم ظهرت الأشرطة المغنطة والمواد المسموعة والمرئية ولأقراص المدمجة وملفات الحاسوب ومصادر الإنترنت... ولكن الواقع يقول أنه لا تستطيع مكتبة - أينما وجدت وكيفما كانت - أن تسع كافة مواعين المعرفة، فأصبحت المكتبات تتشارك في المصادر عن بعد عبر المستودعات الرقمية ومراصد المعلومات؛ وما عاد أمين المكتبة حارساً للكتب بل أصبح اختصاصي معلومات ومديراً للمعرفة.

ومعلوم أن المكتبات أنواع خمسة هي: المكتبات المدرسية School Libraries وتكون في جميع مراحل التعليم دون الجامعي لخدمة التلاميذ والمدرسين لتحقيق أهداف العملية التعليمية. والمكتبات الأكاديمية Academic Libraries وتكون في المعاهد العليا والكليات والجامعات لمساندتها في أداء رسالتها العلمية تحقيقاً لخدمة المجتمع والدولة. والمكتبات المتخصصة Special Libraries تكون في مؤسسات القطاع العام والخاص وتخدم منسوبي هذه المؤسسات. والمكتبة الوطنية National Libraries وهي مكتبة الدولة الرسمية وتتمتع بحق الإبداع القانوني ووظيفتها حفظ التراث الفكري الوطني وتنظيمه والتعريف به. وأخيراً المكتبات العامة Public Libraries وتكون في المدن

والأحياء والأرياف وبعض دور الرعاية الاجتماعية، وتتاح خدماتها لكافة قطاعات المجتمع بلا مقابل (مجاناً) فالمكتبة العامة في المفهوم العام أنها: تُنشأ من قبل سلطة (محلية/ ولائية) تمول من ميزانية السلطة (المحلية/ الولاية) تخدم العامة بمختلف فئاتهم، وأعمارهم، ومستوياتهم التعليمية، وبدون تمييز بسبب الجنس أو الدين أو العرق، وتتحقق فيها الحرية إذ يرتادها القراء بمحض إرادتهم بلا إجبار ولا إكراه؛ للاستفادة من مصادر المعلومات بأشكالها المختلفة بما يتناسب وبيئتها المحلية.

مفهوم مسمى أمين المكتبة

سُمي أمين المكتبة في العراق القديم (بلاد الرافدين) بحارس الكتب، وكان من الواجب أن يكون متخرجاً من مدرسة الكتبة التي تُعلم الكُهان القراءة والكتابة، ومتمرساً على نسخ السجلات وحفظها. وكان يُلقب بألقاب كثيرة تشير إلى أهميته وإلى طبيعة محتويات مكتبته.

وفي مصر القديمة كان من مهام أمناء مكتبة الإسكندرية: جمع التراث القديم، والبحث والتدريس والتمحيص والتأليف، وكذلك تنظيم المجموعات تنظيمياً ييسر سبل الاطلاع على محتوياتها بما يحقق أغراض الباحثين.

أما عند العرب والمسلمين وأبان ازدهار الحضارة الإسلامية فقد انتشرت المكتبات في طول البلاد وعرضها وتنوعت أهدافها وأغراضها واهتماماتها، وقصدها الباحثون والعلماء وطالبو العلم من كل حذب وصوب. وكان تدار هذه المكتبات تحت إدارة ثلاثة أشخاص: المشرف الأعلى ويسمى (الوكيل) وأمين المكتبة ويسمى (الخازن) ومساعد ويسمى (المشرف) و تغيرت هذه الأسماء مع الزمن وفقاً لطبيعة المكتبة ووظيفتها وحجمها، ولكن حوافظ على هذا النظام الثلاثي وإن كان هناك تغير في الأسماء والمناصب.

وتكاد تتطابق مهام أمين المكتبة الرئيسة في الزمن القديم وفي العصر الحال، ويكون الاختلاف - إن وُجد - بسبب تغير شكل الوسيط الناقل للمحتوى. ومن أهم المهام يجيئ إقتناء مصادر المعلومات، ففي القديم كان شراء المخطوطات وغيرها من المواعين المتاحة، ومن ثم العمل على وصفها وتصنيفها، واليوم يستمر الشراء وبدعم بالإتاحة عن بعد عبر وسائل النقل والتراسل. وفي القديم كانت مهمة أمين المكتبة تصوب نحو

الإشراف على النسخ والنساخ، والاعتناء بالمخطوطات القديمة، وإخراج التالف منها، وإحلال مخطوطات جديدة محلها. وما دونهم من العاملين العاديين (غير المختصين) فيقومون بالأعمال المطلوبة منهم تحت إشراف رؤسائهم من الأمناء. فاليوم تعقدت المهام وتداخلت، بحيث أصبح أمين المكتبة باحثاً ومحققاً ومنتجاً للمعرفة ودالاً عليها ومعلماً لمهارات الوصول إلى المعرفة بكافة أشكالها دون قيد بزمان ومكان. ولا يزال الفهم لدى طوائف من الناس أن أمين المكتبة (Librarian) هو ذلك الموظف التقليدي الذي وُظف للحفاظ على الكتب وتقديمها لمن يطلبها. ولكن النظرة إليه اليوم في عصر السرعة الفائقة في انتقال المعلومات Information super high way حتمت أن يسمى من يدير المحتوى أيّاً كان شكل المحتوى أو وسيطه أو مكانه هو المؤهل ليُطلق عليه اختصاصي معلومات أو مهندس المعرفة، أو مستشار المعرفة، أو اختصاصي مكتبة المستقبل (CYBRARIAN) يتعامل مع الأجهزة والحاسيب، يرى المصادر ولا يلمسها، موظفاً في ذلك مختلف شبكات الاتصال. ومع تزايد إنتاج المعلومات وظهورها في أشكال وأوعية مختلفة، تزايدت الحاجة إلى تطوير سبل تنظيم ومعالجة هذا الانتاج وإتاحته للمستخدمين من عتاد وبرمجيات ومعايير محتوى معيارية. وكان لابد من توفر الأطر البشرية المؤهلة والمدرّبة للقيام بهذه الأعمال في مكتبة المستقبل.

التحديات التي تواجه المهنة

يشهد العالم في وقتنا الحاضر تطورات سريعة ومتلاحقة، إذ لم يعد الفرد يتجول عبر محيط تحده الأسرة أو المدرسة أو المجتمع بل أصبح يدور في فضاء واسع وما لانهائي. وما عاد رب الأسرة بعد أن يغلق باب بيته وصغاره في غرفهم إلا أنهم يطوفون بهواتفهم المتعددة الخصائص كل أرجاء الكرة الأرضية لا تحدهم جدر أو حدود. وهذا التطور المذهل حتم على أمناء المكتبات التكيف تجاه هذه التغيرات؛ لأن نجاح أو فشل المكتبة يتوقف على مقدرة أمين المكتبة في ديمومة التكيف مع المتغيرات التكنولوجية المتسارعة. وعليه فإن مكتبة المستقبل تختلف اختلافاً واضحاً عن المكتبة التقليدية. فالمستودعات الرقمية حلت محل مخازن المصادر المطبوعة، وانتقال صناعة النشر من الطبع على الورق إلى النشر الإلكتروني. ومن تبدل الحال أن المقتنيات منها ما هو بالشكل التقليدي

الورقي، وبعضها متوفر بشكلين ورقي وإلكتروني، ومنها ما هو صادر ابتداءً بشكل إلكتروني. وهنا لابد من الاهتمام بحاجات المستفيد ودعم احتياجاته. وإلى وقت ليس ببعيد كانت المكتبة المكان الذي يقصده الناس للقراءة واستعارة الكتب والتعليم. إلا أن التطور التكنولوجي قد أتاح المجال للمكتبات لتصبح موزعاً إلكترونياً للمعرفة لمن يطلبها وهو في البيت أو في المكتب أو في أي مكان آخر يوجد فيه القارئ. ومكنت تكنولوجيا المعلومات المكتبات حتى الآن من توفير الوصول إلى النصوص والصور والتسجيلات السمعية والبصرية، المخزنة محلياً أو في أماكن بعيدة، كما مكنت من تحويل المجموعات الورقية المطبوعة أو غير المطبوعة إلى أشكال إلكترونية يمكن ترسلها مع مستفيدين بعديين.

وفي عالم أصبح التوجه فيه أكثر نحو المرئيات، أصبح من الضروري أن تطور المكتبات أساليب عملها لاستيعاب هذه التغيرات. كما أن بروز تكنولوجيا المعلومات وتقنيات الحاسوب مع الاتصال والتصوير الرقمي والأفلام المرئية المتحركة مع الصوت؛ مكّن المكتبات من توفير توليفة قوية ومتعاظمة من أساليب بث المعلومات وإيصالها للمستفيد النهائي، في المكان الذي يقرره وبالشكل الذي يناسبه.

ولكي تتمكن المكتبات من الاستمرار كمهنة وكمؤسسات، فإن عليها قيادة المؤسسات التابعة لها نحو بناء وتقوية البنية التحتية اللازمة لتكنولوجيا المعلومات، فعلى سبيل المثال أصبحت الأقراص المتراسة والوسائط متعددة التفاعل، والنصوص المقروءة آلياً وعبر الإنترنت، والمواد المخزنة ضوئياً، أصبحت بشكل متزايد جزءاً لا يتجزأ من المجموعات المكتبية، وأصبحت هذه المجموعات متوفرة عبر برمجيات محملة على الشبكات المحلية ومرتبطة أيضاً مع الإنترنت، فالشبكة المحلية بما توفره من قدرة للبحث في مجموعة كاملة من الأقراص المتراسة المحملة على خادم خاص بها ومرتبطة مع الإنترنت، وفرت طريقة متكاملة للحصول على المعلومات من مصادر داخلية وخارجية بشكل غير مرئي للمستفيد النهائي، وأصبح مستخدم المكتبة أكثر انسجاماً مع وجود الحواسيب حوله، فهو يستخدم النشرات الإلكترونية والبريد الإلكتروني وخدمة البحث المباشر والبحث في قواعد البيانات المحلية من نفس الموقع.

ومن هنا يتوجب على المكتبات أن تطور طرقاً ووسائل لإدارة عمليات الوصول إلى المعلومات المتوفرة بأشكال إلكترونية، والمشاركة في الموارد وإتاحتها عبر الشبكات، كما كانت تفعل عبر السنوات السابقة في الإعارة المتبادلة والتعاون المكتبي. ولكي تصبح المكتبات إحدى مظاهر وأدوات عصر المعلومات؛ فإن عليها القيام بدمج الوسائل التقليدية لإدارة المعرفة مع التخطيط الاستراتيجي لما ترنو إليه، وتوفير الميزانيات المناسبة والاستفادة من التكنولوجيا المتاحة، وفوق كل ذلك تشجيع التغيير الإيجابي في الاتجاهات لدى العاملين في المكتبات نحو ذلك، إذ أن تحقيق توليفة متوازنة من إدارة نظم المعلومات ومناهج تعليم المكتبات، قد توفر الأساس المهني ذا الاتجاه الإيجابي لبناء المكتبة في القرن الحادي والعشرين (مكاني كريمة: ٢٠١١، ٢٢-٢٥)

الإطار التطبيقي للدراسة

جدول رقم (١)

توزيع أفراد العينة وفقاً للمؤهلات

البيان	دكتوراه	ماجستير	دبلوم عالي	بكالوريوس	دبلوم وسيط	المجموع
التكرار	١٧	٥١	٤٥	١١٣	١٦	٢٤٢
النسبة المئوية	٧%	٢١%	١٩%	٤٧%	٦%	١٠٠%

يتبين من الجدول رقم (١) أن حملة الدرجات العليا من دبلوم عالي (١٩%) وماجستير (٢١%) ودكتوراه (٧%) والطلاب من حملة درجة البكالوريوس (٤٧%) وأخيراً طلاب الدبلوم الوسيط يشكلون (٦%) وتعكس هذه النسب توزيعاً طبيعياً يؤكد تمثيل العينة في مجتمع الدراسة. ويمكن قبول ذلك مؤشراً علي أن مهنة المكتبات وعلومها تجد تقديراً كبيراً لدى المستنيرين من غير المتخصصين، كما يمكن اعتبار ذلك مؤشراً علي أن المكتبات ما زالت تحافظ علي دورها مصدراً مهماً من مصادر المعلومات والمعرفة في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

جدول رقم (٢)

تقسيم أفراد العينة حسب النوع

البيان	ذكر	أنثى	المجموع
التكرار	١٢٥	١١٧	٢٤٢
النسبة المئوية	٥٢%	٤٨%	١٠٠%

يوضح جدول رقم (٢) أن المكتبات لا زالت تجتذب الجنسين بنسب متساوية تقريباً وهي (٥٢% للذكور مقابل ٤٨% للإناث) وتعكس هذه النسب أيضاً توزيعاً طبيعياً يؤكد تمثيل العينة في مجتمع الدراسة؛ مما يمكن أن يكون كذلك مؤشراً علي توفر الخدمات المناسبة لكليهما في المكتبات المبحوثة، ويشير ذلك أيضاً أن المهنة ومؤسساتها موضع تقدير المستفيدين باختلاف نوعهم.

جدول رقم (٣)

تقسيم أفراد العينة حسب العمر

البيان	٢٥ - ١٨	٢٥ - ٤٠	٤٠ فأكثر	المجموع
التكرار	٨٢	١١٢	٤٨	٢٤٢
النسبة المئوية	٣٤%	٤٦%	٢٠%	١٠٠%

نستنتج من قراءة بيانات الجدول (٣) أن الفئة العمرية ٢٥ - ١٨ تشكل (٣٤%) والفئة العمرية ٤٠ - ٢٥ تمثل نسبة (٤٦%) والفئة العمرية لما بعد الأربعين تمثل (٢٠%) وهذا معناه أن مجمل الفئتين العمريتين ١٨-٤٠ تمثل الشباب وهي تشكل غالب رواد المكتبات (٨٠%) وتؤكد هذه النسب كذلك أن التوزيع العمري يشكل توزيعاً طبيعياً يؤكد تمثيل العينة في مجتمع الدراسة؛ ويمكن اعتبار ذلك مؤشراً أن المكتبات ما زالت محافظة علي موقعها لدى فئة الشباب، رغم ما يشاع أن وسائل الإتصال الحديثة قد نجحت في توفير حاجتهم من المعلومات بسرعة وسهولة. ويمكن القول بأن المكتبات تتفوق علي هذه الوسائل في جودة المعلومات وموثوقيتها.

جدول رقم (٤)

ثبات مفهوم المكتبة رغم تطور أشكال المصادر

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	١٨٣	٢٣	٣٦	٢٤٢
النسبة المئوية	٧٥%	١٠%	١٥%	١٠٠%

أكد المبحوثون من خلال بيانات جدول رقم (٤) أن مفهوم المكتبة ما زال ثابتاً رغم تطور أشكال المصادر؛ فالذين يوافقون تبلغ نسبتهم (٧٥%) فإذا كان هذا هو رأي غير المتخصصين من رواد المكتبات؛ فينبغي على المتخصصين التمسك بمفهوم المكتبة، مهما تغيرت أشكال مقتنياتها، هل يُقال مثلاً أن هذه مكتبة حجرية أو طينية أو جلدية

لأن مقتنياتهما من الحجارة أو ألواح الطين أو الجلود. أو يُقال مكتبة ورقية وأخرى غير ورقية. وهذا يؤكد بجلاء أن المكتبة هي المكتبة لا يتغير مفهومها بتغير أشكال الوسائط. ويمكن تخصيص فضاءات (أقسام) لأي شكل من أشكال مقتنيات المكتبة. فهناك قسم للرسائل الجامعية وآخر للدوريات وآخر للوسائط الإلكترونية. حتى لا تكون المكتبة الإلكترونية بديلاً عن المكتبة التقليدية. فلا فصام بين أشكال المصادر ولكنها سلسلة من المصادر في سياق التطور التاريخي.

جدول رقم (٥)

دور المكتبات في تنمية المجتمع

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	٢١٥	١٨	٩	٢٤٢
النسبة المئوية	%٨٩	%٧	%٤	%١٠٠

يوضح الجدول (٥) أن (٨٩%) من جملة المبحوثين يؤكدون أن هنالك دوراً رائداً للمكتبات في تنمية مجتمعاتها؛ مما يضيف مسؤوليات وأعباء جديدة علي العاملين فيها - خاصة المتخصصين - بضرورة تأهيل أنفسهم للقيام بهذه المهمة، ويتطلب ذلك إتقان مهارات الاتصال لتوعية المجتمع ومحاربة العادات الضارة وتلبية حاجات الناس البحثية في ظل التغير في سلوك المستفيدين في ظل التطورات التقنية.

جدول رقم (٦)

مواكبة المكتبات لتكنولوجيا المعلومات والاتصال

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	١١٤	٤٢	٨٦	٢٤٢
النسبة المئوية	%٤٧	%١٧	%٣٦	%١٠٠

أكد (٤٧%) من المبحوثين من خلال الجدول (٦) علي مواكبة المكتبات موضع الدراسة لتكنولوجيا المعلومات والاتصال، ويمكن أن يحسب ذلك لصالح هذه المكتبات، ويوجد الأسباب لأرتياد فئة الشباب لهذه المكتبات لتوفر حاجاتهم للتواصل مع أصدقائهم والتطواف علي كل جديد من خلال ما توفره لهم هذه المكتبات من منافذ للإنترنت.

جدول رقم (٧) يوضح أفضلية استخدام المصادر التقليدية

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	٩٢	٢٨	١٢٢	٢٤٢
النسبة المئوية	٣٨%	١٢%	٥٠%	١٠٠%

جدول رقم (٨) يوضح أفضلية استخدام المصادر الحديثة

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	١٥١	٢٧	٦٤	٢٤٢
النسبة المئوية	٦٢%	١٢%	٢٦%	١٠٠%

جدول رقم (٩) يوضح استخدام المصادر التقليدية والحديثة معاً

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	١٧٦	٣٤	٣٢	٢٤٢
النسبة المئوية	٧٣%	١٤%	١٣%	١٠٠%

يبين الجدول رقم (٧) أن (٥٠%) من المبحوثين يفضلون استخدام المصادر الحديثة للحصول علي احتياجاتهم من المعلومات، بينما يفضل (٣٨%) منهم المصادر التقليدية، ويشير ذلك أنه ما زال هناك نسبة مقدرة من المستفيدين تفضل المصادر التقليدية، مما يؤكد أن المكتبة الهجين التي تتنوع مقتنياتها بين القديم والحديث هي نوع المكتبات المفضل في مجتمعاتنا، كما يؤكد ذلك المبحوثون أيضاً من خلال الجدول (٨) والتي ارتفعت فيه نسبة من يفضلون المصادر الحديثة إلى (٦٢%) بينما انخفضت نسبة الذين يفضلون المصادر التقليدية إلى (٢٦%) خاصة وأن مؤشر غير المتأكدين التي جاءت في الجدول (٨) خصماً على المصادر التقليدية قد يفيد بتردد هذه المجموعة في تحديد خيارها، وتبين ذلك من مؤشرات الجدول رقم (٩) حيث بلغت نسبة الذين يفضلون استخدامهما معاً (٧٣%)، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه الباحثان من أن المكتبات التي تضم مقتنياتها كافة أشكال المصادر - تقليديها وحديثها - هي الأكثر قبولاً لدى المبحوثين.

جدول رقم (١٠)

تلبية المكتبات لحاجات الدارسين والباحثين

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	١٢١	١٨	١٠٣	٢٤٢
النسبة المئوية	%٥٠	%٧	%٤٣	%١٠٠

يبين الجدول رقم (١٠) أن (٥٠%) من المبحوثين يرون أن المكتبات تلبي احتياجاتهم الدراسية والبحثية، بينما يرى (٤٣%) منهم غير ذلك، ويمكن إعتبار ذلك مؤشراً على أن المكتبات موضع الدراسة يتحتم عليها إيلاء مزيد من الاهتمام بمقتنياتها ومقارنة ذلك بنوعية روادها والتعرف على حاجاتهم. وما لا يتوفر في هذه المكتبات من المصادر التي يفقدها المستفيدون، ويمكن أن يتم ذلك من خلال استطلاعات دورية للمستفيدين أو صندوق للشكاوي يضع فيه المستفيدون مقترحاتهم، كما يمكن أن يكون لاختصاصيي الخدمات دور في ذلك بتخصيص سجل لمصادر المعلومات التي يسأل عنها ولا تتوفر في المكتبة، ورفعها دورياً لإدارة المكتبة. والقراءة الفاحصة لهذه النسبة (٥٠%) يفسر في الغالب أن قصوراً في المكتبات تجاه توفير احتياجات المستفيدين في المكتبات المختلفة يقرأ من زاوية اختلاف اهتمامات المستفيدين.

جدول رقم (١١) يوضح توفير المكتبات للمصادر الملائمة للدارسين والباحثين

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	١٧٧	٣٠	٣٥	٢٤٢
النسبة المئوية	%٧٣	%١٢	%١٥	%١٠٠

جدول رقم (١٢) يوضح أن المكتبات تقوم بخدماتها لا بمقتنياتها

البيان	موافق	غير متأكد	غير موافق	المجموع
التكرار	١٢٨	٤٣	٧١	٢٤٢
النسبة المئوية	%٥٣	%١٨	%٢٩	%١٠٠

يوضح الجدول رقم (١١) أن غالبية المبحوثين يرون أن المكتبات موضع الدراسة توفر المصادر الملائمة لدراساتهم وبحوثهم ونسبة تبلغ (٧٣%) وبقراءة مقارنة مع ما ذهب إليه عدد مقدر من المبحوثين في الجدول السابق رقم (١٠) أن هذه المكتبات لا تلبي حاجات مستفيديها، ويمكن القول أن هذه المكتبات رغم عدم تلبية الحاجة الدراسية والبحثية لعدد مقدر من روادها، إلا أن ما يتوفر فيها من هذه المصادر ملائم لغالب

دراسات وبحوث المستفيدين. ويؤكد ذلك ما ذهب إليه ما نسبتهم (٥٣%) من المبحوثين في الجدول (١٢) من أن المكتبات تقوم بخدماتها لا بمقتنياتها. عليه يمكن القول أن هذه المكتبات رغم قصور مقتنياتها عن تلبية حاجة كل الدارسين والباحثين ولكن يمكنها معالجة ذلك بتحسين مستوى خدماتها من حيث السرعة والكفاءة، ومهارة اختصاصييها، ومن خلال التشابك مع المكتبات النظرية والتشارك في كم مقدر من قواعد البيانات التي توفر النصوص الكاملة.

جدول رقم (١٣)

تقوم المكتبات بخدماتها لا بمقتنياتها

البيان	الجمعيات المهنية النشطة			الاختصاصيون الأكفاء			البيئة الجاذبة			مهارات البحث والاسترجاع		
	موافق	غير متأكد	غير موافق	موافق	غير متأكد	غير موافق	موافق	غير متأكد	غير موافق	موافق	غير متأكد	غير موافق
التكرار	١٤١	٧٥	٢٦	١٦٥	٥٥	٢٢	١٦٩	٥٢	٢١	١٦٥	٥٧	٢٠
النسبة المئوية	٥٨%	٣١%	١١%	٦٨%	٢٣%	٩%	٧٠%	٢١%	٩%	٦٨%	٢٤%	٨%

واتساقا مع ما ذهب إليه الباحثان في قراءة بيانات الجدول رقم (١٢) جاءت بيانات الجدول رقم (١٣) لتؤكد أن جودة الخدمات هي الأساس في تقويم المكتبات، حيث أشار ما نسبتهم (٥٨%) من المبحوثين أن وجود الجمعيات المهنية النشطة يمكن أن يسهم في جودة خدمات هذه المكتبات، بينما يؤكد ما نسبتهم (٦٨%) أن توفر الاختصاصيين الأكفاء من العوامل المهمة من عوامل جودة الخدمات، ويضيف ما نسبتهم (٧٠%) أن البيئة الجاذبة هي كذلك عامل مهم للغاية يساعد في جودة الخدمات، وما نسبتهم (٦٨%) يرون أن توفر مهارات البحث والاسترجاع لدي المستفيدين يسهم بفاعلية في جودة خدمات المكتبات

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

أولاً: النتائج

بتحليل آراء المبحوثين ومن واقع خبرات الباحثين بحكم عملهما في المكتبات الجامعية لفترات طويلة خلصنا إلى النتائج التالية:

١. أن مرتادي المكتبات بحسب النسب الذي ظهرت في الدراسة يشكلون التوزيع الطبيعي لرواد المكتبات البحثية والأكاديمية وهي: دبلوم عالي (١٩%) وماجستير (٢١%) ودكتوراة (٧%) والطلاب من حملة درجة البكالوريوس (٤٧%) وأخيراً طلاب الدبلوم الوسيط يشكلون (٦%) وأن نسبة رواد هذه المكتبات من الجنسين متساو تقريباً (٥٢% ذكور، ٤٨% إناث) وتعكس هذه النسب توزيعاً طبيعياً يؤكد تمثيل العينة في مجتمع الدراسة وصدقها. وهذا مما يمكن أن يكون مؤشراً عن رضا المستفيدين بمختلف الفئات والنوع كذلك (ذكور/ إناث) عن خدمات هذه المكتبات، خاصة.
٢. إن غالب رواد هذه المكتبات من فئة الشباب أقل من أربعين سنة بنسبة (٧٥%) مما يمكن اعتماده مؤشراً على عدم مصداقية ما يشاع عن عزوف هذه الفئة عن ارتياد المكتبات، لحصولهم على مبتغاهم المعلومات عبر وسائل الإتصال الحديثة مثل الهواتف الذكية وغيرها. وقد يعود إرتيادهم لهذه المكتبات غالباً لتوفيرها آخر تقنيات المعلومات والإتصال.
٣. إن مفهوم المكتبة ظل ثابتاً رغم تطور أشكال مصادر المعلومات، وأن المكتبات تسهم بفاعلية في خدمة مجتمعاتها، حسب رأي ما نسبتهم (٨٩%) من المبحوثين، ولا شك أن ذلك يتطلب مزيداً من الجهود بتمليك الاختصاصيين مهارات الإتصال للتواصل مع جمهور هذه المجتمعات، للتعرف على حاجاتهم من المعلومات والمصادر المفضلة لديهم والعمل على توفيرها؛ لتتقن المكتبة دورها مركزاً للتوعية الثقافية والاجتماعية والسياسية.
٤. إن المكتبات المبحوثة تواكب تطورات تكنولوجيا المعلومات والإتصال. وإن غالب أفراد العينة يفضلون المصادر التقليدية والحديثة معاً، ويمكن اعتبار ذلك مؤشراً على ثبات مفهوم المكتبة.
٥. أن جودة الخدمات هي الأساس في تقويم المكتبات، حيث أشار ما نسبتهم (٥٨%) من المبحوثين أن وجود الجمعيات المهنية النشطة يمكن أن يسهم في جودة خدمات هذه المكتبات، بينما يؤكد ما نسبتهم (٦٨%) أن توفر الاختصاصيين الأكفاء من العوامل المهمة من عوامل جودة الخدمات، ويضيف ما نسبتهم (٧٠%) أن البيئة الجاذبة هي

كذلك عامل مهم للغاية يساعد في جودة الخدمات، وما نسبتهم (٦٨%) يرون أن توفر مهارات البحث والاسترجاع لدى المستفيدين يسهم بفاعلية في جودة خدمات المكتبات.

ثانياً: التوصيات

استناداً لما خلصت اليه الدراسة من نتائج يوصي الباحثان بما يلي:

١. علي المكتبات العمل لمواكبة التطورات في مجالات تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وتوفير الموارد اللازمة للحصول علي المصادر الرقمية والإشتراك في قواعد البيانات العالمية والدوريات العلمية.

٢. يقع علي عاتق الإختصاصيين في مجال المكتبات العبء الأكبر في ثبات مفهوم المكتبة، مما يتطلب منهم تخصيص أقسام داخل مكتباتهم للمصادر الرقمية، دون تسميتها بالمكتبة الإلكترونية حتى يقع الفصام بين المقتنيات التقليدية والحديثة.

مراجع الدراسة

١. أحمد بدر، ١٩٩٦. أساسيات في علم المكتبات والمعلومات. - الرياض: دار المريخ.
٢. عبد الغفور عبد الفتاح قاري، ٢٠٠٠. معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

٣. محمد أحمد السنباني. مهنة المكتبات واتجاهات المستقبل في الوطن العربي: دراسة استشرافية/ محمد أحمد السنباني، محمد عودة عليوي. - Cybrarian Journal. - ع ٢٢ (يونيو ٢٠١٠)

٤. مكاني كريمة. اخصائيو المكتبات بين التكوين الجامعي والمهنة المكتبية: دراسة حالة مكتبات جامعة معسكر/ إعداد مكاني كريمة؛ إشراف طبي غمارة. - الجزائر، ٢٠١١. - ص ص ٢٢ - ٢٥. - رسالة ماجستير. - متاح في: <http://alyaseer.Net/vg> بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ٢٠١٨

٥. يوفنشوش نصيرة. أمين المكتبات . - الجزائر ك المكتبة الوطنية الجزائرية، ٢٠١٧ في: [contact & biblionat. Dz](http://contact&biblionat.Dz) . تاريخ الاثاحة ٢٥ / ٠٦ / ٢٠١٨

6- Joseph Jestin K. J. & B. Parameswari . Challenges for Library Professionals in India in the New Millennium.- Library Philosophy and Practice, Vol. 4, No. 2 (Spring 2002), Retrieved May 13,2007 from : www.uidaho.edu/~mbolin/lppv4n2.htm

7- Julia Dawn Paris (1996) The Need to train librarians in data related issues.- Assist Quarterly (Summer,1996) Retrieved, May 13,2007 from:

<http://www.iassistdata.org/publications/iq/iq20paris.pdf>

8- Carol Newton Smith. & Sue White (1995) A Librarian without a library : the role of the librarian in an electronic age.- Retrieved May 13, 2007, from

<http://lisnews.org/articles/o2/02/18/035459.5htm/>

9- Youngman Daryl C. (1999) Library staffing consideration in the age of technology : Basic Elements for Managing Change-. Retrieved from : <http://www.ish.org/99-fall/article5.html>.

Otto, Theophil M. The Academic Libraries of the 21st Century :. 10 Public Service and Library Education in the Year 2000.- Journal of Academic Librarianship, 8 (2) June 82.

Wennerbey, UIF. Using the Delphi Technique for Planning the .11 Future of Libraries.- UNESCO Bull. For Libraries. Vol.XXVI, No. 5(Sept-Oct.1962) pp. 242-246.

المعاني والألفاظ في تصور علماء أصول الفقه

دكتورة عامرية فضل عثمان فضل^(١)

المستخلص:

إن قضية دلالة الألفاظ علي المعاني وماتنتطوي عليها من مباحث لم يختص بها النحاة واللغويين والبيانين فقط، بل دارت حولها مناقشات الأصوليين في القديم والحديث، وكان للأصوليين مع تقدمهم فيها رأي وتناولوها بالبحث والتحليل ولعلمهم أول من شغل بمشكل اللفظ والمعني تاريخياً، لارتباط ذلك بالحكم الذي يراد استنباطه وتطبيقه، خصوصاً وأن إدراكهم الصحيح لطبيعة اللغة، باعتبارها أداة للفكر وصورته المادية - كان بمثابة اللبنة الأولى في بحثهم لبعض جوانب فكرة النمو اللغوي عبر الزمن، فاللفظ في تصور علماء أصول الفقه دليل الفكر، وهو خاضع للتبدل والتغيير، فالمعاني أسبق في الفكر أولاً، ثم تقوم الألفاظ بعد ذلك بالتعبير عنه، وهو ما أطنب الأصوليون في الحديث عنها. إن فساد اللسان العربي ناتج من الاختلاط والتداخل بين الأعاجم والأعريب كثمرة من ثمرات الفتوح الإسلامية، مما أثمر ضعفاً في الملكات اللسانية، وإنما اعتبره المؤرخون من الأصوليين سبباً في تدوين هذا العلم لابتداء الاستنباط بل الاجتهاد في أفرعه ومحاوره كافة على سلامة اللسان وعلى معرفة دلالات الألفاظ، وعليه فإنهايار هذا الركن الركين، هو إنهاء لجدار الاجتهاد والذي هو عنوان الثقة التشريعية في علماء الأمة، لذا سارع الأصوليون فحموا أصول الاجتهاد من الاضطراب والتباين فدونوا ووضحوا معالم طريقه. اهتم الأصوليون في مؤلفاتهم العلمية على اللغة العربية لأن علم أصول الفقه مستمد في أحد جوانبه من اللغة العربية، ولم يقتصر الأصوليون على عموميات اللغة العربية بل تعدوا إلى تخصصاتها فتناولوا النحو والتصريف، وعلم اللغة، وعلوم البيان، والمعاني، والبديع.

مقدمة:

لما كان علم أصول الفقه مستمداً في أحد جوانبه من اللغة العربية، ولما كان تأثيرها في المسائل الأصولية مما لا يخفي، فقد اهتم بها الأصوليون في مؤلفاتهم العلمية - على

(1) أستاذ مساعد، كلية الشريعة والقانون بجامعة دنقلا

اختلاف مناهجهم التأليفية - اهتماماً كبيراً، حتى أنك تكاد لا تجد مؤلفاً أصولياً إلا وهو مشتمل على لغويات ونحويات في مسائل متفرقة.

الأصوليون لم يقتصروا في تناولها - في مصنفاتهم - على عموميات اللغة العربية، وإنما تعدوا إلى تخصصاتها فتناولوا النحو، والتصريف، وعلم اللغة، وفقه اللغة، وعلوم البيان، والمعاني، والبديع. ومن دلالات ذلك: أن الزركشي قد عقد فصلاً مستقلاً في بيان شرف علم الأصول، وأجاب فيه عن تساؤل إفتراضي عن كونه إلا نبذا جمعت من علوم متفرقة؟ وأوضح ذلك في أن الأصوليون دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب لم تصل إليها النحاة ولا اللغويين، فإن كلام العرب متسع والنظر فيه متشعب، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصولي باستقراء زائد على استقراء اللغوي.

أسباب اختيار الموضوع:

إن اللغة العربية مهمة لفهم معاني وألفاظ ودلالات أصول الفقه لمعرفة المعني العام من المعني الخاص والمطلق من المقيد والمجمل من المفسر، كذلك أن من شروط المجتهد أن يكون ملماً باللغة العربية لفهم أصول الفقه والأحكام الشرعية لذا رأي الباحث أن توضيح ذلك من أسباب إختيار الموضوع.

أهمية الموضوع:

كلام العرب متسع، والنظر فيه متشعب، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصولي باستقراء زائد على الإستقراء اللغوي، لذا كان تناول هذا الموضوع من الأهمية بمكان.

أهداف البحث:

في أصول الفقه فإن كثيراً من الاختلاف أدّى إلى اختلاف الفقهاء في الدلالات ونضرب مثلاً على ذلك بدليل الخطاب- مفهوم المخالفة - حيث يرفضه الأحناف ويقول به الأئمة الثلاثة، والذي يهمنا هنا أن هذا الخلاف إنما هو خلاف في الدلالة اللغوية، والذين يرون أن اللغة العربية تدل على مفهوم المخالفة، فإذا وصف العربي شيئاً بصفة وحكم عليه بحكم، فإن ذلك يدل على أن حكم غيره بخلاف حكمه، وهذا مذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج التحليلي الوصفي في تناوله للمعاني والألفاظ في تصور علماء أصول الفقه.

نشأة علم أصول الفقه

من المعروف لدى أهل العلم أن العلم يوجد أولاً ثم يدون، وليس العكس، ولقد وجد أصول الفقه منذ وجد الفقه. فما دام يوجد فقه لازم أن يوجد أصول له وقواعد وضوابط ولكن الفقه سبق الأصول في التدوين، ولم يتأخر عنه الأصول في الوجود بل سبقه وجوداً؛ لأنه قوانين الإستنباط وموازين الآراء، فتدوين أصول الفقه كان كاشفاً له لا منشأً له.

أول من صنف في علم الأصول:

قيل أن أول من دون في علم الأصول كان (أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة) لكن لم يصل إلينا شيء من مصنفاته. ولكن الشائع عند أهل الفن. إن أول من صنف في هذا العلم وكتب فيه بصورة مستقلة هو (الإمام محمد بن إدريس الشافعي سنة ١٥٠-٢٠٤هـ رحمه الله وكان ذلك في كتابه الرسالة)، وسمى بهذا الاسم لأن عبد الرحمن بن مهدي أحد أئمة الحديث في الحجاز أرسل إلى الإمام الشافعي أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع فيه قبول الأخبار، وحجية الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاباً وأسماه الرسالة، وقد توخى فيه الإمام الشافعي العمق والدقة، وإقامة الدليل على ما يقول ومناقشه آراء المخالف له بأسلوب علمي رصين. وبعد الشافعي كتب الإمام أحمد كتاب في طاعة الرسول، وكتاباً آخر في الناسخ والمنسوخ، وثالث في العلل، ثم تتابع العلماء في الكتابة حتى يومنا. لعل من نافلة القول أن نقرر بأن العلاقات بين علم أصول الفقه والدرس اللغوي هي علاقة قديمة قدم علم أصول الفقه نفسه، بل أن اللغة العربية لغة "القرآن الكريم" هي وعاء العلوم الإسلامية كلها، فلا يوجد علم إلا ولها في عنقه منة، فمنها ينطلق وبألفاظها يبني أصوله ونظرياته ومناهجه، وعلى أساسها يضع مفاهيمه ومصطلحاته، وإن كان اللغويون أنفسهم قد استفادوا من بعض العلوم الإسلامية الأخرى خاصة على مستوى المناهج (الزحيلي: ١٩٨٦، ٨٦).

غير أن أثر اللغة العربية وقواعدها في علم أصول الفقه جعلته يستمد منها أكثر مما يمدّها، حيث طبعت مباحثه بطابعها ووسمت مناهجه بقواعدها.

تطور أصول الفقه:

ولقد مر أصول الفقه بعدة مراحل حتى وصل إلى الصورة التي استقر عليها كعلم مستقر.

أولاً- في عصر النبوة:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مرجع الفتيا ومصدر بيان الأحكام. وذكر كثير ممن صنفوا في الأصول أنه لذلك لم يكن هناك داع للإجتihad. وحيث لا إجتihad فلا مناهج ولا إستنباط ولا حاجة إلى قواعده.. والحق أن وجود النبي لم يمنع أصحابه من الإجتihadو يدل على ذلك:

لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن فقال له: بم تقضى؟ قال بكتاب الله.. قال فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله.. قال فإن لم تجد؟ قال أجتهد برأبي ولا آلو أي لا أقصر) (أخرجه أبو داود ، ٣٢٧/٢ ، كتاب الأقضية ، باب إجتihad الرأي في القضاء) وهذا الحديث رغم أن في إسناده مقالا، إلا أن الأمة اتفقت على تلقيه بالقبول والعمل به.. فأغنى ذلك عن البحث في إسناده وأحوال رجاله "ذكر ذلك ابن كثير في (الباحث الحديث) والشوكاني في (الإرشاد).

روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري "أن رجلين من أصحاب النبي خرجا في سفر فأدركتهما الصلاة ولم يجدا الماء فتيما وصليا ثم أنهما وجدا الماء في الوقت فتوضأ أحدهما وأعاد ولم يعد الآخر، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال للذي أعاد الصلاة: أصبت السنة ولك أجرك مرتين وقال للآخر أجزأتك صلاتك) [أبي سعيد الخدري ، الحديث ١٠٦١٦/١٠٦٧٥، المجلد الثالث، مسند أحمد بن حنبل]

إذن فقواعد إستنباط الأحكام كانت معروفة للصحابه وملتزمة في جتهاداتهم؛ غير أنها لم تدون، فقد كانوا أعلم الناس بالأدلة والنصوص وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، مع تمكنهم من اللغة. وقوه قريحتهم وصفاء نفوسهم.

ثانياً: - في عصر الصحابة

ظهرت بعد وفاة النبي وقائع وأحداث كان لا بد من مواجهتها بالاجتهاد واستنباط أحكام لها من الكتاب والسنة، إلا أن فقهاء الصحابة لم يستشعروا حاجة إلى الحديث عن مناهج للاجتهاد، وقواعد للاستنباط، فكانوا إذا وردت عليهم الواقعة، التمسوا حكمها في القرآن العظيم، فإن لم يجدوا رجعوا إلى السنة، فأن لم يجدوا اجتهدوا آرائهم، في ضوء ما عرفوا من مقاصد الشريعة)[أحمد بن حنبل: ١٩٥٩، ٩٢]

وفي هذا العصر بدأ ظهور المدارس الفقهية فكانت مدرسه الحديث في الحجاز وعلى رأسها عبد الله بن عمر، في حين كانت مدرسة الرأي في العراق وعلى رأسها عبد الله بن مسعود.

ثالثاً: عصر التابعين

كثرت في هذا العصر الحوادث، واتسعت رقعة الدولة، ودخل في الإسلام الكثيرون من غير العرب، واختلط اللسان الأعجمي باللسان العربي، لم يعد اللسان العربي على سلامته الأولى، وظهر الأئمة المجتهدون اللذين اقتدوا أثر الصحابة في استنباط الأحكام لما يستجد من الأحداث فكان مرجعهم في اجتهاداتهم الكتاب والسنة والإجماع والقياس وأقوال الصحابة، وظهر لكل إمام منهج، وتعددت طرقهم في الاستنباط واتسع النقاش والجدل فأصبحت الحاجة ماسة إلى وضع قواعد وأصول وضوابط للاجتهاد، يرجع إليها المجتهدون عند الخلاف، وتكون ميزاناً للرأي والفقه)[هيتو: ١٩٨٣، ٣١].

حاجة علم أصول الفقه إلى اللغة:

وتزداد هذه العلاقة وضوحاً إذا علمنا أن موضوع علم أصول الفقه هو: (الأدلة الشرعية الكلية من حيث يثبت بها من الأحكام الكلية، والأحكام الشرعية من حيث ثبوتها بالأدلة، وهذه الأدلة والأحكام بنماء مدارها على أصليين أساسيين هما: القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم أنزله الله سبحانه وتعالى بلسان عربي مبين يقول عز وجل: (لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وبهذا اللسان أيضاً نطق الرسول مشرعاً عن طريق السنة)[السيوطي: د.ت، ٤٠٥].

وبدون معرفة اللغة العربية والإلمام بقواعدها والإحاطة بأساليب العرب في كلامها، لا يمكن التوصل إلى معرفة معاني القرآن الكريم والسنة النبوية معرفة كاملة، فضلاً عن

الوقوف على دلالات الألفاظ ومقاصدها واستنباط الأحكام منها وإن كان ذلك ممكناً في حق جيل الصحابة رضي الله عنهم ومن عاصر التنزيل، بحكم تمكنهم من العربية ونزول القرآن على لسانها وعدم حاجتهم إلى قواعد ضابطة يعتمدون عليها لفهم الكلام والحديث عن الإجتهد يجزنا للكلام عن التأويل الذي هو عين الاجتهاد حيث كان منهجاً سلك سبيله الأصوليون في تعاملهم مع نصوص الشريعة المبنية على اللغة التي كثيراً ما كانت لا تفصح عن قصد الشارع. إن الشريعة الإسلامية قرآناً وسنة بما هي نصوص تحتكم إلى منطق اللغة في الدلالة على مراد الشارع منها مبدئياً، لكن ظواهر هذه النصوص من المعاني المتبادرة من الصيغة قد لا تحدد ذلك المراد، فوجب الاجتهاد في تبينه، وهذه مرحلة بعدية قوامها الرأي وبذل الجهد العقلي لتبين قصد المشرع الذي يعول عليه في الحكم. هذا التأويل من صميم الاجتهاد بالرأي المستند إلى المناهج الأصولية، وهو صرف المعنى اللغوي الظاهر المتبادر إلى معنى آخر، بالإستناد إلى دليل من نص قاعدة عامة أو من حكمة التشريع، يجعل المعنى المؤول راجحاً بالدليل، والتأويل من صلب الاجتهاد بالرأي في نطاق النص) [الشافعي: ١٩٧٩، ٧٢٠].

وهذا الاجتهاد نفسه لا يمكن أن يقوم به كل من وهب ودب، ولا يجوز بلا قيد أو شرط كما يتوهم الجاهلون والمتلاعبون أن التداخل بين الدرسين اللغوي والأصولي جعل الوقوف عند الألفاظ العربية ومعرفة دلالاتها ومعانيها للإهتداء إلى قصد الشارع فيها، مسألة أساسية عند الفقيه والأصولي، وإنما نقصد بالألفاظ العربية، الألفاظ التي جاء بها خطاب الشارع، ولا شك أن تغيير الألفاظ وتبديلها قد يؤدي إلى تغيير معانيها ومقاصدها) [البغدادى: ١٩٩٩، ١٦٠]. (وإذا كان هذا التغيير غير متصور فيما يتعلق بنصوص القرآن الكريم وآياته لخصوصية هذا النص الديني وطبيعة نقله، فإن احتمال حصول التغيير في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نتيجة الرواية أمر مسلم به بسبب الرواية بالمعنى وعدم الاختصار على لفظه، وهذه الرواية القائمة على المعنى دون اللفظ تفاوتت فيها الرواة ما بين مصيب للمعنى الذي قصد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، ومخطأ، مما كان ذلك محط نقد الرجال وتجريحهم والكلام في ضبطهم، ولهذا إنعقد الإجماع بين العلماء على أن الراوي الذي يروي بالمعنى لا تقبل روايته إلا إذا كان عالماً بتغيير المعاني وحيولها، والعلم بتغيير المعاني هو العلم بألفاظ الحديث ولغته،

يقول "ابن الصلاح": أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه. متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعاني، فإنه لا يجوز أبداً لمن لا يعرف الألفاظ ويعلم مقاصدها أن يروي بالمعنى إنما سبيله الأوحى هو أن يروي باللفظ لقصوره عن الإحاطة باللغة والاهتداء إلى معاني الكلام، ويقول "ابن الصلاح" عن الراوي بالمعنى: "إذا أراد رواية ما سمعه على معناه دون لفظه، فإن لم يكن عالماً عارفاً بالألفاظ ومقاصدها خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بمقادير التفاوت بينهما، فلا خلاف أنه لا يجوز له ذلك، ولا عليه ألا يروي ما سمعه إلا على اللفظ الذي سمعه من غير تغيير" [السيوطي: ١٩١٩، ٢٩٨].

وإذا كان المحدثون قد تناولوا قضية الرواية بالمعنى حيث أن هذا الموضوع ألصق بمباحثهم، لارتكازه على النقل والرواية، فإن الأصوليين أيضاً لم يغفلوا هذا المبحث لتعلقه أيضاً بمجالهم؛ حيث ينظرون في الألفاظ ومعانيها وأوجه دلالتها المختلفة، وكل ذلك إنما يتم انطلاقاً من لغة النص وألفاظه، لذلك فإن أي تغيير وتبديل في اللفظ سيؤدي حتماً إلى تغيير دلالاته، فحكم الأصوليون بالحرمة على أن يفعل ذلك في غياب الشروط اللازمة لهذا النقل. [المراغي: ١٩٩٩، ٩٢]. يقول "الإمام الغزالي": نقل الحديث بالمعنى دون اللفظ حرام على الجاهل بمواقع الخطاب ودقائق الألفاظ، أما العالم بالفرق بين المحتمل وغير المحتمل، والظاهر والأظهر والعام والأعم فقد جوز له الشافعي و"مالك" و"أبو حنيفة" وجماهير الفقهاء أن ينقله على المعنى إذا فهمه، وقال فريق لا يجوز له إلا الإبدال للفظ بما يرادفه ويساويه في المعنى، كما يبذل القعود بالجلوس والعلم بالمعرفة والاستطاعة بالقدرة. وسائر ما لا يشك فيه، وعلى الجملة ما لا يتطرق إلى تفاوت بالاستتباط والفهم؛ وإنما ذلك فيما فهمه قطعاً، لا فيما فهمه بنوع استدلال يختلف فيه الناظرون". ومن هنا تظهر أهمية الإحاطة باللغة، والعلم بمواقع الخطاب وأثر ذلك في توجيه الفهم السليم للنص، ويظهر كذلك عمق نظر الأصوليين الذين تلمسنا من خلال مناهجهم في الدرس الأصولي متانة الرباط بين أصول الفقه وقواعد اللغة. [الشاطبي: ١٩٨٢، ١٠٤].

والملاحظ أنه كلما بعد الزمان عن القرون المتقدمة حيث كان اللسان سليماً وكان التمكن من اللغة هو السمة المميزة لأهل تلك القرون، كما ظهرت الحاجة إلى الاهتمام باللغة ووضع قواعدها وضوابطها حيث قام بذلك اللغويون خير قيام، وكان لهذا الفرق بين المتقدمين والمتأخرين أثره على مستوى المصنفات الأصولية لعلاقة الدرس الأصولي باللغوي.

اللغة العربية في أنظار المتأخرين من الأصوليين:

كان للمتأخرين من الأصوليين في بيان هذا الأمر ما يعتبر جمعاً لدقائق الإشتراط ومنعاً من إشتراط ما لا يطلب في مسائل الإستثمار العلمي، ومن هؤلاء العلامة الشوكاني [الشوكاني: ١٩٨٢، ٢٥١] في كتابه إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، إذ يقول: أن يكون عالماً بلسان العرب، بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة، من الغريب ونحوه، ولا يشترط أن يكون حافظاً لها عن ظهر قلب؛ بل المعتبر أن يكون متمكناً من استخراجها من مؤلفات الأئمة المشتغلين بذلك وقد قربوها أحسن تقريب، وهذبوها أبلغ تهذيب، ورتبوها على حروف المعجم، ترتيباً لا يصعب الكشف عنه، ولا يبعد الإطلاع عليه. على أنه لم يكتف بهذا، بل بين اللزوم لإدراك هذه المرتبة والوصول إليها من المعارف والعلوم العربية، فقال: (وإنما يتمكن من معرفة معانيها، وخواص تراكيبيها، وما اشتملت عليه من لطائف المزايا، من كان عالماً بعلم النحو والصرف والمعاني والبيان، حتى يثبت له في كل فن من هذه ملكة يستحضر بها كل ما يحتاج إليه عند وروده عليه، فإنه عند ذلك ينظر في الدليل نظراً صحيحاً، ويستخرج منه الأحكام استخراجاً قوياً). ولما كان الشوكاني محققاً في بيان المسألة المذكورة، فقد تعقب من مال إلى تحديد قدر أقل مما يلزم المجتهد إدراكه والتمكن فيه من اللغة [الشوكاني: ١٩٨٢، ٢٥٣]، فقال: (ومن جعل المقدار المحتاج إليه من هذه الفنون، هو معرفة مختصراتها، أو كتاب متوسط من المؤلفات الموضوعة فيها، فقد أبعد؛ بل الاستكثار من الممارسة لها والتوسع في الإطلاع على مطولاتها مما يزيد المجتهد قدرة في البحث، وبصراً في الاستخراج، وبصيرة في حصول مطلوبه).

علماء أصول الفقه واللغات السامية:

اعتنى علماء أصول الفقه بدلالة الألفاظ عناية كبرى، وذلك لمحاولة الوصول إلى الدقة في استنباط الحكم، ولذلك لم يكن يمر عليهم اللفظ دون معرفة أصله، وبعض اشتقاقاته، وما يثيره في الذهن من دلالات، وكثيراً ما فطنوا إلى ما فطن إليه علماء اللغة المعاصرون لهم، أو السابقون إياهم؛ كالخليل بن أحمد، وابن جني، وأبي عبيد القاسم بن سلام، فقد عرف بعضهم لغة سامية غير اللغة العربية أو أكثر (الأمدي: ١٩٨٤، ٦٣)، ومن هؤلاء:

♦ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٧ هـ) ♦ أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)

أ- ابن حزم الأندلسي:

عرف ابن حزم اللغتين العبرية والسريانية، وبعض ما بينهما وبين اللغة العربية من تشابه، فقال: (إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً: أن السريانية والعبرانية والعربية - التي هي لغة مضر وربيعه، لا لغة حَمير - واحدة، تبدلت بتبديل مساكن أهلها، فحدث فيها جرش، كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نعمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام لغة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتها، ونحن نجد من سمع لغة أهل (فحص البلوط)، وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد يقول: إنها لغة أخرى، غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة لأمة أخرى، يتبدل لغتها تبديلاً، ولا يخفى على من تأمله، ونحن نجد العامة قد بدلته الألفاظ في اللغة العربية تبديلاً، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة، كلغة أخرى ولا فرق، فنجدهم يقولون في العنب (العنب)، وفي السوط (أسطوط)، وفي ثلاثة دنانير (ثلاثدا) [الأندلسي: ١٣٢٧ هـ، ٧١].

وإذا تعرب البربري، فأراد أن يقول الشجرة، قال: (السجرة)، وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاءً، فيقول: (مهمداً)، إذا أراد أن يقول محمداً، ومثل هذا كثير، فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية، أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا، من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وإنها لغة واحدة في الأصل، وإذا تيقنا ذلك، فالسريانية أصل للعربية وللعبرية معاً. والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل عليه السلام، فهي لغة ولده، والعبرية لغة اسحاق ولغة ولده،

والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم عليه السلام، بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة العلم [الأندلسي: ١٣٢٧هـ، ٧٣].

من خلال هذا النص، يتبين لنا بعض الحقائق التالية:

♦ معرفة ابن حزم اللغة العبرية واللغة السريانية، وإرجاعهما واللغة العربية إلى أصل واحد، وقد رأى أن هذا الأصل هو اللغة السريانية، وبنى رأيه هذا على أن اللغة السريانية هي لغة إبراهيم عليه السلام، والعبرية لغة ولده اسحاق وذريته، والعربية لغة ولده إسماعيل وذريته. وفي كلامه هذا شيء كثير من الصحة؛ حيث أن تلك اللغات ترجع إلى أصل واحد، هو اللغة السامية الأم، ولكن اعتبار أن اللغة السريانية هي الأم كلام ذو طابع ديني؛ حيث بناه غيره - على أنها هي لغة إبراهيم عليه السلام، ومع أن هذا الكلام لا دليل عليه، فإنه يعتبر قريباً من الرأي القائل؛ لأن اللغة السريانية هي الأقرب للغة السامية الأم فطن إلى أن سبب اختلاف اللغة السامية الأم وتفرعها إلى لغات أخرى، هو:

١- طول الأزمان.

٢- اختلاف البلدان.

٣- مجاورة الأمم.

وهذا هو ما قال به علماء اللغة المحدثون، حين رأوا أن اللغة تتشعب إلى لهجات أو لغات بعد ذلك؛ حسب قوانين لغوية؛ منها: التطور الذي يصيب بعض أصوات اللغة في حياتها، واختلاف البيئات، واختلاف واختلاط أهلها بأهل لغة أخرى [السبكي: د.ت، ٣١٢].

ب - أبو حامد الغزالي:

جاء في أحد كتب الغزالي مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة في جزئية من جزئيات قصة موسى عليه السلام، ومنها: [لفظ الكتاب العزيز: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: ٢٢]، ولفظ التوراة: (وهنا يا ذو مصروا عث كالشولغ، وتفسير هذا اللفظ العبراني بالعربية: (وهذه يدك برصاء كالثلج). من هذا النص نستدل على معرفة الإمام الغزالي اللغة العبرية، ذلك لأنه ساق هذه الجملة العبرية السابقة من التوراة كما هي لغتها، ولكن بفونيمات عربية وهي باللغة العربية. ولو أنه كان لا يعرف

العبرية، لاكتفى بإيراد النص مترجماً إلى اللغة العربية، أو ما سماه هو (تفسيره بالعربية)، ولكنه أوردته كما ينطق في لغته الأصلية العبرية، ومما يدل على تمكُّنه من هذه اللغة، أنه فطن إلى التغير السياقي الذي يصاحب بعض الأصوات العبرية؛ حيث تتحول هذه الأصوات إلى نظائرها الرخوة على التوالي، وذلك عندما كتب هذه الجملة العبرية بالفونيمات العربية، وراعى تلك التغيرات في فونيماتها، وهي:

♦ في كلمة، فكتبها (يا ذو) بتغيير الدال ذالاً.

♦ في كلمة، فكتبها (عث) بتغيير التاء ثاءً.

♦ في كلمة، كتبها (كالشولخ) بتغيير الجيم غيناً.

وهذه الأصوات الثلاثة (الدال، والتاء، والجيم) وقعت في تلك الكلمات في نهاية مقطع؛ أي: بعد حركة vowel، وهو شرط تحويلها إلى نظائرها الرخوة.

ومع ذلك نرى مُحقق كتاب الغزالي الذي وردت فيه هذه الجملة، يعلق عليها ويقول: هل كان الغزالي يعرف العبرانية؟ إن المصادر لا تسعفنا بجواب شافٍ، وإن كنا نرجِّح النفي، وعبارته العبرية صحيحة. [البغدادي، ١٩٩٩، ٤٣].

وردنا على كلام المحقق أن المصادر أيضاً لا تسعفنا عن معرفة أبي حيان الأندلسي أو ابن الأندلسي اللغة العبرية أو السريانية، ولكننا نقراً كتبهم، ونرى إشاراتهم لهذا الموضوع أو ذلك، ثم نرصد ونحلل ونستنتج، فالباحث اللغوي لا ينتظر أن تحببه المصادر أو تسعفه عن كل سؤال يعن له، أو استفسار يريده؛ بل يجب عليه أن يرصد الظاهرة، ثم يحلل ما يظن أنه يشير إليها، ثم يستنتج حسب المنهج الذي يسير عليه. ولا يستبعد أن يُلم عالم كالغزالي بلغة غير العربية؛ إذ إنه عالم وفقيه، فقد عاش في القرن الخامس الهجري؛ حيث كانت العلوم العقلية قد نقلت واستقرت، واطلع العرب على ثقافات غيرهم من الأمم، وطبيعة عمل الفقيه وعالم أصول الفقه أن يطلع على بعض ما كان سائداً عند الأمم الأخرى من العقائد والشرائع؛ ذلك لأن شرع من قبلنا يعد مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، وهذا الإطلاع قد يكون بالترجمة أو قراءة اللغة الأصلية المكتوبة فيها النص الذي يريده الباحث، وقد سبق أن رأينا كيف عرف ابن حزم ذلك. [الزحيلي، ١٩٨٦ سابق، ١٢٠].

هذا الاهتمام الأصولي بالمسائل اللغوية ليس مستغرباً، إذ قد استقر عند المؤرخين ذلك العمق اللغوي الذي وصل إليه أئمة التأليف الأصولي كابن الحاجب إمام اللغة، وفيه قال الذهبي: (كان من أذكى العالم، ورأساً في العربية وعلم النظر. وخالف النحاة في مسائل دقيقة وأورد عليهم إشكالات مفحمة)، وكأبي بكر الباقلاني صاحب كتاب إعجاز القرآن، والذي قال عنه رجال البلاغة: إنه لم يؤلف مثله في مصنفات الفن. [الأمدي: ١٩٩٩، ٦٧].

ومن الأصوليين من كان صاحب سبق في التأليف اللغوية كالسيد الشريف الجرجاني، والذي ألف كتاب كنايات الأدباء وإشارات البلغاء وقد جمع فيه محاسن النظم والنثر. كذلك من الأصوليين السيوطي حيث أخرج كثيراً من التأليف اللغوية والنحوية كالأشباه والنظائر في النحو، ومؤلفه الفريدة، وهي نظم في النحو والصرف، وكذا المزهري في علوم اللغة وكتابه الاقتراح في أصول النحو ما يعتبر مؤشراً قوياً من مؤشرات الترابط بين المناهج التأليفية، وقد تبين فيه تأثيره بمناهج البحث والتفسير عند الأصوليين، وأنه استقى منهج أعداء من طرق التصنيف الأصولي. [الزحيلي: ١٩٨٦، ٣٤].

الخاتمة:

اشتملت خاتمة البحث على عدد من النتائج والتوصيات نجلها في الآتي:

أولاً : النتائج

١. قيل أول من دون في علم أصول الفقه كان أبو يوسف صاحب الإمام أبو حنيفة، لكن لم يصل إلينا شيء من مصنفاته لذا الشائع عند أهل الفن أن أول الأصوليين تأليفاً وتدويناً وأسبقهم بياناً لأهمية اللغة العربية، إنما هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي في كتابه الرسالة واعتبره المتكلمون من الأصوليين أول مدون في هذا العلم.
٢. المؤرخون من الأصوليون أشاروا إلي أن فساد اللسان العربي كان سبباً من أسباب التدوين للقواعد الأصولية

٣. فساد اللسان العربي ناتج من الاختلاط والتداخل بين الأعاجم والأعريب كثمرة من ثمرات الفتوح الإسلامية مما أثمر ضعفاً في الملكات اللسانية، وإنما اعتبره المؤرخون من الأصوليين سبباً في تدوين هذا العلم لإبتناء الاستنباط بل الاجتهاد في أفرعه ومحاورة كافة على سلامة اللسان وعلى معرفة دلالات الألفاظ، وعليه فإنهايار هذا الركن الركين،

هو إنبهار لجدار الاجتهاد والذي هو عنوان الثقة التشريعية في علماء الأمة، لذا سارع الأصوليون فحموا أصول الاجتهاد من الاضطراب والتباين فدونوا ووضحوا معالم طريقه. ٤. اهتم الأصوليون في مؤلفاتهم العلمية على اللغة العربية لأن علم أصول الفقه مستمد في أحد جوانبه من اللغة العربية، ولم يقتصر الأصوليون على عموميات اللغة العربية؛ بل تعدوا إلى تخصصاتها فتناولوا النحو والتصريف، وعلم اللغة، وعلوم البيان، والمعاني، والبديع .

٥. لا يعلم من إيضاح جمل القرآن أحد جهل سعة لسان العرب وأن فهم القرآن يكون من جهة لسان العرب لأن القرآن نزل به، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة. ٦. من أهمية اللغة العربية في منظور الأصوليين أن العلم باللغة العربية عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ولا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب عليه شئ منها. ٧. الأصوليون دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب لم تصل إليها النحاة ولا اللغويين، فالمعاني الدقيقة في اللغة تحتاج إلى نظر الأصولي بلستقراء زائد على استقراء اللغوي.

٨. من شروط المجتهد أن يكون ملماً باللغة العربية لفهم أصول الفقه والأحكام الشرعية، فالفقه سبق الأصول في التدوين؛ لذا كان تدوين أصول الفقه كاشفاً له لا منشأ له. ٩. لمنهج أهل السنة والجماعة في علم أصول الفقه أئمة ورجالاً ومن أبرز أعلام هذا المنهج:

أ - الإمام الشافعي

ب- أبو المظفر السمعاني

ج - ابن قدامة المقدسي

د - شيخ الإسلام ابن تيمية

هـ - ابن القيم الجوزية

ز - ابن النجار الفتوحى

ح - الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

١٠- وأخيراً نجد أن تاريخ علم أصول الفقه بحاجة إلى مزيد من الدراسة ذلك أن الكتابة في تاريخ هذا العلم قاصرة على تقسيم جهود الأصوليين.

ثانياً: التوصيات

١. نوصي بتحرير القواعد الأصولية وتهذيبها فيقتصر على ما ثبت من هذه القواعد واستقام على ضوء الأدلة الشرعية، ويقتصر أيضاً على المسائل الأصولية التي يترتب على الخلاف فيها فائدة وثمره، وبناء على ذلك فيحذف من القواعد الأصولية ما بني على أصل فاسد أو ما لا ثمره له.
٢. الإغراف في الأدلة العقلية والطرق الكلامية والقضايا الجدلية والتجافي عن صحيح النصوص السمعية والآثار السلفية والمقاصد الشرعية.
٣. نوصي بتجديد علم أصول الفقه وذلك بصياغة علم أصول الفقه صياغة جديدة، ودراسة وتقويم الكتب الأصولية المعروفة، وإخراج الآثار الأصولية وفق التفصيل الآتي:
صياغة علم أصول الفقه صياغة جديدة بكتابة تاريخ هذا العلم ومراحل نشأته والتأليف فيه مع ملاحظة الآتي:
أ- التعريف بالمناهج العقدية في أصول الفقه بالإشارة أولاً إلى الأصول العقدية لدى هذه المناهج مع التنبيه على خطورة هذه الأصول ومفارقتها لمنهج السلف الصالح والتعريف برجال هذه المناهج ومؤلفاتهم في أصول الفقه مع بيان الملاحظات وتصحيح الأخطاء وفق منهج السلف الصالح.
- ب- إبراز دور الإمام الشافعي ومنهجه ومسلكه في كتاب الرسالة مع بيان موقف الأصوليين من بعده من حيث الأخذ بهذا المنهج أو الإنصراف عنه.
- ج- إبراز الجهود في أصول الفقه والتتويه بهذه الجهود خاصة جهود ابن تيمية وابن القيم مع بيان ما لهذين الإمامين من جهود عظيمة في تثبيت القواعد الأصولية وفق منهج السلف الصالح.
٤. نوصي دراسة وتقويم الكتب الأصولية المعروفة سواء في ذلك كتب المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة، وكتب الفقهاء من الماتريدية وخلافهم، والمقصود من ذلك إصلاح الخلل وإبعاد الذلل قدر الإمكان.
- ٥- نوصي بالبحث والتنقيب عن الكتب والرسائل الأصولية سواء في ذلك ما كان شاملاً لمباحث الأصول كافة وما كان خاصاً لبعض مباحثه ومسائله، وابتداء عدد من المسائل الأصولية على محض افتراضات جدلية وتقسيمات منطقية.

٦. لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ونوصي كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم بن موسى الشاطبي، ٩٨٢م: الموافقات في أصول التشريع، مطبعة دار المعرفة، بيروت.
٢. أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي الشهير بابن عاصم، ١٣٢٧هـ: مرتقي الوصول إلي علم الأصول، المطبعة المولوية، فاس المغرب.
٣. أحمد بن حنبل، ١٩٥٩م: المسند، مطبعة دار المعارف، مصر.
٤. أحمد بن علي بن برهان البغدادى، ١٩٨٣م: الوصول إلى الأصول، مكتبة المعارف، الرياض.
٥. تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي، د.ت: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية.
٦. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ١٩٧٩م: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، دار الفكر، ط٢.
٧. شرح ديوان المتنبي للعكبري، ١٣٠٨هـ: المطبعة الشرقية ، مصر.
٨. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، د.ت: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر.
٩. عبد القادر بن عمر البغدادى، ١٩٩٩م: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، بولاق، مصر.
١٠. عبد الله مصطفى المراغي، ١٩٩٩م: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
١١. علي بن محمد الأمدي، ١٩٨٤م: الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
١٢. علي حسب الله، ١٩٥٩م: أصول التشريع الإسلامي، مطبعة دار المعارف، مصر.

١٣. محمد بن إدريس الشافعي، ١٩٧٩م: الرسالة في أصول الفقه، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة القاهرة.
١٤. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ١٩٨٢م: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار المعرفة، بيروت.
١٥. محمد بن محمد الحسيني أبو الفيض، ١٣٠٧هـ: تاج العروس، طبعة مصر.
١٦. محمد حسن هيتو، ١٩٨٣م: الوجيز في أصول التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٧. وهبه الزحيلي، ١٩٨٦م: أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر للطباعة، دمشق.

الخضر عليه السلام بين جدلية الحياة والموت

د. عماد أحمد علي^(١)

مستخلص الدراسة

إن الخضر عليه السلام ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف، وفي الصحيح والسنن والمسانيد وغيرها. اختلف العلماء في نبوته، وولايته، وقيل ملك من الملائكة. وهذا ضعيف. أما من قال إنه وليي فهو يقول بدوام حياته. أبقاءه الله ليكون عوناً ومرشداً لأوليائه في الدنيا، وأنه يبقى حتى يكذب الدجال. ويستدلون على ذلك بالأحاديث وأقوال العلماء وبما شاهدوا وسمعوا من الخضر عليه السلام. أما الذين يقولون إنه نبي فيقولون بوفاته، ويستدلون بالقرآن والسنة والواقع أيضاً، ويقولون لم يذكره القرآن إلا مع موسى عليه السلام. ولو كان حياً لجاء للرسول والأنبياء الذين تتابعوا من بعد موسى عليهم السلام وإلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وفقاً لما أخذه الله على الأنبياء من تصديق ومناصرة بعضهم بعضاً.

مقدمة:

هذه دراسة موجزة لسيدنا الخضر عليه السلام. عالجت الدراسة، اختلاف العلماء فيه: هل هو ولي، رسول أم نبي. ولكل صفة من هذه الصفات توابعها. الصوفية جعلوه ولياً يستمد منه الأولياء المدد والعون الروحي. أهل الحديث قالوا أنه نبي أرسله الله لموسى خاصة لتعليمه. بعضهم قال هو رسول وهم أقلية وبترتب بعد ذلك الخلاف في موته أوحياته. فالصوفية قالوا بحياته واستدلوا عليه. الفريق الأول استدلوا على موته كذلك بالأدلة. عرض البحث أدلة كل فريق وما ترتب على ذلك من نتائج وتوصيات.

هذه ورقة تعالج المشكل الآتي:

اختلاف العلماء في نبي الله الخضر عليه السلام:

- نبوته - ولايته - النعمة التي أنعمت عليه - وحياته وموته.

الخضر في الفكر الصوفي:

أولاً- الاختلاف في نبوته ورسالته وولايته:

(1) أستاذ مشارك، جامعة شندي، السودان ت. ٠٠٢٤٩١٢٣٧٥١٠٩١

وردت قصة الخضر عليه السلام في القرآن الكريم في مكة. سورة الكهف الآيات (٦٠-٨٢).

وردت قصته مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وذلك أن سيدنا موسى كان قد سأل الله تعالى أن يدلّه على من هو أعلم منه. ومن يعلمه علماً ذكره الله من قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) [الكهف: ٦٠] إلى أن تعلم منه ما تعلم كما هو معلوم.

اختلف العلماء في نبوته وولايته، أورد ابن كثير في الآية قال ابن كثير في قوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) [الكهف: ٦٥]. وهذا هو الخضر عليه السلام، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة (ابن كثير: ١٩٩٢، ١٢٠) ثم أورد الأقوال الثلاثة وهي الرسالة والنبوة والولاية. ولم يرجح قولاً، ثم قال: وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا وقال آخرون كان رسولاً، وقيل بل كان ملكاً، نقله الماوردي في تفسيره، وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً، والله أعلم (ابن كثير: ١٩٩٢، ١٣٤).

وقال الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا الْوحي والنبوة (الألوسي: د.ت، ٢٢٣) ثم أورد الأقوال الثلاثة ورجح النبوة، قال: وفيه أقوال ثلاثة: فالجمهور على أنه عليه السلام نبيّ وليس برسول، وقيل هو رسول، وقيل هو وليّ وعليه الإمام القشيري وجماعة والمنصور ما عليه الجمهور، وشواهد من الآيات والأخبار كثيرة، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين (الألوسي: د.ت، ٣٢١) قال الطبري: (قوله تعالى: رحمة من عندنا. يقول وعلمناه من عندنا أيضاً علماً) (الطبري: ١٣٢٣هـ، ٢٥٠) وقال في موضع آخر: لا يقدر عن أن يعطيها أحد غيرنا (المصدر نفسه: ٢٥١).

أما الإمام القرطبي فقال إنه نبي، قال في الجامع من تفسيره: رحمة من عندنا. الرحمة في هذه الآية النبوة، وقيل النعمة. وعلمناه من لدنا علماً. أي علم الغيب، وقال ابن عطية: كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطى ظواهر الأحكام وأفعاله بحسبها، وكان علم موسى علم الأحكام، والفتيا بظواهر أقوال الناس وأفعاله (القرطبي: ١٤١٤هـ، ١٧) فالخضر هنا نبيّ اطلعه الله على علم لم يطلعه موسى، ولذلك فإن موسى لم يصبر على أفعال الخضر في خرق السفينة، وقتل الغلام،

وعدم اشتراط الأجر في إقامة الجدار. وقد وافق الشوكاني القرطبي في نبوة الخضر قال: آتيناها رحمةً من عندنا. قيل الرحمة هي النبوة، وقيل النعمة التي أنعم الله بها عليه (الشوكاني: د.ت، ٤٢٧). وقد وافقهم أيضاً الإمام البيضاوي، قال: رحمة من عندنا. الوحي والنبوة. وعلمناه من لدنا علماً. مما يختص بنا، ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيب (البيضاوي: د.ت، ٥١٠). وذكر المَحَلَّى الاختلاف بين النبوة والولاية وذكر أن أكثر العلماء قالوا بولايته، رغم أن القرطبي قال أن أكثر العلماء قالوا بنبوته، قال في الجلالين: قالوا الرحمة النبوة وقيل الولاية، وعليه أكثر العلماء (السيوطي: ١٩٩٣م: ٣٨٩). ومن الذين قالوا بنبوته من الأئمة المفسرين، الواحدي والسيوطي وأبي السعود. قال الواحدي: آتيناها رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علماً. نبوة وأعطيناها علماً من علم الغيب (الواحدي: د.ت ٦٦٧) وقال السيوطي: آتيناها رحمة من عندنا. أعطيناها الهدى والنبوة (السيوطي: ١٩٩٣م: ٤٢٥) وقال أبو السعود في الآيات: هي الوحي والنبوة، وعلمناه من لدنا علماً خاصاً لا يكتنه كنهه، ولا يقادر قدره وهو علم الغيب (العمادي: د.ت، ٢٣٤) وذكر ابن الجوزي الأقوال الثلاثة فقال: (أحدها: أنها النبوة، قاله مقاتل، الثاني: الرقة والحنو على من يستحقه، ذكره ابن الأنباري. والثالث: النعمة، قاله أبو سليمان الدمشقي، وعلمناه من لدنا علماً. قال ابن عباس أعطاه علماً من علم الغيب (ابن الجوزي: ١٤٢٢هـ، ١٥٨).

هذه أقوال العلماء في نبوة الخضر أو ولايته، لكن الغالب أنه نبي، لأن الرسول لا يعلمه ولي، وإنما لا بدّ أن يكون نبياً يوحى إليه حتى يكتمل علمه، ويؤيد ذلك قول الخضر بعد: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف: ٨٢] أي لم أفعله إلا بأمر الله.

الاختلاف في موته وحياته

أولاً- الذين قالوا بحياته وأدلتهم:

من الذين قالوا بحياته الثعلبي المفسر، الإمام النووي وابن الصلاح وابن تيمية في أحد قوليه، وجماهير المتصوفة. وقد فصل الألوسي في ذلك فقال: وذهب جمهور العلماء إلى أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه بين الصوفية قدست أسرارهم قاله النووي، ونقل عن الثعلبي المفسر أن الخضر نبي معمر، على جميع الأقوال، محجوب

عن أبصار أكثر الرجال. وقال ابن الصلاح هو حيي اليوم عند جماهير العلماء، والعامّة معهم في ذلك، وإنما ذهب إلى إنكار حياته بعض المحدثين. واستدلوا بحياته بأخبار كثيرة منها ما أخرجه الدارقطني في الأفراد وابن عساكر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الحضر ابن آدم لصلبه ونُسي له في أجله حتى يكذب الدجال. ومثله لا يقال من قبل الرأي (الألوسي: ٣٢٥).

واستدلوا بأدلة أخرى، منها أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، جاءهم من وراء الباب آتٍ وقال: (السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله تقوا، وإياه فارجوا، فإنما المصاب من حُرْم الثواب، فقال علي أتدرون من هذا؟ إنه الخضر عليه السلام) (البيهقي: د.ت، ٢٩٩).

وحديث مسلم في الذي يقتله الدجال ويحييه فيريد قتله الثانية فلا يسلط عليه أخرجه (عبد الرزاق: د.ت ٢٠٨) أخبرنا معمر عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: فذكره وزاد، قال معمر: وبلغني أنه يجعل على حلقة صفيحة من نحاس. وبلغني انه الخضر يقتله الدجال ويحييه (ابن حبان: ٦٦: د.ت) و(أحمد: ٣٦/ د.ت) عن عبد الرزاق، دون قول معمر المذكور، وكذلك أخرجه البخاري (د.ن: ٨٦) و(مسلم: ١٩٩)، و(ابن منده: ٩٥) من طرق أخرى عن الزهري به، وزاد مسلم: (قال أبو اسحق: يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام).

وذكر ابن حجر: وفي حديث أبي سعيد في قصة الدجال، فيخرج إليه رجل هو خير الناس يومئذٍ، ذكر إبراهيم بن سفيان الرازي، أنه يقال أنه الخضر، وهكذا حكاه معمر وجماعة (ابن حجر: د.ت، ١٥٧). وقال النووي في شرحه على مسلم: باب في فضائل الخضر صلى الله عليه وسلم.. (جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه بين الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة، ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستتر، وقال الشيخ أبو عمر بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامّة معهم في ذلك، قال وإنما شدَّ بإنكاره بعض المحدثين. قال الحبري المفسر وأبو عمرو: هو نبي، واختلفوا في كونه مرسلًا) (النووي، مسلم:

١٣٩٢هـ، ١٣٥)، ثم ردّ النووي على حديث لا تبقى نفس بعد مائة سنة: (ومعنى نفس منفوسة أي مولودة، وفيه احتراز من الملائكة، وقد احتج بهذه الأحاديث من شدّ من المحدثين، فقال الخضر عليه السلام ميت، والجمهور على حياته كما سبق في باب فضائله، ويتأولون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر لا على الأرض أو أنها عام مخصوص) (المصدر نفسه: ١٣٩٢، ٩٠).

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه حكيمين الأول بحياته الآن، والثاني بموته. قال في حياته: (وسئل هل كان الخضر عليه السلام نبياً أم ولياً، وهل هو حي إلى الآن، وإن كان حياً فما تقولون فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان حياً لزارني، وهل الحديث صحيح؟

فأجاب: وأما حياته فهو حي. والحديث المذكور لا أصل له. ولا يعرف له إسناد. بل المروي في مسند الشافعية وغيره أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم. ومن قال أنه لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قال ما لا علم له به، فإنه من العلم الذي لا يحاط به. والصحيح أنه كان حياً موجوداً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو باقٍ إلى اليوم لم يخرج، وكان في جزيرة من جزائر البحر) (ابن تيمية: ١٣٩٨هـ، ٣٢٦).

وجاء في الحديث: (يجتمع الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام في كل عام في الموسم بمنى) رواه السيوطي في الدر، وأخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده. وفي زوائد الزهد لعبد الله بن الإمام أحمد أنه قال: يجتمع الخضر وإلياس عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله إلى آخره، ويفطران على الكرفس ويوافيان الموسم كل عام (عبد الله بن أحمد: ٤٩). ويروى عن الحسن البصري أنه قال: وكان إلياس بالفيافي، والخضر بالبحور، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى، وأنهما يجتمعان في الموسم (المصدر نفسه: د.ت، ٥٤).

هذا بعض ما جاء من أدلة وبراهين من يقولون بحياة الخضر عليه السلام، فيهم علماء من السنة وشراح الأحاديث وأهله مثل النووي الشافعي وابن الصلاح عالم الحديث والحسن البصري التابعي وجماهير المتصوفة خاصة.

ولعله من المناسب أن نورد من علماء السودان في القرن التاسع عشر من نقل في كتابه أخباراً أوردها عن بعض علمائنا الصالحين الذين كانت لهم جهودهم في نشر الإسلام

والعلم في ذلك، وهو الشيخ محمد ود ضيف الله في كتابه المشهور بالطبقات، فقد ذكر عن بعض العلماء الذين اجتمع بهم سيدنا الخضر عليه السلام وأرشدتهم ووجههم، من ذلك اجتماعه بالشيخ محمد بن سرحان صغيرون وأمره بالتوجه لقوز المطرق لإنشاء حلقة العلم بها فقال بأن نبي الله الخضر عليه الصلاة والسلام هو الذي أشار إليه بالهجرة إلى دار الأبواب فقال: (فطلب منه فقراؤه ناس الصعيد أمروه يسكن الصعيد، وناس السافل أمروه يسكن السافل، فقال لهم أختار الله على ذلك فأخذ ركوته وشال الخلا، فاجتمع بالسيد الخضر عليه السلام فقال له بأن مسكنك قوز المطرق مقابلة سهلة أم وزين. فسافر إليه فوجده شجراً وعرأ، فمشى إلى فجّة فوجدها ساهلة من الشجر. قال: هذه الفجيجة أخونا عبد الرحمن ولد حمدتو ينزل فيها، وهذا سبب تسميتها بالفجيجة(ود ضيف الله: ١٩٣٠: ١٠٢) وأورد ود ضيف الله قصة للخضر عليه السلام مع الشيخ صغيرون حين وفاته، من يكون الخليفة بعده، ثم إن الخضر قد أخبرهم بأن الزين ابنه هو الخليفة، فقال ما نصه: (ويحكى عن الشيخ صغيرون حين قربت وفاته تردد فيمن يخلفه بعده من تلامذته، هل يخلف ابن أخته آمنة محمد، أو حمودة أولاد التنقار، أو محمد ابن أخيه الحاج قاسم، وكان شيخاً فاضلاً، أو مدني الحجر ابن الحاج عمر أخيه، أو الفقيه الزين وهو أصغرهم وأقلهم فقهاً؟ فحينئذٍ أرسل إلى الشيخ سعد ولد شوشاي المغربي، وكان ممن يجتمع بالسيد الخضر عليه السلام، وشاوره فيمن يخلفه بعده، قال له سألت الخضر عليه السلام، فقال لي الخليفة بعدك الزين(ود ضيف الله: ١٩٣٠، ١٩) فهذا يبين أن هناك في السودان من يقولون بحياة الخضر عليه السلام ويرجحون حياته وأنه يكون دائماً مع العلماء والأولياء، يعين الخليفة والعالم الأصلح لشئون الناس.

ومن الذين أوردتهم ود ضيف الله واتصلوا بالخضر عليه السلام وتعلموا منه حمد ود الترابي، قال في ترجمته: (حمد النحلان بن محمد البديري الدهمشي، المشهور بابن الترابي، وأمه اسمها قاية، قرأ خليلاً على الفقيه محمد ولد التنقار في موبس، وبرع فيه، أخذ عشر ختمات، ثم انتحل مذهب التصوف، وانقطع إلى الله وتزهد وسلك الطريق على الشيخ دفع الله وأرشدته، واجتمع بالسيد الخضر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وأخذ عليه (ود ضيف الله: ١٩٣٠، ١٦) فود ضيف الله ينقل ما ورد إليه، وكأنه من

الذين يقولون بحياة الخضر عليه السلام، لأنه لم يعلق، أو ينفي أو يستكر حياة الخضر عليه السلام. فقد أورد عن ثلاثة من الفقهاء والعلماء، وربما لو استقصينا كتابه لوجدنا نبي الله الخضر حاضراً، إما تأييداً لعالم أو توجيهاً ومذاكرة معه. لأنأت بعد ذلك لمن يقولون بوفاته وأدلتهم.

ثانياً: من قالوا بوفاته:

من الذين قالوا بوفاته من أهل الحديث الإمام البخاري رحمه الله، قال الألويسي: (وسئل البخاري عنه وعن إلياس عليهما السلام، هل هما حيان، فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بقليل لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد) (الألويسي: د.ت، ٣٢٨).

فالبخاري استدل بالحديث الذي يقول بأنه بعد مائة سنة لا يبقى أحد على وجه الأرض، ومعنى ذلك حتى لو كان الخضر حياً لكان قد توفي، كما توفي النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن أوضح ما استدل به القائلون بوفاته من القرآن: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) [الأنبياء: ٣٤]. وقوله تعالى مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) [الزمر: ٣٠].

وقد ردَّ العظيم آبادي في شرحه على سنن أبي داود على النووي في قوله بحياة الخضر فقال: (قلت ما قاله النووي من أن حياة الخضر قول الجمهور ليس بصحيح، وقد ردَّ عليه الحافظ في الإصابة فقال: اعتنى بعض المتأخرين بجمع الحكايات المأثورة عن الصالحين وغيرهم من بعد المائة الثالثة فما بلغت العشرين، مع ما في أسانيد بعضها من يُضعف لكثرة أغلاطه، أو اتهامه بالكذب، كأبي عبد الرحمن السلمي وأبي الحسن بن جهضم. وقال السهيلي قال البخاري وطائفة من أهل الحديث. مات الخضر قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة. ونصر شيخنا أبو بكر بن العربي هذا لقوله صلى الله عليه وسلم: على رأس مائة سنة لا يبقى على الأرض ممن هو عليها أحد. يريد ممن كان حياً حين هذه المقالة. وقال أبو الخطاب بن دحية: ولا يثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء، إلا مع موسى عليه السلام كما قصه الله في خبره، وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل، وأما ما جاء من المشائخ، فهو مما يتعجب

منه، كيف يجوز لعاقِلٍ أن يلقي شخصاً لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقَه؟)(العظيم آبادي: ٢٠٠٥، ١٢١).

أما الأحاديث الواردة في الخضر والتي تقول بحياته فقد ضعفها العلماء الذين يقولون بوفاته ومنها:

عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد فسمع كلاماً من زاوية وإذا بقائل يقول: اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك: ألا تضم إليها أختها؟! فقال: اللهم ارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك وكان معه: (اذهب يا أنس فقل له: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: استغفر لي)، فجاء أنس فبلغه، فقال له الرجل: يا أنس أنت رسول رسول الله إلي؟! فقال: كما أنت، فرجع واستثبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل له: نعم. فقال: نعم. فقال له: (اذهب فقل له فضلك الله على الأنبياء بمثل ما فضل رمضان على الشهور وفضل أمتك على الأمم مثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام). فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر عليه السلام.

(ابن عدي: ٦٢) و(البيهقي: ٤٢٥) و(ابن عساكر: ٤٢٢) و(ابن الجوزي: ٣٠٩) كلهم من طريق محمد بن يوسف بن عاصم حدثنا أحمد بن إسماعيل القرشي حدثنا عبد الله بن نافع عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده رضي الله عنه به.

حديث موضوع فيه أربع علل: العلة الأولى: محمد بن يوسف بن عاصم: كذاب كما قال الدارقطني [الخطيب: ١٩٨٧، ١٦٨]. العلة الثانية: أحمد بن إسماعيل القرشي: متروك كما قال أبو أحمد الحاكم وكذبه الفضل بن سهل، وقال ابن عدي: حدث عن مالك بالموطأ وحدث عن غيره بالبواطيل، وقال الخطيب: كان أبو حذيفة قد أدخل عليه عن مالك أحاديث ليست من حديثه ولحقه السهو في ذلك ولم يكن ممن يتعمد الباطل ولا يدفع عن صحة السماع من مالك (الخطيب: ١٩٨٧، ٢٤). العلة الثالثة: عبد الله بن نافع: في حفظه لين، قال البخاري: في حفظه شيء (الخطيب: ١٩٨٧، ٢١١). العلة الرابعة: كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، المدني: قال الشافعي: ركن من أركان الكذب، وكذبه أبو داود وضرب أحمد على حديثه وقال الدارقطني وغيره: متروك،

وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً، يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب. وقال الذهبي: أحد التالفين. (الذهبي: ١٤٠٤هـ، ٤٦٣).

وقال ابن الجوزي في الموضوعات عنه وعن أحاديث آخر: وهذه الأحاديث باطلة، أما الأول - يعني هذا الحديث - ففيه عبد الله بن نافع، قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال علي بن المديني: يروي أحاديث منكراً، وقال النسائي: متروك الحديث [يقول أبو عمر: هذا وهم من ابن الجوزي رحمه الله؛ حيث ظن أن عبد الله بن نافع هو المدني مولى بن عمر، والصواب أنه عبد الله بن نافع الصائغ حيث إنه هو المعروف بالرواية عن كثير المزني كما في تهذيب الكمال، وفيه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، قال أحمد بن حنبل: لا يحدث عنه، وقال مرة: لا يساوي شيئاً، وقال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء ولا يكتب، وقال النسائي والدارقطني: هو متروك الحديث، وقال الشافعي: هو ركن من أركان الكذب، وقال أبو حاتم ابن حبان: روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة، لا يحل ذكرها في الكتب، ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب. ١. هـ. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: كثير بن عبد الله: ضعفه الأئمة.

الحديث الثاني:

عن أنس بن مالك قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الليالي أحمل له الطهور إذ سمع منادياً فقال: (يا أنس صُبِّه) فقال: اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو قال أختها) فكان الرجل لُقِّن ما أراد رسول الله، فقال: وارزقني شوق الصادقين إلى ما شوقتهم إليه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هَيَّا يا أنس ضع الطهور وائت هذا المنادي فقل له: أن يدعو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يعينه على ما ابتعثه به، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم بالحق) فأتيت فقلت: ادع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه الله على ما ابتعثه وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم بالحق. فقال: ومن أرسلك؟ فكرهت أن أعلمه ولم أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: وما عليك رحمك الله بما سألتك؟ قال: أولاً تخبرني من أرسلك؟ فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ما قال، فقال: (قل له أنا رسول رسول الله) فقال لي: مرحباً برسول الله ومرحباً برسوله أنا

كنت أحق أن آتية أقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام وقل له: الخضر يقرئك السلام ويقول لك: إن الله قد فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الأمم، كما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام فلما وليت عنه سمعته يقول: (اللهم اجعلني من هذه الأمة المرحومة المرشدة المتاب عليها).

(الطبراني: ١٩٨٣: ٢٥٦)، (ابن المنادي: ١٠٩) (ابن حجر: ١٣٥٨: ٤٣٧) و(السيوطي: ١٥٢) و(ابن الجوزي: ١٤٢٢: ٣١١) و(ابن عساكر: ٤٢٢) كلهم من طريق بشر بن علي بن بشر العمي، قال: حدثنا محمد بن سلام المنبجي، قال: حدثنا وضاح بن عباد الكوفي عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك به.

قال الطبراني عقبه: لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا عاصم، ولا عن عاصم إلا وضاح بن عباد، تفرد به محمد بن سلام.

وله طريقان آخران: الأول: من طريق أبي خالد؛ مؤذن مسجد بني مسلية عن أبي داود الأعمى عن أنس به. رواه (ابن عساكر: ٤٢٣). و (ابن حجر: ١٣٥٨: ٤٣٧) و(ابن كثير: ١٩٩٢: ٣٠٩) والثاني: من طريق أنس بن خالد عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن حاتم بن أبي رواد عن معاذ بن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن أنس رضي الله عنه به. رواه ابن شاهين والدارقطني في "الأفراد" كما في الإصابة (ابن حجر: ٣٧٤).

الحكم عليه: الحديث موضوع وطرقه لا تزيده إلا وهناً لتفرد الكذابين بها. فالطريق الأول: فيه ثلاث علل. العلة الأولى: بشر بن علي بن بشر العمي الأنطاكي: مجهول. قال الهيثمي: لم أعرفه. قاله في مجمع الزوائد، (الهيثمي: ٢١٢). والعلة الثانية: محمد بن سلام التيمي المنبجي فيه جهالة؛ حيث لم يوثقه معتبر [وقاعدة ابن حبان في توثيق المجاهيل معروفة انظر مقدمة تمام المنة للألباني (الألباني: ١٧٨)، ومع ذلك عنده غرائب، وهذا منها. فقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أغرب. وقال ابن منده: له غرائب. وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء انظر الثقات (ابن حبان: ١٠١) والميزان (ابن حجر: ٥٦٨) واللسان (ابن حجر: ١٤٧) والمغني في الضعفاء (الذهبي: ٥٨٧). والعلة الثالثة: وضاح بن عباد الكوفي: وهنه أبو الحسين بن المنادي بسبب هذا الحديث. حيث قال: حديثه هذا: هو حديث واهٍ بالوضاح وغيره. وأقره على هذا الجرح: ابن الجوزي في الموضوعات (ابن الجوزي: ٣١٤) وفي الضعفاء والمتروكون (ابن

الجوزي: ١٨٣) والذهبي في الميزان (الذهبي: ٣٣٤) وابن حجر في اللسان (ابن حجر: ٣٢١).

قال أبو الحسين ابن المنادي: هو حديث وإيه "الوضاح" وغيره، وهو منكر الإسناد، سقيم المتن، ولم يرسل الخضر نبياً ولم يلقه. انظر: الموضوعات (ابن الجوزي: ٣١٤)، والإصابة (ابن حجر: ٤٣٧) واللائحة (السيوطي: ١٥٢).

وقال أيضاً: وأهل الحديث متفقون على أنه منكر الإسناد، سقيم المتن، يتبين فيه أثر الصنعة. انظر: البداية والنهاية، (ابن كثير: ١٩٩٣، ٣٠٩).

وحكم ابن الجوزي بوضعه، وأقره ابن عراق. انظر: تنزيه الشريعة (الكناني: ٢٢٤). وقال ابن كثير رحمه الله: وهو مكذوب لا يصح سنداً ولا متناً. كيف يتمثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجيء بنفسه مسلماً ومتعلماً وهم لا يذكرون في حكاياتهم وما يسندونه عن بعض مشايخهم أن الخضر يأتي إليهم، ويسلم عليهم، ويعرف أسماءهم ومنازلهم ومحالهم، وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران كليم الله الذي اصطفاه الله في ذلك الزمان على من سواه حتى يتعرف إليه بأنه موسى بن إسرائيل. انظر: البداية والنهاية، (ابن كثير: ١٩٩٣: ٣٠٩).

وأما الطريق الثاني: فهو هالك جداً فيه وضاع وهو: أبو داود الأعمى: نفع بن الحارث النخعي الهمداني الدارمي الكوفي القاص كذبه: قتادة، وابن معين، والساجي. وقال ابن معين: أبو داود الأعمى: يضع، ليس بشيء. وقال الحاكم: روى عن بريدة وأنس أحاديث موضوعة. وهذا من حديثه عن أنس. وقال ابن حبان: يروي عن الثقات الموضوعات توهماً لا يجوز الاحتجاج به. وانظر: تهذيب التهذيب (ابن حجر: ١٩٨٥، ٢٤٠).

وأما الطريق الثالثة: ففيها أربع علل وهي: العلة الأولى: محمد بن عبد الله، أبو سلمة الأنصاري قال الحافظ ابن حجر: كذبه انظر: التقريب (ابن حجر: ١٩٨٥: ٤٢٢). وقال أيضاً: ومحمد بن عبد الله هذا هو أبو سلمة الأنصاري وهو وأهي الحديث جداً، وليس هو شيخ البخاري قاضي البصرة ذاك ثقة وهو أقدم من أبي سلمة. انظر: الإصابة (ابن حجر: ١٣٨٧: ٤٣٨).

علة الثانية، والثالثة والرابعة: حاتم بن أبي رواد ومعاذ بن عبد الله بن أبي بكر وأبوه: لم يُوجد لهم تراجم، والله أعلم. فالخلاصة: أن الحديث موضوع مكذوب.

الحديث الثالث

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الخضر عليه السلام في البحر، واليسع عليه السلام في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان أو يجتمعان كل عام، ويشريان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل). رواه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده" (أبو أسامة: د.ت، ٨٦٦) من طريق عبد الرحيم بن واقد حدثنا القاسم بن بهرام حدثنا أبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه به مرفوعاً. وأورده العسقلاني في المطالب العالية (ابن حجر: ٤٤١)، والسيوطي في جمع الجوامع (السيوطي: د.ت، ١٩٤). وكذا في الدر المنثور (السيوطي: د.ت، ٢٤٠) والمتقي الهندي في كنز العمال (المتقي: ٣٤٠: د.ت).
والحديث موضوع فيه آفات عديدة:

الآفة الأولى: عبد الرحيم بن واقد: في حديثه مناكير كما قال الخطيب في تاريخ بغداد (الخطيب: ١٩٨٧: ٨٥). وميزان الاعتدال (العسقلاني: ٦٠٧)، ولسانه (العسقلاني: ٣٤٥: ١٣٢٩).

الآفة الثانية: القاسم بن بهرام: كذاب كما قال ابن عدي في الكامل (ابن عدي: د.ت، ٢٩٤). وميزان الاعتدال (ابن حجر: ٣٦٩)، ولسان الميزان (ابن حجر: ١٣٢٩، ٤٩٤).
الآفة الثالثة: أبان بن أبي عياش: متروك كما في تقريب التهذيب (ابن حجر: ١٣٢٠، ٢٧).

قال الحافظ ابن حجر بعد تخريجه للحديث في المطالب العالية (ابن حجر: ٤٤١: د.ت) ضعيف جداً. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (البصيري: د.ت، ١٤١) هذا إسناد ضعيف لجهالة بعض رواته. وقال السيوطي في الدر المنثور (السيوطي: د.ت): سنده وإياه. وقال في جمع الجوامع (السيوطي: د.ت، ١٩٤) وفيه أبان، وعبد الرحيم بن واقد متروكان.

الحديث الرابع: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يلتقي الخضر واليأس عليهما السلام في كل عام في الموسم فيخلق كل واحد

منهما رأس صاحبه، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله؛ ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله). قال ابن عباس: (من قالهن حين يصبح وحين يمسي كل يوم وليلة ثلاث مرات عوفي من الغرق والحرق والشرق وأحسبه قال: ومن الشيطان، والسلطان، ومن الحية والعقرب حتى يصبح ويمسي).

رواه ابن عدي في الكامل (ابن عدي: د.ت، ٧٤٠)، والعقيلي في الضعفاء (العقيلي: ٢٢٤ - ٢٢٥) والدارقطني في "الأفراد" (الدارقطني: د.ت، ٢٨٥)، وابن شاذان في "مشيخته الصغرى" (ابن شاذان: ٤٠٤١)، وابن الجوزي في "الموضوعات" (ابن الجوزي: د.ت، ١٣١)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (ابن عساكر: د.ت، ٢١١) و(ابن عساكر: د.ت، ٤٢٦-٤٢٧) كلهم من طريق محمد بن أحمد بن زيدا حدثنا عمرو بن عاصم عن الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنه به.

وانظر: لسان الميزان (ابن حجر: ١٣٢٩، ٣٨٥) والتذكرة للزركشي (الزركشي: د.ت، ٢٠٧)، والمقاصد الحسنة (السخاوي: ١٩٥٦: ٦٢) واللائيء (السيوطي: د.ت، ١٥٣). وللحديث طريق أخرى؛ فرواه ابن الجوزي كما في الإصابة، (ابن حجر: ١٣٥٨: ٤٣٨) من طريق أحمد بن عمار عن محمد بن مهدي بن هلال عن أبيه عن ابن جريج به. الحديث موضوع، أما الطريق الأول: فأفته الحسن بن رزين فإنه مجهول. قال العقيلي: بصري مجهول في الرواية وحديثه غير محفوظ. وقال الذهبي والزركشي: ليس بشيء. وقال أبو الحسين بن المنادي: هو حديث واهٍ بالحسن، والخضر والياس مضيا لسبيلهما. انظر: الميزان (ابن حجر: ٤٩٠). واللسان (ابن حجر، ٣٨٤-٣٨٥) والتذكرة للزركشي (الزركشي: ٢٠٧) والإصابة (ابن حجر: ٤٣٨).

وقال الدارقطني: لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن بن رزين. انظر: تاريخ دمشق ل(ابن عساكر ٤٢٧/١٦)، والإصابة (ابن حجر: ٤٣٨/١).

وقال الذهبي في الميزان (٤٩٠/١): لا يروى عن ابن جريج إلا بهذا الإسناد، وهو منكر، والحسن فيه جهالة. وأما الطريق الأخرى؛ ففيها أحمد بن عمار الدمشقي، ومهدي بن هلال: واهيان جداً. أما أحمد بن عمار؛ فقال الدارقطني والعجلي: متروك. انظر:

(الميزان: د.ت، ١٢٣) واللسان (ابن حجر: ٣٥٣). وأما مهدي بن هلال؛ فقال ابن معين: يضع الحديث. وقال ابن المديني: كان يتهم بالكذب. وكذبه أحمد وأبو داود والنسائي. انظر: الميزان (ابن حجر: ١٩٥) واللسان (ابن حجر: ٨٨٦/٧). وقال ابن حجر في الإصابة (ابن حجر: ١٣٥٨: ٤٣٨) عن الطريق الثاني: واهٍ جداً. وقال السخاوي عن طريق هذا الحديث: وهو منكر من الوجهين وثانيهما أشد وهاءً. وقال أيضاً عما يروى في اجتماع الخضر والياس: إلى غير ذلك مما هو ضعيف كله: مرفوعه وغيره، وأودع شيخنا رحمه الله في الإصابة له أكثره، بل لا يثبت فيه شيء. انظر: المقاصد الحسنة (السخاوي: ١٩٥٦، ٦٢). وذكره السيوطي في اللآلئ (السيوطي: ١٥٣) من طريق أبي إسحاق المزكي، وتعقب ابن الجوزي بأن ابن عدي حكم على الطريق الأولى بأنه منكر. ويعني بذلك أنه لم يحكم عليه بالوضع كما فعل ابن الجوزي! فالحكم على حديث بالنكارة لا يخالف الحكم عليه بالوضع بل يجامعه. وكذلك تعقب ابن الجوزي بذكر الطريق الأخرى المذكورة آنفاً وقال: أحمد بن عمار ومهدي بن هلال متروكان.

أما حديث التعزية فقد قال فيه العلماء فليس في السنة الصحيحة ما يثبت أن الخضر عليه السلام قدم التعزية للصحابه رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وحديث التعزية ذكره ابن عبد البر في التمهيد عن علي رضي الله عنه قال: "لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وسجي بثوب، هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. السلام عليكم أهل البيت (كل نفس ذائقة الموت) إن في الله خلفاً من كل هالك، وعوضاً من كل تالف، وعزاء من كل مصيبة، فبالله فانتقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب. فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام، يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن كثير: لكن الحديث ضعيف (ابن كثير: ١٩٩٢، ٥٦١).

واستدل القائلون بوفاته بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض) وبأنه لم ينقل أنه جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عنده ولا قاتل معه، ولو كان حياً لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الثقليين الإنس والجن قال عليه الصلاة والسلام: (لو

كان موسى وعيسى حين لما وسعهما 'إلا اتباعي' رواه (أحمد بن حنبل: د.ت، ٢٧٦)، وقال ابن القيم بأن: (كل الأحاديث الواردة في حبة الخضر، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد، (ابن القيم: د.ت، ٣٤).

وقد استغل كثير من الناس القول بحياة الخضر وتقولوا عليه بغير علم. ومن ذلك ما ذكره الغزالي. قال الغزالي: (وعن بعضهم أنه قال: أفلقتي الشوق إلى "الخضر" عليه السلام، فسألت الله تعالى أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء عليّ، قال: فرأيتُه فما غلبَ على همي ولا همتي إلا أن قلتُ له: يا أبا العباس! علمني شيئاً إذا قلتُه حُجِبْتُ عن قلوبِ الخليقة، فلم يكن لي فيها قدرٌ، ولا يعرفني أحدٌ بصلاحٍ ولا ديانةٍ؟، فقال: قل " اللهم أسبل عليّ كثيف سترك، وحطّ عليّ سرادقات حجبك، واجعلني في مكنون غيبك، واحببني عن قلوب خلقك " قال: ثم غاب فلم أره، ولم أشتقُ إليه بعد ذلك، فما زلتُ أقول هذه الكلمات في كلِّ يومٍ، فحكى أنَّه صار بحيث يُستدلُّ ويُمْتَهَنُ، حتى كان أهلُ الذمّة يسخرون به، ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم، وكان الصبيان يلعبون به، فكانت راحته ركود قلبه، واستقامة حاله في ذلك وخموله. (الغزالي: د.ت، ٣٠٦).

وقال الشيخ محمد الكردي: "قال ذو النون المصري: التوكل ترك التدبير والانخلاع من الحول والقوة، وقال إبراهيم الخواص: لقيني الخضر عليه السلام فسألني الصحبة، فخشيت أن يفسد عليّ توكلي بسكوني إليه ففارقتُه (القشيري: ٤٨٢) و(القشيري: د.ت، ٧٧). وورد في الرسالة القشيرية في ترجمة إبراهيم بن أدهم.

ورأى في البادية رجلاً علمه اسم الله الأعظم، فدعا به بعده فرأى الخضر عليه السلام، وقال: إنما علمك أخي داود اسم الله الأعظم. قال إبراهيم بن بشار: صحبت إبراهيم بن أدهم فقلت أخبرني عن بدء أمرك فذكر هذا (القشيري: د.ت، ٣٩١).

هذه بعضاً مما جاء عن الخضر عليه السلام. وأما ما جاء في القرآن هو نبيّ لقي رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام، علمه علماً لم يكن يعلمه، وأهم من ذلك كان تعليمه التريث والتثبت وعدم الحكم على الشيء قبل معرفة كنهه.

وبعد فإن البحث يمكن استنباط نتائج وتوصيات منه، أما من نتائجه:

١. إن الرسل والأنبياء كانوا وما زالوا مصادر ثرة للدراسات المتعددة الجوانب.

٢. إن الخضر عليه السلام كان على علم لم يكن موسى عليه السلام محيطاً به.
٣. اختلاف العلماء في حياة الخضر أبرز لنا مدرستان، أما نتائج الأولى:
٤. التي تقول بحياته عندهم المعلم الأول لكل سالك لطريق التصوف.
٥. إنه يقف على قمة الهرم فهو من ينصب القطب والأوتاد والبلاء.
٦. إن معظم من يعلم الناس السلوك لا بد أن يستمد المدد الروحي منه.
٧. كثير من العلماء أوردوا لقاءهم به، وإرشاده وتوجيهه لهم.
٨. نتائج المدرسة الثانية، أنه لقي موسى ثم توفاه الله تعالى.
٩. إنه لو كان حياً لذكره الله تعالى مع الرسل والأنبياء الذين تعاقبوا بعد موسى.
١٠. إنه لو كان حياً لكان بايع كل الرسل بعده، ولاسيما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

أما من التوصيات:

١. ضرورة انتشار مثل هذه الدراسات المقارنة ، لأنها تعالج واقعاً معاشاً.
٢. لا ينبغي لمن لم يتفقه في الدين جيداً أن يتصوف.
٣. دعوة الدارسين للتأمل في حياة الأنبياء والرسل ففيها من المعاني العميقة والدروس النافعة.
٤. مثل: دراسة نبي الله سليمان ملكاً وحاكماً عادلاً، يوسف منقذاً ومعالجاً لأزمة اقتصادية كادت تعصف بمصر وما حولها.
٥. دراسة لنوح عليه السلام. صبره الجميل رغم تطاول الزمان وتعاقب الأجيال، وهكذا بقية الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

١. ابن كثير، إسماعيل بن محمد، ١٩٩٢م، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، لبنان.
٢. د.ت: البداية والنهاية، دار إحياء التراث.
٣. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ١٤٢٢هـ، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، لبنان.

- ٤ - د.ت، الموضوعات، دار الكتاب العربي.
٥. ابن عساكر، أبو القاسم محمد: د.ت، تاريخ دمشق، مطبعة دار الكتب العلمية، القاهرة.
٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: ١٣٩٨هـ، مجموع الفتاوى، طبع عبد الرحمن آل الشيخ، الدار العربية، الرياض.
- ٧ - الألوسي، محمود بن محمد: د.ت، روح المعاني، دار إحياء التراث، لبنان.
- ٨ - ابن حزم، علي بن أحمد: ١٣٤٥هـ، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة السعادة.
- ٩ - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: د.ت، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٠ - ابن مندة، محمد بن اسحق: د.ت، التوحيد.
- ١١ - ابن حجر، أحمد بن علي: د.ت، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة المنيرية، القاهرة.
- ١٢ : ١٣٥٨هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة محمد مصطفى، مصر.
- ١٣ : ١٣٢٠هـ، تقريب التهذيب، طبع الهند، دهلي.
- ١٤ : ١٣٢٩هـ، لسان الميزان، مطبعة دار المعارف، الهند.
- ١٥ : د.ت، المطالبة العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ط. دار ابن جزم.
- ١٦ - ابن حبان، محمد بن أحمد: ١٩٧٣، الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد.
- ١٧ - أحمد، عبد الله حنبل، د.ت، زوائد الزهد، دن.
- ١٨ - ابن القيم، محمد بن أبي بكر: د.ت، المنار المنبف، المكتب الإسلامي.
- ١٩ - ابن ماجه، محمد بن يزيد: ١٤٤٩هـ، السنن، المطبعة التازية.
- ٢٠ - أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي، د.ت، المسند، دن.
- ٢١ - أبو داود، سليمان بن الأشعث، ١٣٤٩هـ، السنن، المطبعة التازية.
- ٢٢ - ابن عدي، عبد الله بن محمد، د.ت، الكامل في الجرح والتعديل، دن.

- ٢٣ - ابن شاذان، الحسن بن أحمد بن إبراهيم، ١٩٩٨م، المشيخة الصغرى، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة.
- ٢٤ - ابن حبان، محمد بن محمد، صحيح ابن حبان، ١٩٨٨م، تحقيق أحمد شاکر، طبع الحلبي، مصر.
- ٢٥ - البيضاوي، عبد الله بن عمر بن أحمد، د.ت، تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.
- ٢٦ - البیهقي، أحمد بن الحسين، د.ت، دلائل النبوة، دار الوفاء، بيروت.
- ٢٧ - البوصيري، أحمد بن زين الدين، د.ت، إتحاف الخيرة المهرة، طبع الحلبي، مصر.
- ٢٨ - الحارث بن أبي أسامة، ١٩٩٢م، مسند الحارث، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة.
- ٢٩ - حنبل، أحمد بن محمد، د.ت، المسند، تحقيق أحمد شاکر، مؤسسة الإيمان، بيروت.
- ٣٠ - الذهبي، محمد بن محمد ١٣٢٥هـ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مطبعة السعادة، مصر.
- ٣١ - الدارقطني، علي بن عمر، د.ت، الأفراد، طبع الحلبي.
- ٣٢ - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، التذكرة في الأحاديث المشتهرة، دار الكتب العلمية.
- ٣٣ - السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، ١٩٨٥م، المقاصد الحسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣٤ - السيوطي، عبد الرحمن بن محمد، د.ت، الدر المنثور، مؤسسة الإيمان، بيروت.
- ٣٥ - د.ت، جمع الجوامع، طبعة الأزهر.
- ٣٦ - ١٩٩٦م، اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، مؤسسة الإيمان، بيروت.
- ٣٧ - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، د.ت، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٨ - الطبراني، سليمان بن أحمد، ١٣١١هـ، المعجم الأوسط، مطبعة الأنصار، دهلي.

- ٣٩ - الطبري، محمد بن جرير، ١٣٢٣هـ، جامع البيان في تفسير آي القرآن، طبعة بولاق، مصر.
- ٤٠ - العقيلي، محمد بن عمر بن موسى، الضعفاء الكبير، دار الأدب الإسلامي، تونس.
- ٤١ - الغزالي، محمد بن محمد بن علي، د.ت، إحياء علوم الدين، دار المعرفة.
- ٤٢ - القرطبي، عبد الله بن محمد، ١٤١٤هـ، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة.
- ٤٣ - القشيري، عبد الكريم بن هوازن، د.ت، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دارالكتاب العربي.
- ٤٤ - الكفائي، علي بن محمد بن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة، دار الكتب العلمية، لبنان.
- ٤٥ - المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام، ٢٠٠٥م، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيت الأفكار، الهند.
- ٤٦ - مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، د.ت، الصحيح، دار إحياء التراث، لبنان.
- ٤٧ - النووي، يحيى بن شرف بن زكريا، ١٣٩٢هـ، شرح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٤٨ - الهيتمي، علي بن أبي بكر، ١٩٥٢م، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، طبع القدسي حسام الدين.
- ٤٩ - الواحدي، علي بن أحمد، ١٣١٥هـ، الوجيز، مصر.
- ٥٠ - ود ضيف الله، محمد بن النور، ١٩٣٠م، الطبقات في الأولياء والصالحين بالسودان، مكتبة مضوي، ودمدني.

دور المقومات الجغرافية والثقافية في الجذب السياحي بالولاية الشمالية- السودان

د. السيد بخت أحمد^(١)

د. الأمين عثمان شعيب

مستخلص الورقة:

تناولت الورقة دور المقومات الجغرافية والثقافية في الجذب السياحي بالولاية الشمالية بالسودان. وهدفت إلى التعرف على المقومات الطبيعية والثقافية للجذب السياحي بشمال السودان واستعرضت المقومات الجغرافية المتمثلة في النيل والصحراء وما يحتويانه من شواطئ رملية وجزر رملية وصخرية وجنادل ومناظر طبيعية جذابة، وكثبان رملية وأودية عميقة جافة. بالإضافة للمقومات الثقافية من آثار لجميع الفترات التاريخية التي شهدتها المنطقة. توصلت الدراسة إلى أن المنطقة تذخر بمقومات الجذب السياحي إلا أنها تقتصر إلى الاستغلال الأمثل لها. كما أن الاهتمام في الآونة الأخيرة من خلال سياسة الدولة بتأسيس وزارة للسياحة وما تبع ذلك من قرارات لفت الانتباه إلى أهمية الاستفادة من هذه المقومات كمورد اقتصادي مهم.

مقدمة:

عرف الانسان السفر والترحال منذ بداية وجوده على هذه الأرض، حيث كان يسعى وراء طعامه وشرابه، وكانت التجارة وأداء الطقوس الدينية هي الأغراض الأولى التي دفعت الإنسان إلى السفر والترحال من منطقة إلى أخرى، وتاريخ السفر ارتبط بظاهرة الحج في العصور الوسطى Medieval Pilgrimage والتي يعبر عنها في الوقت الحاضر بـ Holydays أو الأيام المقدسة، حيث المصطلح المشتق من مقدس Holy ويوم Day، هذا النوع من الرحلات شكل النواة الأولى لظاهرة السفر غير العشوائي والذي تطور حتى وصل في يومنا هذا إلى ظاهرة منظمة هي الحج، حيث يسافر الملايين سنوياً لأداء فريضة الحج والعمرة.

لقد أضاف الرحالة العرب وغيرهم من المستكشفين في هذه العصور مفاهيم كثيرة للسفر والترحال لم تقتصر على التجارة أو الدين، بل تجاوزته إلى ما هو أوسع كمعرفة البلاد

(1) * د. السيد بخت أحمد، أستاذ مشارك، جامعة دنقلا كلية الآداب قسم الجغرافية

* د. الأمين عثمان شعيب، أستاذ مساعد، جامعة دنقلا، مركز تأصيل المعرفة والعلوم

وسكانها وعاداتهم وثقافتهم وأصولهم وأعمالهم ومنتجاتهم حتى كانوا الأسس المتينة للعلوم الجغرافية والاجتماعية والأجناس والطب والتي كونت في مجموعها أساس العلوم في عصرنا الحاضر.

إن السياحة في الوقت الحاضر تمثل جزءاً لا يتجزأ من نشاطات الإنسان المعاصر المدفوع منذ القدم بحب التنقل من مكان لآخر، إما من أجل الارتزاق أو الحصول على أراضي جديدة، وإما من أجل التسلية والترفيه والتعرف على مناطق جديدة ومجتمعات جديدة (توفيق: ١٩٩٧، ٢٤).

تعتبر السياحة من الأنشطة الاقتصادية التي تعتمد عليها العديد من الدول التي تمتلك المقومات. ويحتل السودان المرتبة العاشرة دولياً حسب تصنيف منظمة السياحة العالمية في مجال الموارد السياحية الطبيعية والثقافية، إلا أن الالتفات إلى أمكانية تطور وتنمية هذه الموارد لم يرتق إلى المستوى المطلوب.

الولاية الشمالية هي أرض الحضارات والركيزة الأساسية والعمود الفقري للتنمية السياحية في السودان، وذلك لما لها من المقومات والمكونات الرئيسة لصناعة السياحة (كباشي: ٢٠٠٨: ١٧٨).

تتجذر الحضارات السودانية في عمق التاريخ الإنساني من فترة العصور الحجرية مروراً بثقافة المجموعات الحضارية وحضارة كرمة ونبتة ومروي فالفترات المسيحية والإسلامية، علاوة على المقومات الطبيعية التي تتوفر في شمال السودان من رمال صحراوية وأودية موسمية ومحميات طبيعية وجزر نيلية.

ستتناول هذه الورقة المقومات السياحية في شمال السودان ودورها في انتعاش وتطور العمل السياحي وتعرض لبعض المعوقات التي أدت إلى تأخر العمل السياحي في السودان وعدم الاستفادة من الموارد المالية والطبيعية والثقافية التي يمكن أن تحقق التنمية المستدامة في السودان. كما تشتمل الورقة على عرض صور ومناظر لبعض هذه المقومات الطبيعية والثقافية.

مشكلة الدراسة:

إن ما تتمتع به الولاية الشمالية بالسودان من موارد طبيعية على النيل والصحراء ومواقع التراث الثقافي كالمواقع الأثرية، يمكن أن يمثل العمود الفقري لاقتصاده إذا تم التخطيط

السليم لذلك. إلا أن الموارد المتوفرة بالولاية الشمالية بالسودان لم تجد الاهتمام الكافي حتى تؤدي الدور الاقتصادي المتوقع. كما أن التأخر في التخطيط للعمل السياحي من قبل الجهات الرسمية والشعبية قد تأخر كثيراً.

أهداف الدراسة:

- التعرف على اهم المقومات الطبيعية للجذب السياحي بشمال السودان.
- عرض المواقع الأثرية السودانية في منطقة الدراسة التي تعتبر عماد الجذب السياحي.
- التعرف على المعوقات التي أدت إلى تأخر العمل السياحي بالولاية الشمالية.
- معرفة الأثر المباشر للسياسات الجديدة في السودان على العمل السياحي.

منهجية الدراسة:

تتبع هذه الدراسة المنهج التاريخي والوصفي التحليلي لإبراز أهم المواقع التي تساهم في عملية الجذب السياحي.

مفهوم السياحة:

السياحة ظاهرة طبيعية من ظواهر العصر الحديث، والأساس فيها الحاجة المتزايدة للحصول على عمليات الاستجمام، وتغيير الجو والوعي الثقافي لتذوق جمال المشاهد الطبيعية ونشوة الاستمتاع بجمال الطبيعة (أحمد ملوخية: ٢٠٠٧: ٣٣). فالسياحة في مفهومها الواسع هي ممارسة إجازة عن العمل بعيداً عن مكان الإقامة الذي يسكنه الإنسان. فهي سفر طوعي مؤقت للحصول على المتعة من خلال التجديد والتغيير الذي يشعر به السائح في رحلة متكاملة وطويلة نسبياً بين المنشأ والمقصد السياحي (Lea, 1988: 4).

كما أن السياحة نشاط إنساني وسيكولوجي للسائح، يتضمن عنصر التفضيل وما يجول بالنفس، بين التنقل، والأسفار لفترة زمنية تتطلب الترويح عن النفس داخل الإقليم أو خارجه مع ضرورة حمايته خلال الفترة القصيرة شريطة أن يكون قادراً على تحمل تبعات إقامته (أحمد، ٢٠٠٨: ٢٢).

صناعة السياحة من القطاعات الأساسية اقتصادياً واجتماعياً في العالم، وهي تنافس وتتقدم على كثير من مجالات التجارة العالمية، وتحقق معدل نمو سنوي متزايد باستمرار

خلال النصف الأخير من القرن العشرين، والعقد الاول من الالفية الجديدة باستثناء السنوات التي تلت أحداث سبتمبر (العاني، ٢٠٠٨: ١١).

تعني السياحة البيئية بمفهومها الشامل الترفيه والتجوال والاستجمام في المناطق والبيئات الطبيعية والاستمتاع بمناظرها ومكوناتها الفطرية الطبيعية ومزاولة الأنشطة الرياضية والترفيهية بها (كباشي، ٢٠١٢: ٢٠٠).

عوامل الجذب السياحي:

تلعب عوامل الجذب السياحي دوراً بارزاً في توجيه السائح إلى مناطق معينة لقضاء إجازته. وتشمل العوامل الطبيعية والبشرية والاقتصادية. تكون عناصر البيئة الطبيعية المسرح الذي يمارس فيه الإنسان دوره في صنع حضارته وتوارثها جيلا بعد جيل، وهي هبات أودعها الخالق عز وجل في الأرض (محمد خميس، د.ت: ٣٦). فالعوامل الطبيعية تشمل الموقع، شكل التضاريس، عناصر المناخ، النبات الطبيعي والحيوان البري. اما المقومات البشرية تشمل العامل التاريخي والتراث الثقافي الخالد والمورث الثقافي للشعوب والتراث الديني والثقافي الحالي، والكوادر البشرية القادرة على التخطيط السليم للاستفادة من مقومات الجذب السياحي في المنطقة، بينما العوامل الاقتصادية تشمل القدرة المالية للدولة او الافراد المهتمين بالشأن السياحي، بالإضافة إلى البنية التحتية لتسهيلات الضيافة من فنادق ونزل ووسائل نقل مريحة تقليدية أو حديثة (فتحي، ٢٠٠٩: ٥٥-٨٤).

إمكانات ومقومات الجذب السياحي بالولاية الشمالية:

تتعدد إمكانات ومقومات الجذب السياحي بالولاية الشمالية من مقومات طبيعية وبشرية. المقومات الطبيعية تتمثل في الصحراء والنيل، حيث يشق النيل مجراه في أرض الصحراء التي تتكون من جبال وتلال وكثبان رملية تشكل مع منظر الأراضي الزراعية في الشريط المحاذي للنيل لوحة جذابة، بالإضافة للجزر التي تمثل مواقع استيطان عبر التاريخ حتى الآن، بالإضافة إلى الظواهر الجيومورفولوجية من كارست وموائد صحراوية وأودية جافة عميقة وتلال وجبال على امتداد الولاية. أما المقومات البشرية تتمثل في مواقع التراث الثقافي بالمواقع الأثرية والمتاحف، التي تمثل أدوات جذب سياحي أكثر شهرة تنتشر على امتداد الولاية الشمالية.

أولاً- المقومات الجغرافية في الجذب السياحي:

يقصد بها جميع أنواع المناظر والمناطق ذات السمة الطبيعية والمميزة. تتمثل المقومات السياحية الطبيعية في النيل، الصحراء بكتبانها الرملية، المناخ، المناظر الطبيعية مثل الشلالات المائية، السدود، الجبال والكهوف (محمد فتح الرحمن: ٢٠١٠، ٧٤).

من المعروف أن الصحراء النوبية بها تنوع في الطبيعة الجيولوجية، حيث نجد أن الصخور الرملية والجرانيت يلعبان دوراً كبيراً في هذا التنوع بالإضافة إلى الكتبان الرملية.

تتوفر المنتجعات على جانبي النيل على طول إمتداد نهر النيل في الولاية الشمالية. كما يمكن أن يتضمن ذلك مواقع إستراتيجية في منطقة بحيرة سد مروي، ومنطقة الخندق ووادي حلفا ومنطقة الشلال الثالث وغيرها، لتمييزها بالمواقع الاستراتيجية لإنشاء المنتجعات بما تملكه من مقومات لذلك.

يتميز إقليم مروي بتنوع طبوغرافي يتشكل من السهول والكتبان الرملية والتلال والأودية والخيران والجبال. كما يتميز بجريان النيل باتجاه معاكس لجريانه الطبيعي. وتركيب جيولوجي يسوده الحجر الرملي النوبي والمتحجرات التي تعود الي حقبة ما قبل الكامبري حيث يقع الإقليم في الجزء الشمالي الشرقي من ترسبات حقبة الفانروزي في السودان، التي تغطي طبقة سميقة من التركيبية القاعدية الصخرية والتي تظهر على ضفتي النهر في منطقة الشلال الرابع والخصائص الجيولوجية للنيل في المنطقة الواقعة بين دنقلا وأبو حمد، تشير إلى أن مدينة كريمة هي الحد الفاصل لتكوينات الحجر الرملي الموجود على الناحية الغربية للتركيبية الصخرية القاعدية نحو الشرق. وعموماً يمكن أن تجمل طبيعة المنطقة في ثلاث عناصر أساسية هي: مناطق جبلية معزولة مثل تلك التي توجد حول الدبة وقتنتي وكورتني، ومناطق بعيدة عن النهر نتجت عن ترسبات الأودية يغطيها الحصى والكوارتز والمناطق الموجودة بطول النهر. والضفة اليمنى للنيل أكثر ارتفاعاً من الضفة اليسرى، وقد نتج عن ذلك أن العديد من الجبال في الضفة اليسرى قد تم حفرها في تربة طينية غرينية أو رملية، بينما في الضفة اليمنى تم قطعها في الحجر الرملي (Whiteman, 1971: 127). وتظهر هذه المناظر والمشاهد الطبيعية خلال جولة نيلية على طول نهر النيل أو السير بالبر في محازاة النيل.

يتمتع هذه الإقليم بالعديد من المقومات الطبيعية لوقوعه في منطقة تميزت بالشلالات النهرية بالإضافة إلى العديد من الجزر الصخرية الناتجة عن عمليات النحت في الصخور النارية والمأهولة بالسكان رغم أن أغلب الجزر تم غمرها بواسطة بحيرة سد مروي. غير أن الجزر أمام جسم السد لا زالت شاخصة وجذابة بالإضافة إلى الجزر التي نتجت عن طريق عمليات الإرساب النهري وكذلك الجزر الرملية. أيضاً يوجد بالإقليم واحة الغزالي التي تتوسط الصحراء في لوحة جميلة وجاذبة للسياح من الداخل والخارج، ويوجد بها موقع أثري يعود لفترة المسيحية كما أسلفت الذكر. تتميز منطقة مروي بشواطئ نيلية تشكل مناظر ساحرة بالإضافة إلى مجموعة من الجزر في منطقة الكاسنجر وما حولها ويبلغ عددها حوالي (٢٨) جزيرة ويمكن أن تنظم رحلات سياحية نيلية الي هذه المناطق (صورة ٢/١)، تتخلل هذه الجزر العديد من الجنادل، بالإضافة إلى المنحنيات النيلية مع مناظر شجر النخيل على الضفتين بالمحلية، يشكل لوحة طبيعية نادرة. وتوجد على ضفتي النيل الأودية الجافة العميقة التي كانت تزود النيل بمياه الأمطار قبل تحول المنطقة إلى صحراء.

أيضاً يتميز الإقليم بوجود الكثبان الرملية والرمال المتحركة في منحى النيل في مساحات شاسعة والتي طمرت العديد من المنازل والأراضي الزراعية.

وفي منطقة الشلال الثالث نجد أن مجرى النيل ضيقاً ومنساباً وتتخلله بعض الجزر والشلالات وهناك أنواع أخرى من التربة (Adams:1977:13). وتكثر بمنطقة الشلال الثالث الخيران والأودية وهذا يدل على إحاطتها بالجبال، وهذه الخيران ضيقة وطويلة وتعتبر ممرات طبيعية للأمطار التي تسقط في الصحراء وتصب في النيل. وتعتبر الخيران مؤشراً لدراسة التغيرات البيئية عبر الحقب الجيولوجية المختلفة (Dawoud and Ahmed:.,Vail:op.cit:33).

تعتبر هذه المنطقة من أكثر المناطق المميزة لوجود عدد كبير جداً من الجزر المأهول وغير المأهولة بالسكان. ولا تخلو من عنصر الجذب والصبغة السياحية، إذا ما تم تأهيلها لذلك. أشهرها جزر أردوان وسمت وبدين ومقاصر.

كما توجد في المنطقة واحات في الصحراء غرب مدينة دنقلا عاصمة الولاية منها القعب التي تعتبر الآن من أهم مناطق التتقيب الأهلى عن الذهب بالولاية وواحة سليمة التي

تقع على طريق الأربعين الذي اشتهر عبر التاريخ بأنه أهم طرق القوافل بين السودان ومصر.

ثانياً: مواقع التراث الثقافي والمتاحف:

مواقع الحضارة الكوشية في إقليم نبتة مثل موقع جبل البركل، أهرامات نوري، صنم أبي دوم وجبانة الكرو. يقع **جبل البركل** على الضفة اليمنى لنهر النيل بالقرب من مدينة كريمة ويحتضن العديد من المعابد أهمها معبد الإله آمون الكبير الذي تم تشييده في عهد رمسيس الثاني أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر في عهد المملكة المصرية الحديثة، وأكتمل في العهد الكوشي الأول، وكانت تتم فيه مراسم تتويج الملوك في الفترة الأولى من عمر الدولة الكوشية أي الأسرة الخامسة والعشرين وما بعدها (Dunham, 1970).

أما **موقع جبانة الكرو** الذي يقع جنوب جبل البركل على نفس الضفة (١٥ كلم) يمثل مكان الراحة الأبدية للملوك الكوشيين حوالي (٢٠ ملك وملكة)، يعكس تطوراً تدريجياً في شكل الدفن من المدفن الركامي البسيط حتى وصل لشكل الهرم ويوجد به معابد (Reisner, 1921: 32).

يشغل **موقع نوري** مكاناً يشبه موقع جبانة الكرو، وهو يقع على هضبة رملية صحراوية ممتدة من وراء اطراف السهل الفيضي على الضفة اليسرى لنهر النيل، ويعتبر من صروح كوش القديمة. يعتقد أن الملك تهارقا شيد هرمه فيها امتداداً لجبانة الكرو (Reisner, 1918: 64) وتشمل حوالي ١٩ مدفن لملوك و ٥٣ للملكات.

صنم أبو دوم يقع عند مدينة مروي الحديثة على الضفة المواجهة لمدينة كريمة يشتمل الموقع على معبد "للإله آمون" وهو على نفس الطراز الموجود بالكوة ذاته وجود الملك تهارقا أحد ملوك مملكة نبتة ٧١٣/٣٣٢ ق.م. (Griffith. 1922: 9. 102.)

المدافن الركامية في تنقاسي والزومة لفترات ما بعد مروي.

موقع الغزالي على وادي أبي دوم يقع على بعد ١١ كلم في الصحراء من مدينة مروي الحديثة على الضفة اليسرى لخور أبودوم حيث يوجد بقايا دير مسيحي يعود للفترة المسيحية (صورة ١١/ أ، ب).

القلاع والحصون العسكرية في موقع كجبي بمحلية مروي لفترات إسلامية (جمال جعفر، ٢٠٠٩، ٣٥-٣٧).

مواقع كرمة التي احتضنت آثار لفترات حضارة كرمة والمملكة المصرية الوسطى والحديثة وعهد نبتة ومروي وما بعدها حتى آثار الفترات المسيحية أشهرها الدفوفة الشرقية والغربية (Reisner: 1923: 37-50).

دنقلا العجوز: هي عاصمة مملكة المقررة المسيحية، وتقع على الضفة الشرقية للنيل ١٣٠ كلم جنوبى دنقلا. الموقع عبارة عن بقايا كنائس قديمة تعود للفترة المسيحية، القرن السابع والقرن الرابع عشر الميلادى.

سيسبي: تقع على الضفة الغربية للنيل في مواجهة دلقو ١٨٠ ميل، جنوبى وادى حلفا. بالموقع آثار تعود لعهد الدولة المصرية الحديثة.

صادنقلا: تقع على بعد ٢٠٥ كلم من وادى حلفا، على الضفة الغربية للنيل، وتحتوي على آثار الدولة المصرية الحديثة وهي عبارة عن معبد بناه الملك " أمنحتب الثالث " تخليداً لزوجته " الملكة تى ١٠٦٠/١٠٧٠. كما يحتوي على مقابر تعود لحضارة نبتة ٣٣٢/٧١٣ ق.م. وحضارة مروي ٣٣٢ ق.م/٣٥٠ م. (Giorgini. 1965 : 13. P. 21)

صلب: تقع على الضفة الغربية للنيل جنوب صادنقلا، ٢٢١ كلم جنوبى وادى حلفا، يحتوي الموقع على معبد يعود لفترة الدولة المصرية الحديثة بالإضافة لمقابر ترجع لفترات مختلفه (Vincent Fanacigny, 2014. 13-14).

الكوة: تقع على الضفة الشرقية للنيل، في مواجهة مدينة دنقلا الحديثة، يشتمل الموقع على معبد يرجع تاريخ بنائه الى الدولة المصرية الحديثة أضاف اليه الملك "تهارقو" أحد ملوك مملكة نبتة بعض الإضافات (شعيب: ٢٠١٨، ١٣٩).

كرمة: تقع على الضفة الشرقية للنيل، بحوالى ٥٠١ كلم شمال دنقلا. الموقع عبارة عن مدينة كرمة القديمة، ويمثل الموقع أول وأعظم حضارة في أفريقيا ٢٥٠٠ - ١٥٠٠ ق.م. ويتميز الموقع بوجود مبانى ضخمة من الطوب الأخضر يعرفان بالدفوفة الغربية والدفوفة الشرقية، تم بناءهما في فترات مختلفة، بدءاً بالدولة المصرية القديمة ٢٦٦٠ - ٢٠٨٠ ق.م، وماتلاها من عصور. هذا بالإضافة إلى مدينة كرمة القديمة التي تقع بالقرب من الدفوفة الغربية. وقد لعبت دوراً سياسياً وتجارياً كبيراً، وازدهرت وشكّلت حضارة متفردة. وما زالت البعثات توالي عملها من أجل تسليط الكثير من الضوء على هذه الحضارة (شارلس بونيه: ١٩٩٦-١٩٩٨، ١٣).

المتاحف : متحف جبل البركل بكريمة ، متحف مروي بمروي لاند ومتحف كريمة.

دور المقومات في الجذب السياحي:

إن ما تم استعراضه من مقومات جغرافية وثقافية كان أحد العوامل التي أدت إلى جذب السياح للمنطقة من الداخل والخارج. فقد شهدت المنطقة حركة سياحية كبيرة خلال العقدين الماضيين من الداخل، للتمتع بالمناظر الطبيعية رغم قلة الاهتمام بتهيئة المواقع الطبيعية، ومواقع التراث الثقافي، بالإضافة إلى السياح من الخارج الذين ينشطون في موسم الشتاء الشمالي لاعتدال الطقس، بصورة أكبر من فترة الصيف. فالولاية تمثل منطقة جذب تضاهي العديد من الولايات الأخرى كولاية البحر الاحمر وولاية نهر النيل وولايات دارفور، بناءً على المقومات السابقة نجد أن هناك رحلات نيلية في مناطق الشلال الرابع والثالث تستخدم فيها الزوارق والعبارات التقليدية لمشاهدة الأسماك النيلية والتماسيح في أطراف الجزر النهرية العديدة والمنتشرة على طول نهر النيل في حدود الولاية الشمالية ابتداءً من جزر الكاسنجر بمنطقة الشلال الرابع مروراً بجزر محلية الدبة وصولاً إلى شمال دنقلا من مقاصر حتى الشلال الثالث ثم يتواصل ظهور الجزر حتى وادي حلفاء، بمساعدة مختصين متعاونين مع المرشدين السياحيين. كما أن لمهرجان جبل البركل السياحي الدور الكبير في الجذب السياحي من خلال تسليط الضوء على فعاليات المهرجان.

لا تختلف الصحراء باتساعها في الولاية عن بقية مقومات السياحة حيث تغطي أغلب مساحة الولاية برمالها الجميلة المتحركة والثابتة. والتي يمكن أن تستغل كعامل لجذب السياحة من خلال الرياضات والمشي وسياحة العزلة علاوة على استخدام الرمال في السياحة العلاجية، كما هو الحال في منطقة القعب شمال غرب مدينة دنقلا.

كما أن للمواقع الأثرية دوراً كبيراً في جذب السياحة للولاية حيث تركزت فيها العديد من المواقع الأثرية التابعة لحضارة كريمة وحضارة نبتة حول منطقة الشلال الثالث كالدفوفة والمواقع الأخرى قرب كريمة وكذلك قرب الشلال الرابع في منطقة جبل البركل. فإذا ما تهيأت لها البيئة الحاضنة لصناعة السياحة ستعود بفوائد اقتصادية للسكان المحليين والدولة.

خلاصة والنتائج:

تتمتع الولاية الشمالية بالسودان بالعديد من عوامل الجذب السياحي متمثلة في العوامل الطبيعية البيئية مثل نهر النيل بخصائصه وموقعه وسط الصحراء وما يحتويه من جنادل وجزر نهريّة والصحراء بمكوناتها الرملية والصخرية. بالإضافة إلى المكون الأساس من مقومات الجذب الثقافي، وتمثله مواقع التراث الأثري المتمثل في الآثار الشاخصة من أهرامات ومعابد وقصور، والمدفونة في المقابر كرسوم جدارية. إلا أن كل هذه المقومات لم تجد حظها في القيام بدور عوامل الجذب نتيجة لعدم الاهتمام في السابق بالآثار والسياحة، كما أن الاستثمار في السياحة لم يرتق إلى المستوى المطلوب، بالإضافة لقصور دور الإعلام في عكس هذه المقومات.

شجعت الدولة في الفترة الأخيرة العمل السياحي من خلال مهرجان جبل البركل للسياحة في الولاية الشمالية، مما يعتبر مؤشراً إيجابياً للترويج والإعلان لمقومات السياحة والجذب السياحي بالولاية الشمالية.

المراجع:

- احمد عبد السميع علام (٢٠٠٨). علم الاقتصاد السياحي. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
- أحمد محمد ملوخية (٢٠٠٧). مدخل إلى علم السياحة. دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.
- الأمين عثمان شعيب (٢٠١٨)، مدينة جَم أَتون "الكوة" التاريخ والحضارة، دار المصورات للنشر، الخرطوم.
- توفيق، ماهر عبد العزيز (١٩٩٧). صناعة السياحة، دار وهران عمان.
- جمال جعفر عباس (٢٠٠٩). صناعة السياحة ودورها في تنمية وتطوير المواقع الأثرية بمحافظة مروي. مجلة الدراسات الإنسانية، العدد الثاني. شركة مطابع السودان للعملة المحدودة. الخرطوم.
- شارلس بونيه، (١٩٩٦-١٩٩٨م). مملكة كرمة ٢٥٠٠-١٥٠٠ ق.م في السودان ممالك على النيل، إعداد دييتريش فيلدونغ، ترجمة بدر الدين عروكي، معهد العالم العربي، باريس.

- **العاني، رعد مجيد (٢٠٠٨).** الاستثمار والتسويق السياحي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- **فتحي محمد الشرقاوي (٢٠٠٩):** السياحة والترويج. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- **كباشي حسين قسيمة (٢٠٠٨):** التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي. المروة للطباعة والنشر، الخرطوم.
- **كباشي حسين قسيمة (٢٠١٢).** التنمية السياحية المستدامة، "أسس ومبادئ عامة". إعتزاز للطباعة، الخرطوم.
- **محمد خميس الزوكة (د.ت).** صناعة السياحة "من المنظور الجغرافي". دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- **محمد فتح الرحمن أحمد (٢٠١٠)** مستقبل السياحة في محلية مروي. مجلة الدراسات الإنسانية ، العدد الثالث، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة. الخرطوم.
- **Adams,W.Y (1977):** Nubia Corridor to Africa-London.
- **Dawoud,A.S & Ahmed,F & Vail (1973):**Geology of The Third Cataract. Northern province-Khartoum.
- **Dunham, D. (1970).**Barkal temples. Boston. Massachusetts.
- **Reisner, G.A.(1918).** "The known and un known kings of Ethiopia".B.M.F.A.B.16.No.97.
- **Reisner: (1923) :** Excavation at Kerma, Part (1-3) Harvard African Studies, Vol. 5 Cambridge.
- **Reisner, G.A., (1921) :** "The Royal Family of Ethiopia", Museum of Fine Arts Bulletin, Vol. 21. Boston. Pp, 21-41
- **Giorgini. Schiff. (1965) :** "Premiere Campane de Fouilles a Sedenga, 1963-1964". Kush. Vol. 13,
- **Griffith. E.L.I (1922):** Oxford Excavation in Nubia. LAAA Vol,9. Liverpool, pp 67-124.
- **Lea,J.,(1988).** Tourism and development in the third world. Rutledge, London.
- **Macadam, (1955) :** The Temples of Kawa. Vol, 2, History and Archaeology of the Site. Text – Plates, London.
- **Vincent Fanacigny: (2014).** Soleb & Sedeinga. The Nubian Archaeological Development Organization. Paris.
- **Whiteman.J.(1971).**The Geology of Sudan Republic.Oxford



جزيرة نهرية رملية بمروي



جزيرة نهرية صخرية بمنطقة الشلال الرابع بمروي



جندل في منطقة الشلال الرابع





مدخل معبد الإلهة موت بجبل البركل



معبد جبل البركل المركزي B500 الذي تتم فيه تنويع الملوك



المداخل المقوّسة بموقع دير الغزالي



موقع دير الغزالي



هرم رقم (1) بموقع الكرو



المعبد الجنائزي بموقع الكرو



أبناء حورص الأربعة بأحد المدافن بمقبرة الكرو



مبنى الدفوفة الغربية بكرمة

كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني

د. أبو القاسم جمعة أحمد محمد^(١)

مستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى إثبات أن الرسم القرآني الذي كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أراد الله بقاءه على مر عصور الإسلام، وهو ما خطته الصحابة ورضي به النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده الصحابة ثم أمة الإسلام على مر عصورها ودهورها، فلا يجوز أن يتغير أو يتبدل، وفهم هذه المعاني وتلك الأسرار يؤدي حتماً لإستيثاق المنزل - القرآن الكريم - رسماً ومعنى مما يؤدي إلى ترسيخ عقيدة المؤمن، وليس هناك حرج في كتابة القرآن بالإملاء الحديثة بغرض التعليم للذين لا يحسنون إجادة فن الرسم، لأن الرسم ليس توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يعتقد أصحاب هذا المذهب لضعف الأدلة التي ساقوها، والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي، ثم تحليل الموضوع وهو أحد أشكال المنهج الوصفي.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

لما كانت كتابة الكلمة الواحدة بالإملاء الصحيح تعطي أكثر من تأويل لمعناها - فما بالك إذا كتبت هذه الكلمة برسم آخر غير الإملاء الصحيح - فهناك بلا شك سبب لكتابتها بهذا الرسم يقصد منه معنى يتوقف على موضع هذه الكلمة في الجملة. وإذا كانت هذه الكلمة التي كتبت بهذا الرسم في المصحف الشريف (وهو ما يسمى بالرسم العثماني) كلام الله - القرآن الكريم - كتاب الله المعجز في بيانه وفي لغته وفي ترتيله، فلا بد لكتابة الكلمة بهذا الرسم حكمة وسر ما.

أسباب اختيار الموضوع:

١. وجود أقوال تتحى بعيداً عن توقيف الرسم العثماني بحجة التسهيل على العامة الذين لا يجيدون قراءة القرآن بالرسم العثماني، ولكن يستطيعون قراءته بالإملاء الحديثة.

(1) أستاذ مساعد بجامعة دنقلا - كلية التربية بمروي

٢. ملاحظتي لطلاب المدارس والجامعات الذين يكتبون آيات القرآن بالإملاء الحديثة وليس بالرسم هل في ذلك إثم؟

أهداف البحث:

ويهدف هذا البحث إلى الآتي:

١. إثبات أن الرسم الذي كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أراد الله بقاءه على مر عصور الإسلام، وهو ما كتب به الصحابة ورضي به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده الصحابة ثم أمة الإسلام على مر عصورها ودهورها.
٢. استعراض بعض الكلمات من الرسم العثماني التي ظاهرها المخالفة اللفظية أو الإملائية.

٣. فهم هذه المعاني وتلك الأسرار، يؤدي حتما إلى زيادة الاشتقاق للمنزل - القرآن الكريم - رسما ومعنى مما يؤدي إلى ترسيخ عقيدة المسلم.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي، ثم منهج تحليل المضمون.

التعريف بالرسم العثماني وتطوره

الرسم في اللغة: هو الأثر وقيل بقية الأثر، وقيل: ما ليس له شخص من الآثار (ابن منظور، د. ت، ٣/١٦٤٦).

والرسم في الاصطلاح قسمان: قياسي وتوقيفي.

فالرسم القياسي: هو تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها، والوقف عليه. ولهذا اثبتوا صورة همزة الوصل؛ لأنها ملفوظة عند الابتداء، وحذفوا صورة التنوين، لأنه غير ملفوظ عند الوقف على أواخر الكلم. (شلبي، ١٣٨٠هـ، ٩٠)

والرسم التوقيفي: هو علم نعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي. (المارغني، ١٩٨١م، ٤٠)

وهذا الرسم التوقيفي هو الذي يعرف بـ(الرسم العثماني) نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، إذ هو الرسم المدون في المصاحف العثمانية. (إسماعيل، ٢٠١٠م، ١٦٦)

ويمكن أن يشار إلى أنه استخدمت مصطلحات أخرى بالإضافة إلى مصطلح الرسم العثماني كعلم على الصورة التي كتبت بها القرآن الكريم وأشهر تلك الكلمات التي

استعملت استعمال المصطلحات هي (الكتاب، والخط، والهجاء، والمصحف). ويبدو أن استخدام هذه المصطلحات الأربعة قد تطور عبر القرون، فقد كان مصطلح (الكتاب) الذي هو أحد مصادر (ك ت ب) قد استخدم أولاً دون غيره علماً على رسم المصحف لم يكن يختلف في شيء عما كان يستعمله الناس في غير المصحف من الخط، فكان جميع ذلك يطلق عليه مصطلح (الكتاب)، وقد استخدم هذا المصطلح إلى القرن الثاني من الهجرة، وقد ظهر مصطلح بعد ذلك وهو (خط المصحف) في فترات متأخرة أو كان يسمى بـ(علم الخط). (السيوطي، ١٣٠٢هـ، ٤٥)، ولكن الملاحظ أن مصطلح الخط صار أكثر دلالة على الجانب الفني للكتابة وصناعة الخطاطين، وأما الهجاء فهو تقطيع اللفظة بحروفها. (علي بن إسماعيل، د.ت، ٣٠/١٣)، أو التلفظ بأسماء الحروف لا مسمياتها لبيان مفرداتها، وأما مصطلح رسم المصحف فقد ظهر في وقت متأخر نسبياً، إذ أن كافة معاجم اللغة لا تذكر لمادة (رسم)، أي معنى يتعلق بالخط إذ أصل معنى رسم هو الأثر كما تقدم وربما كان استعمال الرسم للدلالة على خط المصحف إشارة إلى معنى الأثر القديم الذي يحرص عليه المسلمون على المحافظة عليه، ونجد أن هناك مصطلحاً آخر استخدمه بعض العلماء كأبي مالك، كعلم على الرسم القرآني وهو (الرسم السلفي). (الحمد، ٢٠٠٤م، ١٢٨ - ١٢٩).

وقد ألف العلماء المصنفات والكتب في بيان كيفية المصاحف العثمانية، وقد نقلوا فيها صورة دقيقة لهذه المصاحف مبينين صورة كل نسخة من النسخ المنقولة على المصحف، وكما بينوا المرسوم في المصاحف العثمانية مما خالف قواعد الرسم القياسي. ومن أهم ما صنف في الرسم العثماني: (المارغني، ١٩٨١م، ١٢٨ - ١٢٩)

● المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار، للإمام أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ.

● التنزيل للإمام أبي داؤود سليمان بن نجاح، المتوفى سنة ٤٩٦هـ.

● عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد للإمام أبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي، صاحب حرز الأمان، المتوفى سنة ٥٩٠هـ. وهي نظم لكتاب المقنع المذكور، ولها تروح كثيرة.

• هـورد الظمآن للإمام محمد بن إبراهيم الأموي الشهير بالخرّاز، المتوفى في أوائل القرن الثامن الهجري، وهو نظم بديع مشتمل على حل المسائل المذكورة في الكتب السابقة، وله شروح منها: دليل الحيران للشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي المتوفى سنة ١٣٤٩هـ.

قواعد الرسم العثماني

وينقسم إلى ست قواعد على النحو التالي:

الحذف، والزيادة، والبدل، والفصل، والوصل، والهمز، وما فيه قراءتان متواترتان وكتب على إحداهما:

أولاً: الحذف

وتحتة ثلاثة أنواع:

• **حذف الإشارة:** وهو أن يكون موافقا لبعض القراءات مثل قوله تعالى: (وَإِذْ

وَاعِدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (البقرة: ٥١)

قرئ بحذف الألف التي بعد الواو من لفظ (واعدنا)، كما قرئ بإثباتها، فحذفت الألف إشارة إلى قراءة الحذف، والقراءة الثانية جاءت موافقة للرسم تقديرا، حيث لم ترسم الألف. (الداني، د. ت، ٢٠) وهي من المواعدة

• **حذف الاختصار:** كحذف ألف جمع المذكر السالم، والمؤنث السالم مثل قوله

تعالى: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ) (المائدة: ٤١) ومثل قوله

تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ)

(الأحزاب: ٣٥)، كل ذلك رسم بحذف الألف. (نوير، ٢٠١٧م، ٥٩)

• **حذف الاختصار:** وهو ما اختص ببعض الكلمات دون بعض مثل قوله

تعالى: (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ الْمِيعَادِ) (الأنفال: ٤٢) رسمت بحذف الألف

التي بعد العين في (الميعاد) في سورة الأنفال فقط. (نوير، ٢٠١٧م، ٥٩).

ثانياً: الزيادة

مثل زيادة الألف في قوله تعالى: (أَوْ لَذُنْجَنَّهُ) (النمل: ٢١)، والواو في مثل قوله تعالى:

(وَلْيَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ) (ص: ٢٩) (نوير، ٢٠١٧م، ٥٩). وزيادة الياء في مثل قوله

تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) (الزاريات: ٤٧) (الداني، د. ت، ٣٦٩/٢).

ثالثاً: البديل

وهو جعل حرف مكان حرف وينقسم إلى:

- إبدال ياء من ألف (نوير، ٢٠١٧م، ص ٥٩) مثل (مجرى، وأنى، وعلى، وبلى) رسمت هكذا (جَرَاهَا) (سورة هود: ٤١)، (وأنى) (البقرة: ٢٢٣)، (على) (البقرة: ٥)، (بلى) (البقرة: ٨١).
- إبدال واو من ألف (نوير: ٢٠١٧م، ص ٥٩) مثل: (الغداة، ومشكاة، ومناة، والزكاة، والصلاة) رسمت هكذا (بالغداة) (الأنعام: ٥٢)، (كمشكاة) (النور: ٣٥)، (ومناة) (النجم: ٢٠)، (والزكاة) (مريم: ٣١)، (الصلاة، ذكرت ٥٨ مرة، أولها في سورة البقرة: ٣).
- إبدال صاد من سين مثل (الصراط) (الفاطحة: ٦) أصلها (السرط) (أبو داؤود، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ٧١٥/٣).
- إبدال التاء من الهاء مثل (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) (البقرة: ٢١٨) (نوير، ٢٠١٧م، ٥٩).
- إبدال ألف من نون مثل: (بو داؤود، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ٧١٥/٣)، (وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّادِغِينَ) (يوسف: ٣٢)، (كَأَلَّا لَيْنُ لَمْ يَنْتَه لَنْسَفَا بِالنَّاصِيَةِ) (العلق: ١٥)، (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ) (الإسراء: ٤٢).

رابعاً: الفصل والوصل

ويعبر عنهما بالقطع والوصل، أي قطع الكلمة عما بعدها، أو وصلها بها مثل: قطع أم، عن، من من قوله تعالى: (أم من يكون عليهم وكيلا) (سورة النساء: ١٠٩)، أو وصلها بها مثل قوله تعالى: (أمن هذا الذي يرزقكم) (سورة الملك: ٢١) (الداني، د. ت، ٧٦).

خامساً: رسم الهمزة

لرسم الهمزة عدة حالات، خلاصتها: أنها إما أن تكون ساكنة، أو تكون متحركة. والساكنة: إما أن تكون وسطاً أو طرفاً وهي: في هاتين الحالتين تصور بحسب الحرف، الذي قبلها، فإن كان مفتوحاً رسمت ألفاً مثل (أنشأتم) (الواقعة: ٧٢)، وإن كان مكسوراً

صورت ياء مثل (ما جئتم) (يونس: ٨١، مريم: ٨٩)، (ونبي) (الحجر: ٤٩)، وإن كان مضموماً رسمت واواً مثل (اللؤلؤ) (الرحمن: ٢٢، الواقعة: ٢٣).
أما المتحركة فإن كانت في ابتداء الكلام رسمت ألفاً مطلقاً مثل (أبصر) (الأنعام: ١٠٤، الكهف: ٢٦)، (إخراج) (البقرة: ٢٤٠)، (أعندها) (آل عمران: ٣٦).
وإن كانت وسطاً فإن كان ما قبلها متحركاً رسمت ألفاً إن كانت مفتوحة وقبلها فتح مثل: (سألوا) (النساء: ١٥٣).

وإن كانت مكسورة رسمت ياء بعد الحركات الثلاث مثل: (يئسوا) (العنكبوت: ٢٣، الممتحنة: ١٣)، (بارئكم) (البقرة: ٥٤)، (سئلت) (التكوير: ٨)، وكذلك إذا كانت مفتوحة أو مضمومة وقبلها كسر مثل (فئة) (البقرة: ٢٤٩)، (سنقرئك) (الأعلى: ٦)، كما نرسم واواً إذا كانت مضمومة بعد فتح مثل (رعوف) (ذكرت ٦ مرات أولها في البقرة: ٢٠٧)، أو مفتوحة بعد ضم مثل (مؤجلاً) (آل عمران: ١٥٤). أما إن سكن ما قبلها فإنها تحذف في صورتها مثل (يسئمون) (فصلت: ٣٨)، (نساءكم) (البقرة: ٤٩، الأعراف: ١٤١، إبراهيم: ٦) إلا إذا كانت مكسورة بعد ألف فإنها ترسم ياء مثل (قائمة) خمس مواضع أولها سورة آل عمران: ١١٣ أو مضمومة بعد ألف فإنها ترسم واواً مثل (هاؤم) (الحاقة: ١٩). أما المتطرفة فإن كان ما قبلها متحركاً رسمت بصورة الحرف الذي منه حركته مثل (بدأ) (العنكبوت: ٢٠)، (قرئ) (الأعراف: ٢٠٤، الانشقاق: ٢١)، (نقرؤه) (الإسراء: ٩٣)، وإن سكن ما قبلها لم ترسم صورتها مثل (ملء، شيء، سوء) (ملء) (آل عمران: ٩١)، (شيء) (ذكرت ١٩٠ مرة أولها في سورة البقرة: ٢٠)، (سوء) (ذكرت ٣٠ مرة أولها في سورة البقرة: ٤٩). (الداني، د. ت، ٦٥).

هذه هي القواعد العامة للهمزة، وقد خرج عن هذه القواعد كلمات مخصوصة رسمت بصور معينة مثل كلمة (رئياً) في قوله تعالى: (أحسن أثاثاً ورئياً) (مريم: ٧٤)، كتبت بياء واحدة وحذفت صورة الهمزة كراهية اجتماع مثلين (الضياح، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٧٩) ومثل (الرعياء) (الإسراء: ٦٠، الصافات: ١٠٥، الفتح: ٢٧)، مضموم ما قبل الواو كتبت بحذف الواو إلى آخر هذه الاستثناءات التي خرجت عن القواعد المتقدمة؛ لعل وأسرار منها ما عرفنا حكمته، ومنها ما لم تعرف حكمته. (الداني، د. ت، ٦٥ - ٦٨).

سادساً: ما كان فيه قراءتان ورسم على إحداهما وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

● كلمات فيها قراءتان ورسمت على إحداهما اختصاراً ومن ذلك:

١. (صراط) ذكرت اثنان وثلاثين مرة أولها سورة الفاتحة: ٧، (وبيصط) (البقرة: ٢٤٥)، (المصيطرون) (الطور: ٣٧)، (بمصيطر) (الغاشية: ٢٢) كتبت بالصاد اختصاراً عليها، وقرئت بالسین، وبالصاد. (الدمياطي: ٢٠٠٦م، ١٥١).

٢. (لاهب) في قوله تعالى: (لاهب لك غلاماً زكياً) (مريم: ١٩) كتبت بالألف بعد اللام على قراءة الهمز، وقرئت بالياء والهمز. (نوير، ٢٠١٧م، ٦١)

● كلمات فيها قراءتان، أو أكثر ورسم واحد صالح للجميع من ذلك:

مالك من قوله تعالى: (مَلِكِ يوم الدين) (الفاتحة: ٤)، وفيها (مالك) على وزن (سامع)، (ومَلِك) على وزن (سمع)، وفي الشاذ (مالك) بكسر اللام وفتح الكاف نصبا على القطع، (ومَلَك) بفتح اللام والكاف ونصبت (يوم)، (ومَلِك يوم الدين) بفتح الميم وكسر اللام على النداء وقد اتفقت المصاحف على كتابتها (ملك) بدون ألف. (الدمياطي، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ١٥٢).

(يخدعون) في قوله تعالى: (وما يخذعون إلا أنفسهم) (البقرة: ٩) اتفقت المصاحف على رسمها بدون ألف (الفرماوي، ٢٠٠٤م، ٢٣٥). القراءة الأولى (يخادعون) بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال.

والقراءة الثانية: (يخدعون) بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال (ابن الجزري، د. ت، ٢/ ٢٠٧) والرسم يحتملها.

● ما فيه قراءتان ورسم بهما ومن ذلك:

(وسارعوا) في قوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) (آل عمران: ١٣٣) قرأها نافع، وابن عامر وأبو جعفر بغير واو قبل السين على الاستئناف، وقرأها الباقون بواو العطف (ابن الجزري، د. ت، ٢/ ٢٤٢). ولما كانت القراءتان لا تحتملان رسماً واحداً، فقد كتبت في المصحف المكي، والكوفي، والبصري بواو قبل السين، وكتب بدونها في المدني والشامي (الضباع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١٠١). (من يرتد) من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد) (المائدة: ٥٤).

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر بدالين مكسورة، فمجزومة بفك الإدغام على الأصل؛ لأجل الجزم وهي لغة أهل الحجاز. والباقون بدال واحدة مفتوحة مشدودة بالإدغام، وهي لغة تميم (البناء، ٢٠٠٦م، ٢٣٩).

ولما كان رسم واحد لا يتحملها كتبنا برسمين في المصاحف العثمانية، فرسم في المدني، والشامي بفك الإدغام - أي بدالين - ورسم في الباقي بالإدغام أي: بدال واحدة (الضباع، ١٩٩٩م، ١٠٢)، ومثال في ذلك أيضا قوله تعالى: (ووصى بها إبراهيم) (البقرة: ١٣٢) فقد قرأ المدنيان، وابن عامر (وأوصى) بهمة مفتوحة، صورتها ألف بين الواوين مع تخفيف الصاد، وهي كذلك: في مصحف الإمام والمصحف المدني والمصحف الشامي. وقرأ الباقون (ووصى) بتشديد الصاد من غير همز بين الواوين، وهي كذلك في باقي المصاحف (ابن الجزري، د. ت، ٢/٢٢٢ - ٢٢٣)

موقف العلماء من ظواهر الرسم العثماني وإزاء هذه الظواهر التي جاءت في الرسم العثماني مخالفة لقواعد الرسم القياسي، اختلف العلماء في ذلك على اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى أصحابه أن بعض هذه الظواهر يرجع تفسيرها أو أصلها إلى علل لغوية، من هؤلاء الإمام الفراء فقد قال كتابه (معاني القرآن) عند قوله تعالى: (فلا تخشوهم واخشوني) (البقرة: ١٥٠) قال: ثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها وكل ذلك صواب)، ثم علل لذلك قائلا: (إنما استجازوا حذف الياء، لأن كسرة النون قبلها تدل عليها، وليست تهيب العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوا، من ذلك قوله تعالى: (ربي اكرم) (سورة الفجر: ١٥)، (وأهان) (الفجر: ١٦)، وقوله تعالى: (أتمدون) (النمل: ٣٦)، ومن غير النون (المناد)، (والداع) وهو كثير يكتفى من الياء بكسرة ما قبلها، ومن الواو بضمة ما قبلها مثل قوله تعالى: (سندع الزبانية) (سورة العلق: ١٨)، (وبدع الإنسان) (الإسراء: ١١)، وما أشبهه (الفراء، ١٩٨٠م، ٩٠ - ٩١). ثم استطرد الإمام الفراء حديثه قائلا: وقد تسقط العرب الواو وهي واو جماع اكتفاء بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا: قد ضرب. (الفراء، ١٩٨٠م، ٩٠ - ٩١)

وقد عبر الإمام أبو عمرو الداني عن هذا الاتجاه بقوله: (وليس من الرسم ولا من النقط اصطلاح عليه السلف يرضى الله إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب وقصدوا به طريقا من اللغة والقياس لموقعهم من العلم ومكانتهم من الفصاحة علم ذلك من علمه

وجهله من جهله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (الداني، د. ت، ١٩٦)

ولكن بنظرة فاحصة يتضح لنا أن التعليل بعلة لغوية لا يتضمن جميع ظواهر الرسم المصحفي بل ينطبق على بعضها دون البعض الآخر، فهو لا ينطبق مثلاً على زيادة الألف في قوله سبحانه وتعالى: (أو لأذبحنه) (النمل: ٢١)، لذلك لا ينبغي أن يتخذ هذا الاتجاه منهجاً عاماً في تفسير هذه الظواهر، كما ذهب إلى ذلك الإمام رحمه الله. (عبد الكريم إبراهيم، ٢٠٠٦م، ٦٩).

الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن ظواهر الرسم المصحفي يرجع أصلها إلى خطأ الكاتب ولا يبالون بهذا القول حتى ولو كان فيه نهمة لأجلاء الصحابة وخيرة الكتاب منهم. (عبد الكريم إبراهيم، ٢٠٠٦م، ٦٩).

والمعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم الذين كتبوا المصاحف كانوا متقنين لقواعد اللغة العربية والخط العربي، فكتبوا المصاحف على هذه القواعد، وخالفوا هذه القواعد في بعض الكلمات لعل وأسرار كثيرة تتفق مع مكانة القرآن الكريم وكيفية تلاوته. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٤١)

من هؤلاء العلماء القراء الذي فسر بعض هذه الظواهر بهذا الأمر، وإن رمت دليلاً على صحة ما نسيناه إليه فيقول في قوله تعالى: (ولأوصفوا خالكم) (التوبة: ٤٧)، زيادة الألف كتبت بلام ألف وألف بعد ذلك ولا يكتب في القرآن لها نظير، وذلك أنهم لا يكادون يستمرون في الكتابة على جهة واحدة، ألا نرى أنهم كتبوا (فما تغنِ النذر) (القمر: ٥) بغير ياء، (وما تغني الآيات والنذر) (يونس: ١٠١) بالياء وهو سوء هجاء الأولين (الغراء، د. ت، ٤٣٩/١)

وفي حقيقة الأمر هذا موقف غريب من مثل الفراء، وهو موقف ملفت للنظر ففي حين تراه يعلل حذف الياء في قوله تعالى: (فما يغنِ النذر) بسوء هجاء الأولين تراه يعلله - كما سبق في مواضع أخرى بعلة لغوية ويستشهد لذلك بما ورد عن العرب (عبد الكريم إبراهيم، ٢٠٠٦م، ٧٠).

الصحابة هم خيرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين اختارهم الله تعالى لمعاصرتهم، فكيف يمر من بين أيديهم مثل هذه الأخطاء من غير أن ينتبهوا لها، في حين أن عثمان

لم ينفرد في هذا العمل لوحده وإنما اسند هذا الفعل لخبرة الصحابة وخرج هذا العمل بعد مشاورة مع كبار الصحابة.

اختلاف العلماء في حكم كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني

أثارت قضية الرسم العثماني خلافا بين العلماء منهم من يرى أنه توقيفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم حيث أمرهم صلى الله عليه وسلم بكتابته وأقرهم عليه، ومنهم من يرى أنه اصطلاحى، ولا مانع من مخالفته وكتابته بالطرق الحديثة تحقيقا للمصلحة العامة للمسلمين. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٦٣).

اختلف العلماء في حكم كتابة القرآن بالرسم العثماني على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن رسم المصحف توقيفي لا يجوز تغييره، وتحرم مخالفته وهو مذهب جمهور الأمة سلفا وخلفا، ونقل كثير من العلماء الإجماع على ذلك. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٦٣).

وقد نقل الإمام الجعيري، وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب إتباع مرسوم المصحف العثماني (سليمان، د.ت، ٦٤)، وقال أشهب: (سئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى)، ولا مخالف له من علماء الأمة. (الداني، د.ت، ١٩)، وقال الإمام أحمد: (يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك. (الزركشى، ١٩٥٧م، ٣٧٩/١)، وقال البيهقي: (من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئا، وأعظم أمانة منا، فلا نظن بأنفسنا استدراكا عليهم). (البيهقي، ٢٠٠٣م، ٢١٩/٤). واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها: (إسماعيل، ٢٠١٠م، ١٨٤ - ١٨٥).

• إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الكتبة، فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم كُتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن على هذا الرسم بين يديه صلى الله عليه وسلم وأقرهم على تلك الكتابة، ومضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

• ما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقف كتابه على قواعد رسم القرآن، ويوجههم في رسم القرآن وكتابته ومن ذلك:

- فعن معاوية أنه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (ألق الدواة، وحزف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله)، ومد (الرحمن)، وجود (الرحيم). (البجصي، د. ت، ٣٥٧/١)
- وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كتب أحدكم (بسم الله الرحمن الرحيم) فليمد (الرحمن). (الدليمي، ١٩٨٧م، ٣٦٤/١).
- إجماع الصحابة على ما رسمه عثمان في المصاحف، وعلى منع ما سواه.
- إجماع الأمة بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين على تلقي ما نقل في المصاحف العثمانية التي أرسلها إلى الأمصار بالقبول وعلى ترك ما سوى ذلك. (خلف، ١٣٤٤هـ، ٣٤)، ولذلك جعل الأئمة موافقة الرسم العثماني ولو احتمالا شرطا لقبول القراءة فقالوا كل قراءة ساعدها خط المصحف، مع صحة النقل ومجيئها على الفصح من لغة العرب، فهي المعتمدة. (خلف، ١٣٤٤هـ، ٣٤)
- واستدلوا ببعض الروايات كقول زيد رضي الله عنه: (كنت اكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملي علي فإذا فرغت قال: اقرأ، فأقروءه، فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس) (الطبراني، ١٤٠٥هـ، ٥٤٤/٢). ومما يؤيد هذا القول قرارات المجامع الفقهية حول الرسم العثماني، فإن المجامع الفقهية التي تضم عددا من العلماء المحققين المخلصين قد أصدرت قرارات واضحة وحاسمة حول هذه القضية، وهي تمثل في العصر الحاضر إجماع علماء الأمة أو الأكثرية منهم على الأقل. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٨١) وسوف ننقل نص هذه القرارات وهي:
- قرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف:**
- بحث مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في المؤتمر السادس المنعقد في الفترة الأخيرة من ٣٠ من محرم ١٣٩١هـ إلى ٥ من صفر ١٣٩١هـ بحثا لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبه بعنوان (رسم المصاحف العثمانية) الذي بين فيه مذاهب العلماء في كون الرسم العثماني توقيفا أو اجتهاديا، وعرض بالأدلة العلماء في ذلك وفوائد الرسم العثماني وشبه بعض المستشرقين حول كتابة القرآن ورسمه. (أبو شهبه، د. ت، ١٤٧-١٧٢) وبعد دراسة الموضوع اتخذ المجمع عدد من القرارات منها: أوصى

المؤتمر بان يعتمد المسلمون على الرسم العثماني للمصحف الشريف؛ حفظا من التحريف. (مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٨٣، ٤٢٥-٤٢٦).

قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية:

أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية القرار رقم ٧١ بتاريخ ١٣٩٩/١٠/٢١ هـ ونصه: فإن مجلس هيئة كبار العلماء بعد اطلاعه على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في حكم كتابة القرآن بطريقة الإملاء العادية، وإن خالف ذلك الرسم العثماني. وبعد دراسة الموضوع ومناقشته وتداول الرأي فيه تبين للمجلس أن هناك أسبابا تقتضي بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني وهي:

- ثبت أن كتابة المصحف بالرسم العثماني كانت في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنه أمر كتابة المصحف أن يكتبوه على رسم معين، ووافقه الصحابة وتابعهم التابعون ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين؛ اقتداء بعثمان وعلي وسائر الصحابة وعملا بإجماعهم.
- إن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليا يقصد تسهيل القراءة يفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة؛ لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها، فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين، ويجد أعداء الإسلام مجالا للطعن في القرآن الكريم، وقد جاء الإسلام بسد نرائع الشر ومنع أسباب الفتن.

- ما يخشى من أنه إذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن الكريم أن يصير كتاب الله العوبة بأيدي الناس، كلما عنت لإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها، فيقترح بعضهم كتابته باللاتينية أو غيرها، وفي هذا ما فيه من الخطر، ودرء المفساد أولى من جلب المصالح. وبناء على هذه الأسباب اتخذ المجلس القرار التالي:

يرى مجلس هيئة كبار العلماء أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني، ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة؛ محافظة على كتاب الله من التحريف، واتباعا

لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف، رضوان الله عليهم أجمعين. (إسماعيل: ٢٠٠١م، ٨٣-٨٤).

قرار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قد اطلع على خطاب الشيخ هاشم وهبة عبد العال من جدة الذي ذكر فيه موضوع (تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي) وبعد مناقشة هذا الموضوع من قبل المجلس واستعراض قرار هيئة كبار العلماء بالرياض رقم (٧١) بتاريخ ١٠/٢١/١٣٩٩هـ الصادر في هذا الشأن وما جاء فيه من ذكر الأسباب المقتضية بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني. قرر بالإجماع تأييد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، من عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ما هو عليه ليكون حجية خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، وإتباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين. (مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ١٩٨٩م، ٤٨٥-٤٨٦).

القول الثاني: أن رسم المصحف ليس توقيفيا، وأنه لا مانع من تغيير هذا الرسم حسبما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة. وممن ناصر هذا المذهب: أبو بكر الباقلاني، وابن خلدوني (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٦٣) وشيخ الإسلام ابن تيمية، بل ذهب عز الدين بن عبد السلام إلى تحريم الكتابة على الرسم العثماني الأول، ووجوب كتابة القرآن على الاصطلاحات المعروفة عند عامة الناس (إسماعيل، ٢٠١٠م، ١٨٦)، وقال أبو بكر الباقلاني: (وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأئمة فيها شيئا، وإذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم وتركه ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه، أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية، بل السنة دلت على جواز بأي وجه سهل، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهها معينا ولا نهى أحدا عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من

كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال. ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوج الألفات، وأن يكتب على غير هذه الوجود، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثه، وجاز أن يكتب بين ذلك. وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة، وكان الناس قد أجازوا ذلك وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته، وما هو أسهل وأشهر وأولى من غير تأتيم ولا تتاكر، علم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حد محدود مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة والآذان. والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت. (الزرقاني، ١٩٩٥م، ٣١٢-٣١٣).

ويؤيد هذا القول ما ذهبت إليه وزارة التربية والتعليم المصرية حيث رأت أن يكتب ما يرد في الكتب المدرسية بالرسم الإملائي المعروف بما تعارف عليه الناس في هذا الزمان من رسم إملائي، ولم يعترض على هذا العلماء من سدة هذا الدين ويؤيد ما ذهبت الوزارة إليه بما قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: (لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة؛ لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء قد أحكمه القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة. (شليبي، ١٩٩٩م، ١١٦).

القول الثالث: جواز كتابته بالرسم الحديث لعامة الناس حسب قواعد الخط في أي عصر، مع الإبقاء على الرسم العثماني والمحافظة عليه للعلماء والخاصة، كأثر من الآثار النفسية التي حافظت عليها الأجيال المتعاقبة. وممن ناصر على هذا المذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبدر الدين الزركشي. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٦٣). وقد نص على ذلك الزركشي نقلا عن الشيخ العز بن عبد السلام فقال: (قال الشيخ العز بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لئلا يؤدي إلى دروس

العلم وشيء أحكته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة). (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٧٨).

الدراسة والترجيح:

لو رجعنا إلى القول الأول نجد أن هناك علماء أجلاء ردوا على توقيف الرسم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء العلماء مناع القطان، ومساعد الطيار، وفهد الرومي. فقال مناع القطان: (وهذا الرأي لم يرد فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكون الرسم توقيفياً، وإنما اصطلاح الكتبة على هذا الرسم في زمن عثمان برضاء منه، وجعل لهم ضابطاً لذلك بقوله للرهط القرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم) وحين اختلفوا في كتابة (التابوت) فقال زيد: (التابوه) وقال نفر القرشيين: (التابوت) وترافعوا إلى عثمان رضي الله عنه، قال: (اكتبوا التابوت) فإنما أنزل القرآن على لسان قريش). (القطان، ٢٠٠٠م، ١٤٠).

وقال مساعد الطيار: (إن رسم المصحف (أي كتابته) كانت على ما تعلمه الصحابة من معلمهم، وعلى ما عهدوه من إملاء عصرهم، ولم يثبت أنهم تركوا إملاء عصرهم إلى إملاء خاص بالقرآن، بدلالة توافق ما وجد من بعض الوثائق والمدونات الصخرية والنقودية التي ترجع إلى عصرهم. إذ ثبت أنهم لم يخترعوا رسماً خاصاً، فإن رسم المصحف هو الرسم الإملائي الموافق لعصرهم، وتسميته بالرسم العثماني اصطلاح نشأ بعدهم، ولم يرد عنهم الحديث عنهم. وهذا يعني أنهم كتبوا المصحف على ما استقر عليه الرسم عندهم، ثم ما زال يتطور الرسم، ويأخذ في التغير حتى صار إلى ما هو عليه اليوم، وبقي رسم المصحف على ما كتبه الصحابة لا يهيج عليه، ولا يجوز خلافه فيما أريد كتابة مصحف كامل (الطيار، ١٤٢٥هـ، ٧٣). وقال فهد الرومي في ترجيحه لأحد الأقوال: (والذي نراه أن رسم المصحف اصطلاحى وليس بتوقيفى؛ لأن القول بالتوقيف يحتاج إلى دليل، وليس ثم دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة على ذلك، ولم يقل به أحد من علماء السلف بل هو لبعض المتأخرين. وأما ما روي من روايات فهي إما غير صحيحة، أو لا تدل على المراد من القول بالتوقيف، بل

تدل على وجوب التزام الرسم، واحترام الرسم العثماني واستحسانه والتزامه لا يلزم منه القول بأنه توقيفي. (الرومي، ٢٠٠٥م، ٤٨٨)

وبالنسبة للقول الثاني يرد عليه بما يأتي: (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٧٥):

١. دعواهم أنه ليس هناك دليل على التوقيف، لا من القرآن ولا من السنة والإجماع والقياس، كل ذلك مردود بالأدلة التي سقناها لمذهب الجمهور.

٢. قول أبي بكر: (ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول) لا معنى له ولا يقيد القائلين بهذا المذهب؛ لأن الحروف الكوفية لم تخرج عن كونها مطابقة لنفس القواعد التي كتب بها المصحف، فأين الشاهد في ذلك؟

٣. دعواهم: (أن كل رسم دال على الكلمة مقيد لوجه قراءتها تجب صحته، وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت) هذه الدعوى تناقض ما يذهب إليه أصحاب هذا المذهب وتهدم الأساس الذي بني عليه؛ لأن القراءة سنة متبعة، والتوقيف فيها أمر مجمع عليه.

وإما القول الثالث هو خليط من القول الأول والثاني.

والراجح عندي - والله أعلم - أن الرسم ليس توقيفي وإنما إجماع من الصحابة على الرسم العثماني لما فيه من اعتدال، إلى جانب زيادة احتياط لكتاب الله تعالى، والحفاظ على ضمان صيانة القرآن من التغيير أو التبديل، بل إن قواعد الإملاء في العصر الإملائي عرضة للتغيير والتبديل، بل إن قواعد الإملاء في العصر الواحد قد تختلف وجهات النظر فيها وتتفاوت في بعض الكلمات من بلد لآخر، فإذا أبيع كتابة القرآن بالاصطلاح الإملائي لكل عصر، أدى ذلك إلى التغيير في خط المصحف من عصر لآخر، وهذا مما يتنافى مع قداسة القرآن وعظمته في نفوس المؤمنين، ومما قد يؤدي إلى اختلاف المسلمين في كتاب الله تعالى، ويجر إلى فتنة أشبه بالفتنة التي حدثت أيام عثمان رضي الله عنه، وحملته على استنساخ المصاحف. وحجة تيسير قراءة القرآن على الدارسين والعامّة لا تبرر التغيير الذي يمكن أن يؤدي إلى التهاون في تحري الدقة في كتابة القرآن، ثم يجبر إلى الفتنة والاختلاف على أنه يمكن تحقيق ذلك التيسير باعتبار قراءة القرآن في المصاحف على ذوي الاختصاص، لا سيما وقد علم أنه لا بد في أخذ القرآن وحفظه وتعلمه من الاعتماد على المشافهة إلى جانب الكتابة، وأنه لا

يكتفى بأحدهما عن الآخر، بل ربما كان الاعتماد على المشافهة أكثر من الكتابة وأولى. هذا إلى جانب تعلم فن التجويد والانتباه إلى الإشارات التحسينية التي وضعها العلماء على الكلمات لمعرفة الفوارق الإملائية في الرسم. على أنه يمكن أن يُنبه في ذيل كل صفحة من صفحات المصحف، إلى ما يوجد فيها من كلمات تخالف رسمها وإملائها الرسم المتعارف والإملاء المألوف.

وأخيرا يمكننا أن نقول: أنه لا بأس بمخالفة الرسم العثماني والكتابة بالإملاء المتعارف، إذا كنا نكتب آيات القرآن في مجالات التعليم والتدريس، كأن يكتب على السبورة مثلا أو على لوح للصغار أو ما إلى ذلك من أشياء، لا يقصد بها كتابة مصحف أو جزء منه، بل المقصود أن يذاكر الطلاب هذه الآيات ويستظهِرونها على الوجه الأكمل والأداء الصحيح. وقد نقل عن الشيخ العز بن عبد السلام ما يفيد جواز ذلك والترخيص فيه، بل الدعوة إليه. (البغا، مستو، ١٩٩٨م، ١٠٣-١٠٤).

الخاتمة:

وفيها أهم نتائج البحث:

الرسم العثماني ليس توقيفي، وإنما كان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه أمر كتابة المصحف أن يكتبوه على رسم معين، ووافق الصحابة وتابعهم التابعون من بعدهم إلى عصرنا هذا.

• إن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليا بقصد تسهيل القراءة يفضى إلى تغيير آخر، إذا تغير الاصطلاح في الكتابة؛ لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها، فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين، ويجد أعداء الإسلام مجالا للطعن في القرآن الكريم.

• بقاء الرسم المصحف على ما هو عليه؛ ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، وإتباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

• لا يَأْثَمُ من خالف الرسم العثماني، وكتب بعض آيات القرآن بالإملاء الحديثة بغرض التعليم.

التوصيات:

أوصى القائمين بأمر التعليم بتعيين حفظة لتدريس مقرر القرآن في جميع مراحل التعليم المختلفة، وتعويد الطلاب في جميع مراحل التعليم على كتابة الآيات في امتحان القرآن التحريري بالرسم العثماني.

المصادر والمرجع:

- ❖ إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي، ١٩٨١م، دليل الحيران شرح مورد الظمان في رسم وضبط القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة.
- ❖ إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي، د. ت، دليل الحيران على مورد الظمان، دار الحديث- القاهرة.
- ❖ ابن منظور الأفريقي، د. ت، لسان العرب، دار المعارف- القاهرة.
- ❖ أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأندلسي، د. ت، المخصص ط ١ المطبعة الأميرية ببولاق- مصر.
- ❖ أبو بكر البيهقي، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، شعب الإيمان، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة مكتبة الرشد- الرياض.
- ❖ أبو داود سليمان بن نجاح ابن أبي القاسم الأموي بالولاء الأندلسي، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، مجمع الملك فهد- المدينة المنورة.
- ❖ أبو عمرو الداني، د. ت، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة.
- ❖ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٤٠٧هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الطبعة الثالثة- المكتبة السلفية- القاهرة.
- ❖ البنا الدمياطي أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة- لبنان.
- ❖ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي- مصر.

- ❖ الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، د. ت، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
- ❖ الحافظ شيروية بن شهردار الديلمي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث- القاهرة.
- ❖ الطبراني، ١٤٠٥هـ، المعجم الأوسط، تحقيق: د. محمود الطحان، الطبعة الأولى- مكتبة المعارف- الرياض.
- ❖ القراء، ١٩٨٠م، معاني القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر.
- ❖ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ١٣٠٢هـ، رسالة في علم الخط من كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية، مطبعة الجوائب قسطنطينية- استانبول.
- ❖ حيدر خليل إسماعيل، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، الرسم العثماني والرسم القياسي وأوجه الاختلاف بينهما، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الرابع، العدد السابع.
- ❖ د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، مكتبة النهضة- مصر.
- ❖ د. غانم قدوري الحمد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، دار عمار للنشر والتوزيع ط١ عمان- الأردن.
- ❖ د. ياسر السيد نوير، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، قواعد الرسم العثماني وحكمه، مجلة الدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد الرابع العدد الأول.
- ❖ شعبان محمد إسماعيل، ٢٠٠١م، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ط٢ دار السلام.
- ❖ عبد الحي حسين الفرماوي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، رسم المصحف ونقطه، الطبعة الأولى، المكتبة المكية، باب مكة المكرمة- السعودية.
- ❖ عبد الفتاح إبراهيم شلبي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها، مكتبة وهبة، ط٤- القاهرة.

- ❖ عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، المتحف في رسم المصحف، الطبعة الأولى - دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر.
- ❖ عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، د. ت، المقنع في رسم مصاحف، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
- ❖ عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو الداني، د. ت، المحكم فينقط المصحف، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر - سوريا.
- ❖ علي محمد الضباع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، سمر الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، المكتبة الأزهرية للذات الطبعة الأولى - مصر
- ❖ عياض بن موسى اليعبصي، د. ت، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ❖ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط ١٤ - الرياض.
- ❖ مجلة المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، العدد الرابع السنة الثانية.
- ❖ مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٣هـ - ١٤٩٨٣م، تاريخه وتطوره.
- ❖ محمد بن علي بن خلف الحسيني، ١٣٤٤هـ، الكواكب الدرية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي - مصر.
- ❖ محمد عبد العظيم الزرقاني، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ❖ محمد محمد أبو شهية، د. ت، الرسم العثماني، بحث منشور ضمن مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بعنوان بحوث قرآنية - القاهرة.
- ❖ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ١٤٢٥هـ، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، دار المحدث الطبعة الأولى - الرياض.
- ❖ مصطفى ديب البغا وحي الدين ديب البغا، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية ط ٢ - دمشق.
- ❖ مناع القطان، ٢٠٠٠م، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة ط ١١ - القاهرة.

كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني

د. أبو القاسم جمعة أحمد محمد^(١)

مستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى إثبات أن الرسم القرآني الذي كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أراد الله بقاءه على مر عصور الإسلام، وهو ما خطته الصحابة ورضي به النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده الصحابة ثم أمة الإسلام على مر عصورها ودهورها، فلا يجوز أن يتغير أو يتبدل، وفهم هذه المعاني وتلك الأسرار يؤدي حتماً لإستيثاق المنزل - القرآن الكريم - رسماً ومعنى مما يؤدي إلى ترسيخ عقيدة المؤمن، وليس هناك حرج في كتابة القرآن بالإملاء الحديثة بغرض التعليم للذين لا يحسنون إجادة فن الرسم، لأن الرسم ليس توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يعتقد أصحاب هذا المذهب لضعف الأدلة التي ساقوها، والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي، ثم تحليل الموضوع وهو أحد أشكال المنهج الوصفي.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

لما كانت كتابة الكلمة الواحدة بالإملاء الصحيح تعطي أكثر من تأويل لمعناها - فما بالك إذا كتبت هذه الكلمة برسم آخر غير الإملاء الصحيح - فهناك بلا شك سبب لكتابتها بهذا الرسم يقصد منه معنى يتوقف على موضع هذه الكلمة في الجملة. وإذا كانت هذه الكلمة التي كتبت بهذا الرسم في المصحف الشريف (وهو ما يسمى بالرسم العثماني) كلام الله - القرآن الكريم - كتاب الله المعجز في بيانه وفي لغته وفي ترتيله، فلا بد لكتابة الكلمة بهذا الرسم حكمة وسر ما.

أسباب اختيار الموضوع:

١. وجود أقوال تتحى بعيداً عن توقيف الرسم العثماني بحجة التسهيل على العامة الذين لا يجيدون قراءة القرآن بالرسم العثماني، ولكن يستطيعون قراءته بالإملاء الحديثة.

(١) أستاذ مساعد بجامعة دنقلا - كلية التربية - مروي

٢. ملاحظتي لطلاب المدارس والجامعات الذين يكتبون آيات القرآن بالإملاء الحديثة وليس بالرسم هل في ذلك إثم؟

أهداف البحث:

ويهدف هذا البحث إلى الآتي:

١. إثبات أن الرسم الذي كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أراد الله بقاءه على مر عصور الإسلام، وهو ما كتب به الصحابة ورضي به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده الصحابة ثم أمة الإسلام على مر عصورها ودهورها.
٢. استعراض بعض الكلمات من الرسم العثماني التي ظاهرها المخالفة اللفظية أو الإملائية.

٣. فهم هذه المعاني وتلك الأسرار، يؤدي حتما إلى زيادة الاشتقاق للمنزل - القرآن الكريم - رسما ومعنى مما يؤدي إلى ترسيخ عقيدة المسلم.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي، ثم منهج تحليل المضمون.

التعريف بالرسم العثماني وتطوره

الرسم في اللغة: هو الأثر وقيل بقية الأثر، وقيل: ما ليس له شخص من الآثار (ابن منظور، د. ت، ١٦٤٦/٣).

والرسم في الاصطلاح قسمان: قياسي وتوقيفي.

فالرسم القياسي: هو تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها، والوقف عليه. ولهذا اثبتوا صورة همزة الوصل؛ لأنها ملفوظة عند الابتداء، وحذفوا صورة التنوين، لأنه غير ملفوظ عند الوقف على أواخر الكلم. (شلبي، ١٣٨٠هـ، ٩٠)

والرسم التوقيفي: هو علم نعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي. (المارغني، ١٩٨١م، ٤٠)

وهذا الرسم التوقيفي هو الذي يعرف بـ(الرسم العثماني) نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، إذ هو الرسم المدون في المصاحف العثمانية (إسماعيل، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١٦٦).

ويمكن أن يشار إلى أنه استخدمت مصطلحات أخرى بالإضافة إلى مصطلح الرسم العثماني كعلم على الصورة التي كتبت بها القرآن الكريم وأشهر تلك الكلمات التي استعملت استعمال المصطلحات هي (الكتاب، والخط، والهجاء، والمصحف). ويبدو أن استخدام هذه المصطلحات الأربعة قد تطور عبر القرون، فقد كان مصطلح (الكتاب) الذي هو أحد مصادر (ك ت ب) قد استخدم أولاً دون غيره علماً على رسم المصحف لم يكن يختلف في شيء عما كان يستعمله الناس في غير المصحف من الخط، فكان جميع ذلك يطلق عليه مصطلح (الكتاب)، وقد استخدم هذا المصطلح إلى القرن الثاني من الهجرة، وقد ظهر مصطلح بعد ذلك وهو (خط المصحف) في فترات متأخرة أو كان يسمى بـ(علم الخط). (السيوطي، ١٣٠٢هـ، ٤٥)، ولكن الملاحظ أن مصطلح الخط صار أكثر دلالة على الجانب الفني للكتابة وصناعة الخطاطين، وأما الهجاء فهو تقطيع اللفظة بحروفها. (علي بن إسماعيل، د.ت، ٣٠/١٣)، أو التلطف بأسماء الحروف لا مسمياتها لبيان مفرداتها، وأما مصطلح رسم المصحف فقد ظهر في وقت متأخر نسبياً، إذ أن كافة معاجم اللغة لا تذكر لمادة (رسم)، أي معنى يتعلق بالخط إذ أصل معنى رسم هو الأثر كما تقدم وربما كان استعمال الرسم للدلالة على خط المصحف إشارة إلى معنى الأثر القديم الذي يحرص عليه المسلمون على المحافظة عليه، ونجد أن هناك مصطلحاً آخر استخدمه بعض العلماء كأبي مالك، كعلم على الرسم القرآني وهو (الرسم السلفي) (الحمد، ٢٠٠٤م، ١٢٨ - ١٢٩).

وقد ألف العلماء المصنفات والكتب في بيان كيفية المصاحف العثمانية، وقد نقلوا فيها صورة دقيقة لهذه المصاحف مبينين صورة كل نسخة من النسخ المنقولة على المصحف، وكما بينوا المرسوم في المصاحف العثمانية مما خالف قواعد الرسم القياسي. ومن أهم ما صنف في الرسم العثماني: (المارغني، ١٩٨١م، ١٢٨ - ١٢٩)

● المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار، للإمام أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ.

● التنزيل للإمام أبي داؤود سليمان بن نجاح، المتوفى سنة ٤٩٦هـ.

● عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد للإمام أبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي، صاحب حرز الأمان، المتوفى سنة ٥٩٠هـ. وهي نظم لكتاب المقنع المذكور، ولها تروح كثيرة.

● مورد الظمان للإمام محمد بن إبراهيم الأموي الشهير بالخراز، المتوفى في أوائل القرن الثامن الهجري، وهو نظم بديع مشتمل على حل المسائل المذكورة في الكتب السابقة، وله شروح منها: دليل الحيران للشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي المتوفى سنة ١٣٤٩هـ.

قواعد الرسم العثماني

وينقسم إلى ست قواعد على النحو التالي:

الحذف، والزيادة، والبدل، والفصل، والوصل، والهمز، وما فيه قراءتان متواترتان وكتب على إحداهما:

أولاً: الحذف

وتحت ثلاثة أنواع:

● **حذف الإشارة:** وهو أن يكون موافقا لبعض القراءات مثل قوله تعالى: (وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (البقرة: ٥١)

● **قرئ بحذف الألف التي بعد الواو من لفظ (واعدنا)،** كما قرئ بإثباتها، فحذفت الألف إشارة إلى قراءة الحذف، والقراءة الثانية جاءت موافقة للرسم تقديرا، حيث لم ترسم الألف. (الداني، د. ت، ٢٠) وهي من المواعدة

● **حذف الاختصار: كحذف ألف جمع المذكر السالم، والمؤنث السالم مثل قوله تعالى: (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ) (المائدة: ٤١) ومثل قوله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) (الأحزاب: ٣٥)، كل ذلك رسم بحذف الألف. (نوير، ٢٠١٧م، ٥٩)**

● **حذف الاختصار:** وهو ما اختص ببعض الكلمات دون بعض مثل قوله تعالى: (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ فِي الْمِيعَادِ) (الأنفال: ٤٢) رسمت بحذف الألف التي بعد العين في (الميعاد) في سورة الأنفال فقط. (نوير، ٢٠١٧م، ٥٩).

ثانياً: الزيادة

مثل زيادة الألف في قوله تعالى: (أَوْ لَذَبْحَنَّهُ) (النمل: ٢١)، والواو في مثل قوله تعالى: (وَلَيَنْدَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (ص: ٢٩) (نوير، ٢٠١٧م، ٥٩). وزيادة الياء في مثل قوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) (الزاريات: ٤٧) (الداني، د. ت، ٣٦٩/٢).

ثالثاً: البديل

وهو جعل حرف مكان حرف وينقسم إلى:

- إبدال ياء من ألف (نوير، ٢٠١٧م، ص ٥٩) مثل (مجرى، وأنى، وعلى، وبلى) رسمت هكذا (جَرَاهَا) (سورة هود: ٤١)، (وأنى) (البقرة: ٢٢٣)، (على) (البقرة: ٥)، (بلى) (البقرة: ٨١).
- إبدال واو من ألف (نوير: ٢٠١٧٤م، ٥٩) مثل: (الغداة، ومشكاة، ومناة، والزكاة، والصلاة) رسمت هكذا (بالغداة) (الأنعام: ٥٢)، (كمشكاة) (النور: ٣٥)، (ومناة) (النجم: ٢٠)، (والزكاة) (مريم: ٣١)، (الصلاة، ذكرت ٥٨ مرة، أولها في سورة البقرة: ٣).
- إبدال صاد من سين مثل (الصراط) (الفاحة: ٦) أصلها (السراط) (أبو داؤود، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ٧١٥/٣).
- إبدال التاء من الهاء مثل (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) (البقرة: ٢١٨) (نوير، ٢٠١٧م، ٥٩).
- إبدال ألف من نون مثل: (بو داؤود، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ٧١٥/٣)، (وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّادِغِينَ) (يوسف: ٣٢)، (كَأَلَّا لَيْنُ لَمْ يَنْتَه لَنْسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) (العلق: ١٥)، (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ) (الإسراء: ٤٢).

رابعاً: الفصل والوصل

ويعبر عنهما بالقطع والوصل، أي قطع الكلمة عما بعدها، أو وصلها بها مثل: قطع أم، عن، من من قوله تعالى: (أم من يكون عليهم وكيلا) (سورة النساء: ١٠٩)، أو وصلها بها مثل قوله تعالى: (أمن هذا الذي يرزقكم) (سورة الملك: ٢١) (الداني، د. ت، ٧٦).

خامساً: رسم الهمزة

لرسم الهمزة عدة حالات، خلاصتها: أنها إما أن تكون ساكنة، أو تكون متحركة. والساكنة: إما أن تكون وسطاً أو طرفاً وهي: في هاتين الحالتين تصور بحسب الحرف، الذي قبلها، فإن كان مفتوحاً رسمت ألفاً مثل (أنشأتم) (الواقعة: ٧٢)، وإن كان مكسوراً صورت ياء مثل (ما جئتم) (يونس: ٨١، مريم: ٨٩)، (ونبي) (الحجر: ٤٩)، وإن كان مضموماً رسمت واواً مثل (اللؤلؤ) (الرحمن: ٢٢، الواقعة: ٢٣).

أما المتحركة فإن كانت في ابتداء الكلام رسمت ألفاً مطلقاً مثل (أبصر) (الأنعام: ١٠٤، الكهف: ٢٦)، (إخراج) (البقرة: ٢٤٠)، (أعندها) (آل عمران: ٣٦). وإن كانت وسطاً فإن كان ما قبلها متحركاً رسمت ألفاً إن كانت مفتوحة وقبلها فتح مثل: (سألوا) (النساء: ١٥٣).

وإن كانت مكسورة رسمت ياء بعد الحركات الثلاث مثل: (يئسوا) (العنكبوت: ٢٣، الممتحنة: ١٣)، (بارئكم) (سورة البقرة: ٥٤)، (سئلت) (التكوير: ٨)، وكذلك إذا كانت مفتوحة أو مضمومة وقبلها كسر مثل (فئة) (البقرة: ٢٤٩)، (سنقرئك) (الأعلى: ٦)، كما نرسم واواً إذا كانت مضمومة بعد فتح مثل (رعوف) (ذكرت ٦ مرات أولها في البقرة: ٢٠٧)، أو مفتوحة بعد ضم مثل (مؤجلاً) (سورة آل عمران: ١٥٤). أما إن سكن ما قبلها فإنها تحذف في صورتها مثل (يسئمون) (فصلت: ٣٨)، (نساءكم) (البقرة: ٤٩، الأعراف: ١٤١، إبراهيم: ٦) إلا إذا كانت مكسورة بعد ألف فإنها ترسم ياء مثل (قائمة) خمس مواضع أولها سورة آل عمران: ١١٣) أو مضمومة بعد ألف فإنها ترسم واواً مثل (هاؤم) (الحاقة: ١٩). أما المتطرفة فإن كان ما قبلها متحركاً رسمت بصورة الحرف الذي منه حركته مثل (بدأ) (العنكبوت: ٢٠)، (قرئ) (الأعراف: ٢٠٤، الانشقاق: ٢١)، (نقروه) (الإسراء: ٩٣)، وإن سكن ما قبلها لم ترسم صورتها مثل (ملء، شيء، سوء) (ملء) (آل عمران: ٩١)، (شيء) (ذكرت ١٩٠ مرة أولها في سورة البقرة: ٢٠)، (سوء) (ذكرت ٣٠ مرة أولها في سورة البقرة: ٤٩). (الداني، د. ت، ٦٥).

هذه هي القواعد العامة للهمزة، وقد خرج عن هذه القواعد كلمات مخصوصة رسمت بصور معينة مثل كلمة (رئيا) في قوله تعالى: (أحسن أثاثاً ورئيا) (مريم: ٧٤)، كتبت بياء واحدة وحذفت صورة الهمزة كراهية اجتماع مثليين (الضياح، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م،

٧٩) ومثل (الرعياء) (الإسراء: ٦٠، الصافات: ١٠٥، الفتح: ٢٧)، مضموم ما قبل الواو كتبت بحذف الواو إلى آخر هذه الاستثناءات التي خرجت عن القواعد المتقدمة؛ لعل وأسرار منها ما عرفنا حكمته، ومنها ما لم تعرف حكمته. (الداني، د. ت، ٦٥ - ٦٨).

سادساً: ما كان فيه قراءتان ورسم على إحداها وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

كلمات فيها قراءتان ورسمت على إحداها اختصاراً ومن ذلك:

١. (صراط) ذكرت اثنان وثلاثين مرة أولها سورة الفاتحة: ٧، (ويبسط) (البقرة: ٢٤٥)، (المصيطرون) (الطور: ٣٧)، (بمصيطر) (الغاشية: ٢٢) كتبت بالصاد اختصاراً عليها، وقرئت بالسين، وبالصاد. (الدمياطي: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ١٥١).

٢. (لاهب) في قوله تعالى: (لاهب لك غلاماً زكياً) (مريم: ١٩) كتبت بالألف بعد اللام على قراءة الهمز، وقرئت بالياء والهمز. (نوير، ٢٠١٧م، ٦١)

كلمات فيها قراءتان، أو أكثر ورسم واحد صالح للجميع من ذلك:

مالك من قوله تعالى: (مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ) (الفاتحة: ٤)، وفيها (مالك) على وزن (سامع)، (ومَلِك) على وزن (سمع)، وفي الشاذ (مالك) بكسر اللام وفتح الكاف نصباً على القطع، (ومَلَك) بفتح اللام والكاف ونصبت (يوم)، (ومَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ) بفتح الميم وكسر اللام على النداء وقد اتفقت المصاحف على كتابتها (ملك) بدون ألف. (الدمياطي، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ١٥٢)

(يخدعون) في قوله تعالى: (وما يخذعون إلا أنفسهم) (البقرة: ٩) اتفقت المصاحف على رسمها بدون ألف (الفرماوي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٢٣٥). القراءة الأولى (يخادعون) بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال.

والقراءة الثانية: (يخدعون) بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال (ابن الجزري، د. ت، ٢/ ٢٠٧) والرسم يحتملها.

ما فيه قراءتان ورسم بهما ومن ذلك:

(وسارعوا) في قوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) (آل عمران: ١٣٣) قرأها نافع، وابن عامر وأبو جعفر بغير واو قبل السين على الاستئناف، وقرأها الباقر بواو العطف (ابن الجزري، د. ت، ٢/ ٢٤٢). ولما كانت القراءتان لا تحتملان رسماً واحداً، فقد كتبت في المصحف المكي، والكوفي، والبصري بواو قبل السين، وكتب بدونها في

المدني والشامي (الضباع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١٠١). (من يرتد) من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد) (المائدة: ٥٤).

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر بدالين مكسورة، فمجزومة بفك الإدغام على الأصل؛ لأجل الجزم وهي لغة أهل الحجاز. والباقون بدال واحدة مفتوحة مشدودة بالإدغام، وهي لغة تميم (البناء، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ٢٣٩).

ولما كان رسم واحد لا يتحملها كتبنا برسمين في المصاحف العثمانية، فرسم في المدني، والشامي بفك الإدغام - أي بدالين - ورسم في الباقي بالإدغام أي: بدال واحدة (الضباع، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ١٠٢)، ومثال في ذلك أيضا قوله تعالى: (ووصى بها إبراهيم) (البقرة: ١٣٢) فقد قرأ المدنيان، وابن عامر (وأوصى) بهمزة مفتوحة، صورتها ألف بين الواوين مع تخفيف الصاد، وهي كذلك: في مصحف الإمام والمصحف المدني والمصحف الشامي. وقرأ الباقون (ووصى) بتشديد الصاد من غير همز بين الواوين، وهي كذلك في باقي المصاحف (ابن الجزري، د. ت، ٢٢٢/٢ - ٢٢٣) موقف العلماء من ظواهر الرسم العثماني وإزاء هذه الظواهر التي جاءت في الرسم العثماني مخالفة لقواعد الرسم القياسي، اختلف العلماء في ذلك على اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى أصحابه أن بعض هذه الظواهر يرجع تفسيرها أو أصلها إلى علل لغوية، من هؤلاء الإمام الفراء فقد قال كتابه (معاني القرآن) عند قوله تعالى: (فلا تخشوهم واخشوني) (البقرة: ١٥٠) قال: ثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها وكل ذلك صواب)، ثم علل لذلك قائلا: (إنما استجازوا حذف الياء، لأن كسرة النون قبلها تدل عليها، وليست تهيب العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوا، من ذلك قوله تعالى: (ربي اكرم من) (سورة الفجر: ١٥)، (وأهان) (الفجر: ١٦)، وقوله تعالى: (أتمدونن) (النمل: ٣٦)، ومن غير النون (المناد)، (والداع) وهو كثير يكتفى من الياء بكسرة ما قبلها، ومن الواو بضمة ما قبلها مثل قوله تعالى: (سندع الزبانية) (سورة العلق: ١٨)، (ويدع الإنسان) (الإسراء: ١١)، وما أشبهه (القراء، ١٩٨٠م، ٩٠ - ٩١).

ثم استطرد الإمام الفراء حديثه قائلا: وقد تسقط العرب الواو وهي واو جماع اكتفاء بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا: قد ضرب. (القراء، ١٩٨٠م، ٩٠ - ٩١)

وقد عبر الإمام أبو عمرو الداني عن هذا الاتجاه بقوله: (وليس من الرسم ولا من النقط اصطلاح عليه السلف يرضى الله إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب وقصدوا به طريقا من اللغة والقياس لموقعهم من العلم ومكانتهم من الفصاحة علم ذلك من علمه وجهله من جهله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم). (الداني، د. ت، ١٩٦)

ولكن بنظرة فاحصة يتضح لنا أن التعليل بعلل لغوية لا يتضمن جميع ظواهر الرسم المصحفي بل ينطبق على بعضها دون البعض الآخر، فهو لا ينطبق مثلا على زيادة الألف في قوله سبحانه وتعالى: (أو لأذبحنه) (النمل: ٢١)، لذلك لا ينبغي أن يتخذ هذا الاتجاه منهجا عاما في تفسير هذه الظواهر، كما ذهب إلى ذلك الإمام رحمه الله. (عبد الكريم إبراهيم، ٢٠٠٦م، ٦٩).

الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن ظواهر الرسم المصحفي يرجع أصلها إلى خطأ الكاتب ولا يبالون بهذا القول حتى ولو كان فيه نهمة لأجلاء الصحابة وخيرة الكتاب منهم. (عبد الكريم إبراهيم، ٢٠٠٦م، ٦٩).

والمعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم الذين كتبوا المصاحف كانوا متقنين لقواعد اللغة العربية والخط العربي، فكتبوا المصاحف على هذه القواعد، وخالفوا هذه القواعد في بعض الكلمات لعل وأسرار كثيرة تتفق مع مكانة القرآن الكريم وكيفية تلاوته. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٤١)

من هؤلاء العلماء القراء الذي فسر بعض هذه الظواهر بهذا الأمر، وإن رمت دليلا على صحة ما نسيناه إليه فيقول في قوله تعالى: (ولأوصفوا خالكم) (التوبة: ٤٧)، زيادة الألف كتبت بلام ألف وألف بعد ذلك ولا يكتب في القرآن لها نظير، وذلك أنهم لا يكادون يستمرون في الكتابة على جهة واحدة، ألا نرى أنهم كتبوا (فما تغني النذر) (القمر: ٥) بغير ياء، (وما تغني الآيات والنذر) (يونس: ١٠١) بالياء وهو سوء هجاء الأولين (الغراء، د. ت، ٤٣٩/١)

وفي حقيقة الأمر هذا موقف غريب من مثل الفراء، وهو موقف ملفت للنظر ففي حين تراه يعلل حذف الياء في قوله تعالى: (فما يغني النذر) بسوء هجاء الأولين تراه يعلله-

كما سبق في مواضع أخرى بعلل لغوية ويستشهد لذلك بما ورد عن العرب (عبد الكريم إبراهيم، ٢٠٠٦م، ٧٠).

الصحابة هم خيرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين اختارهم الله تعالى لمعاصرته، فكيف يمر من بين أيديهم مثل هذه الأخطاء من غير أن ينتبهوا لها، في حين أن عثمان لم ينفرد في هذا العمل لوحده وإنما اسند هذا الفعل لخبرة الصحابة وخرج هذا العمل بعد مشاورة مع كبار الصحابة.

اختلاف العلماء في حكم كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني

أثارت قضية الرسم العثماني خلافا بين العلماء منهم من يرى أنه توقيفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم حيث أمرهم صلى الله عليه وسلم بكتابه وأقرهم عليه، ومنهم من يرى أنه اصطلاحي، ولا مانع من مخالفته وكتابته بالطرق الحديثة تحقيقا للمصلحة العامة للمسلمين. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٦٣)

اختلف العلماء في حكم كتابة القرآن بالرسم العثماني على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن رسم المصحف توقيفي لا يجوز تغييره، وتحرم مخالفته وهو مذهب جمهور الأمة سلفا وخلفاء، ونقل كثير من العلماء الإجماع على ذلك. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٦٣)

وقد نقل الإمام الجعيري، وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب إتباع مرسوم المصحف العثماني. (سليمان، د. ت، ٦٤)، وقال أشهب: (سئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى)، ولا مخالف له من علماء الأمة. (الداني، د. ت، ١٩)، وقال الإمام أحمد: (يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك). (الزركشي، ١٩٥٧م، ٣٧٩/١)، وقال البيهقي: (من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئا، وأعظم أمانة منا، فلا نظن بأنفسنا استدراكا عليهم). (البيهقي، ٢٠٠٣م، ٢١٩/٤)

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها: (إسماعيل، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١٨٤ - ١٨٥)

• إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الكتبة، فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم كُتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن على هذا الرسم بين يديه صلى الله عليه وسلم

- وأقرهم على تلك الكتابة، ومضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.
- ما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقف كتابه على قواعد رسم القرآن، ويوجههم في رسم القرآن وكتابته ومن ذلك:
 - فعن معاوية أنه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (ألق الدواة، وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله)، ومد (الرحمن)، وجود (الرحيم). (البحصي، د. ت، ٣٥٧/١)
 - وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كتب أحدكم (بسم الله الرحمن الرحيم) فليمد (الرحمن). (الدليمي، ١٩٨٧م، ٣٦٤/١).
 - إجماع الصحابة على ما رسمه عثمان في المصاحف، وعلى منع ما سواه.
 - إجماع الأمة بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين على تلقي ما نقل في المصاحف العثمانية التي أرسلها إلى الأمصار بالقبول وعلى ترك ما سوى ذلك. (خلف، ١٣٤٤هـ، ٣٤)، ولذلك جعل الأئمة موافقة الرسم العثماني ولو احتمالا شرطا لقبول القراءة فقالوا كل قراءة ساعدها خط المصحف، مع صحة النقل ومجيئها على الفصح من لغة العرب، فهي المعتمدة. (خلف، ١٣٤٤هـ، ٣٤)
- واستدلوا ببعض الروايات كقول زيد رضي الله عنه: (كنت اكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملي علي فإذا فرغت قال: اقرأ، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس (الطبراني، ١٤٠٥هـ، ٥٤٤/٢). ومما يؤيد هذا القول قرارات المجامع الفقهية حول الرسم العثماني، فإن المجامع الفقهية التي تضم عددا من العلماء المحققين المخلصين قد أصدرت قرارات واضحة وحاسمة حول هذه القضية، وهي تمثل في العصر الحاضر إجماع علماء الأمة أو الأكثرية منهم على الأقل. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٨١) وسوف ننقل نص هذه القرارات وهي:
- قرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف:**
- بحث مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في المؤتمر السادس المنعقد في الفترة الأخيرة من ٣٠ من محرم ١٣٩١هـ إلى ٥ من صفر ١٣٩١هـ بحثا لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبه بعنوان (رسم المصاحف العثمانية) الذي بين فيه مذاهب

العلماء في كون الرسم العثماني توقيفا أو اجتهاديا، وعرض بالأدلة العلماء في ذلك وفوائد الرسم العثماني وشبه بعض المستشرقين حول كتابة القرآن ورسمه. (أبو شهبه، د. ت، ١٤٧-١٧٢)، وبعد دراسة الموضوع اتخذ المجمع عدد من القرارات منها: أوصى المؤتمر بأن يعتمد المسلمون على الرسم العثماني للمصحف الشريف؛ حفظا من التحريف. (مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٨٣، ٤٢٥-٤٢٦)

قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية:

أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية القرار رقم ٧١ بتاريخ ١٠/٢١/١٣٩٩هـ ونصه: فإن مجلس هيئة كبار العلماء بعد اطلاعه على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في حكم كتابة القرآن بطريقة الإملاء العادية، وإن خالف ذلك الرسم العثماني. وبعد دراسة الموضوع ومناقشته وتداول الرأي فيه تبين للمجلس أن هناك أسبابا تقتضي بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني وهي:

• ثبت أن كتابة المصحف بالرسم العثماني كانت في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنه أمر كتبة المصحف أن يكتبوه على رسم معين، ووافقه الصحابة وتابعهم التابعون ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين؛ اقتداء بعثمان وعلي وسائر الصحابة وعملا بإجماعهم.

• إنَّ العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليا يقصد تسهيل القراءة يفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة؛ لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها، فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين، ويجد أعداء الإسلام مجالا للطعن في القرآن الكريم، وقد جاء الإسلام بسد ذرائع الشر ومنع أسباب الفتن.

• ما يخشى من أنه إذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن الكريم أن يصير كتاب الله ألعوبة بأيدي الناس، كلما عنت لإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها، فيقترح بعضهم كتابته باللاتينية أو غيرها، وفي هذا ما فيه من الخطر، ودرء المفسد أولى من جلب المصالح. وبناء على هذه الأسباب اتخذ المجلس القرار التالي:

يرى مجلس هيئة كبار العلماء أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني، ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة؛ محافظة على كتاب الله من التحريف، واتباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف، رضوان الله عليهم أجمعين. (إسماعيل: ٢٠٠١م، ٨٣-٨٤).

قرار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قد اطلع على خطاب الشيخ هاشم وهبة عبد العال من جدة الذي ذكر فيه موضوع (تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي) وبعد مناقشة هذا الموضوع من قبل المجلس واستعراض قرار هيئة كبار العلماء بالرياض رقم (٧١) بتاريخ ١٠/٢١/١٣٩٩هـ الصادر في هذا الشأن وما جاء فيه من ذكر الأسباب المقتضية بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني. قرر بالإجماع تأييد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، من عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ما هو عليه ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، واتباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين. (مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ١٩٨٩م، ٤٨٥-٤٨٦).

القول الثاني: أن رسم المصحف ليس توقيفيا، وأنه لا مانع من تغيير هذا الرسم حسبما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة. وممن ناصر هذا المذهب: أبو بكر الباقلائي، وابن خلدوني (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٦٣) وشيخ الإسلام ابن تيمية، بل ذهب عز الدين بن عبد السلام إلى تحريم الكتابة على الرسم العثماني الأول، ووجوب كتابة القرآن على الاصطلاحات المعروفة عند عامة الناس (إسماعيل، ٢٠١٠م، ١٨٦)، وقال أبو بكر الباقلائي: (وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأئمة فيها شيئا، وإذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجب عليه وتركه ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه، أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية، بل السنة دلت على جواز بأي وجه سهل، لأن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهها معينا ولا نهى أحدا عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال. ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوج الألفات، وأن يكتب على غير هذه الوجود، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثه، وجاز أن يكتب بين ذلك. وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة، وكان الناس قد أجازوا ذلك وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته، وما هو أسهل وأشهر وأولى من غير تأتيم ولا تآكر، علم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حد محدود مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة والآذان. والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت. (الزرقاني، ١٩٩٥م، ٣١٢-٣١٣).

ويؤيد هذا القول ما ذهبت إليه وزارة التربية والتعليم المصرية حيث رأت أن يكتب ما يرد في الكتب المدرسية بالرسم الإملائي المعروف بما تعارف عليه الناس في هذا الزمان من رسم إملائي، ولم يعترض على هذا العلماء من سدة هذا الدين ويؤيد ما ذهبت الوزارة إليه بما قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: (لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة؛ لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء قد أحكمه القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة. (شليبي، ١٩٩٩م، ١١٦).

القول الثالث: جواز كتابته بالرسم الحديث لعامة الناس حسب قواعد الخط في أي عصر، مع الإبقاء على الرسم العثماني والمحافظة عليه للعلماء والخاصة، كأثر من الآثار النفسية التي حافظت عليها الأجيال المتعاقبة. وممن ناصر على هذا المذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبدر الدين الزركشي. (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٦٣).

وقد نص على ذلك الزركشي نقلا عن الشيخ العز بن عبد السلام فقال: (قال الشيخ العز بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة؛ لئلا

يوقع في تغيير الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لئلا يؤدي إلى دروس العلم وشيء أحكته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة). (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٧٨).

الدراسة والترجيح:

لو رجعنا إلى القول الأول نجد أن هناك علماء أجلاء ردوا على توقيف الرسم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء العلماء مناع القطان، ومساعد الطيار، وفهد الرومي. فقال مناع القطان: (وهذا الرأي لم يرد فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكون الرسم توقيفيا، وإنما اصطلاح الكتبة على هذا الرسم في زمن عثمان برضاء منه، وجعل لهم ضابطا لذلك بقوله للرهط القرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم) وحين اختلفوا في كتابة (التابوت) فقال زيد: (التابوه) وقال النفر القرشيون: (التابوت) وترافعوا إلى عثمان رضي الله عنه، قال: (اكتبوا التابوت) فإنما أنزل القرآن على لسان قريش). (القطان، ٢٠٠٠م، ١٤٠).

وقال مساعد الطيار: (إن رسم المصحف (أي كتابته) كانت على ما تعلمه الصحابة من معلمهم، وعلى ما عهدوه من إملاء عصرهم، ولم يثبت أنهم تركوا إملاء عصرهم إلى إملاء خاص بالقرآن، بدلالة توافق ما وجد من بعض الوثائق والمدونات الصخرية والنقودية التي ترجع إلى عصرهم. إذ ثبت أنهم لم ي اخترعوا رسما خاصا، فإن رسم المصحف هو الرسم الإملائي الموافق لعصرهم، وتسميته بالرسم العثماني اصطلاح نشأ بعدهم، ولم يرد عنهم الحديث عنهم. وهذا يعني أنهم كتبوا المصحف على ما استقر عليه الرسم عندهم، ثم ما زال يتطور الرسم، ويأخذ في التغير حتى صار إلى ما هو عليه اليوم، وبقي رسم المصحف على ما كتبه الصحابة لا يهيج عليه، ولا يجوز خلافه فيما أريد كتابة مصحف كامل (الطيار، ١٤٢٥هـ، ٧٣). وقال فهد الرومي في ترجيحه لأحد الأقوال: (والذي نراه أن رسم المصحف اصطلاحى وليس بتوقيفى؛ لأن القول بالتوقيف يحتاج إلى دليل، وليس ثم دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة على ذلك، ولم يقل به أحد من علماء السلف بل هو لبعض المتأخرين. وأما ما روي من روايات فهي إما غير صحيحة، أو لا تدل على المراد من القول بالتوقيف، بل

تدل على وجوب التزام الرسم، واحترام الرسم العثماني واستحسانه والتزامه لا يلزم منه القول بأنه توقيفي. (الرومي، ٢٠٠٥م، ٤٨٨)

وبالنسبة للقول الثاني يرد عليه بما يأتي: (إسماعيل، ٢٠٠١م، ٧٥):

١. دعواهم أنه ليس هناك دليل على التوقيف، لا من القرآن ولا من السنة والإجماع والقياس، كل ذلك مردود بالأدلة التي سقناها لمذهب الجمهور.

٢. قول أبي بكر: (ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول) لا معنى له ولا يقيد القائلين بهذا المذهب؛ لأن الحروف الكوفية لم تخرج عن كونها مطابقة لنفس القواعد التي كتب بها المصحف، فأين الشاهد في ذلك؟

٣. دعواهم: (أن كل رسم دال على الكلمة مقيد لوجه قراءتها تجب صحته، وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت) هذه الدعوى تناقض ما يذهب إليه أصحاب هذا المذهب وتهدم الأساس الذي بني عليه؛ لأن القراءة سنة متبعة، والتوقيف فيها أمر مجمع عليه.

وأما القول الثالث هو خليط من القول الأول والثاني.

والراجح عندي - والله أعلم - أن الرسم ليس توقيفي وإنما إجماع من الصحابة على الرسم العثماني لما فيه من اعتدال، إلى جانب زيادة احتياط لكتاب الله تعالى، والحفاظ على ضمان صيانة القرآن من التغيير أو التبديل، بل إن قواعد الإملاء في العصر الإملائي عرضة للتغيير والتبديل، بل إن قواعد الإملاء في العصر الواحد قد تختلف وجهات النظر فيها وتتفاوت في بعض الكلمات من بلد لآخر، فإذا أبيع كتابة القرآن بالاصطلاح الإملائي لكل عصر، أدى ذلك إلى التغيير في خط المصحف من عصر لآخر، وهذا مما يتنافى مع قداسة القرآن وعظمته في نفوس المؤمنين، ومما قد يؤدي إلى اختلاف المسلمين في كتاب الله تعالى، ويجر إلى فتنة أشبه بالفتنة التي حدثت أيام عثمان رضي الله عنه، وحملته على استنساخ المصاحف. وحجة تيسير قراءة القرآن على الدارسين والعامّة لا تبرر التغيير الذي يمكن أن يؤدي إلى التهاون في تحري الدقة في كتابة القرآن، ثم يجبر إلى الفتنة والاختلاف على أنه يمكن تحقيق ذلك التيسير باعتبار قراءة القرآن في المصاحف على ذوي الاختصاص، لا سيما وقد علم أنه لا بد في أخذ القرآن وحفظه وتعلمه من الاعتماد على المشافهة إلى جانب الكتابة، وأنه لا

يكتفى بأحدهما عن الآخر، بل ربما كان الاعتماد على المشافهة أكثر من الكتابة وأولى. هذا إلى جانب تعلم فن التجويد والانتباه إلى الإشارات التحسينية التي وضعها العلماء على الكلمات لمعرفة الفوارق الإملائية في الرسم. على أنه يمكن أن يُنبه في ذيل كل صفحة من صفحات المصحف، إلى ما يوجد فيها من كلمات تخالف رسمها وإملائها الرسم المتعارف والإملاء المألوف.

وأخيرا يمكننا أن نقول: أنه لا بأس بمخالفة الرسم العثماني والكتابة بالإملاء المتعارف، إذا كنا نكتب آيات القرآن في مجالات التعليم والتدريس، كأن يكتب على السبورة مثلا أو على لوح للصغار أو ما إلى ذلك من أشياء، لا يقصد بها كتابة مصحف أو جزء منه، بل المقصود أن يذاكر الطلاب هذه الآيات ويستظهِرونها على الوجه الأكمل والأداء الصحيح. وقد نقل عن الشيخ العز بن عبد السلام ما يفيد جواز ذلك والترخيص فيه، بل الدعوة إليه. (البغا، مستو، ١٩٩٨م، ١٠٣-١٠٤).

الخاتمة:

وفيها أهم نتائج البحث:

❖ الرسم العثماني ليس توقيفي، وإنما كان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه أمر كتابة المصحف أن يكتبوه على رسم معين، ووافقه الصحابة وتابعهم التابعون من بعدهم إلى عصرنا هذا.

❖ إن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليا بقصد تسهيل القراءة يفضي إلى تغيير آخر، إذا تغير الاصطلاح في الكتابة؛ لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها، فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين، ويجد أعداء الإسلام مجالا للطعن في القرآن الكريم.

❖ بقاء الرسم المصحف على ما هو عليه؛ ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، وإتباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

❖ لا يَأْتَم من خالف الرسم العثماني، وكتب بعض آيات القرآن بالإملاء الحديثة بغرض التعليم.

التوصيات:

أوصى القائمين بأمر التعليم بتعيين حفظة لتدريس مقرر القرآن في جميع مراحل التعليم المختلفة، وتعويد الطلاب في جميع مراحل التعليم على كتابة الآيات في امتحان القرآن التحريري بالرسم العثماني.

المصادر والمرجع:

- إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي، ١٩٨١م، دليل الحيران شرح مورد الظمان في رسم وضبط القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة.
- إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي، د. ت، دليل الحيران على مورد الظمان، دار الحديث- القاهرة.
- ابن منظور الأفرقي، د. ت، لسان العرب، دار المعارف- القاهرة.
- أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأندلسي، د. ت، المخصص ط ١ المطبعة الأميرية ببولاق- مصر.
- أبو بكر البيهقي، (١٤٢٣هـ، - ٢٠٠٣م، شعب الإيمان، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة مكتبة الرشد- الرياض.
- أبو داود سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء الأندلسي، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، مجمع الملك فهد- المدينة المنورة.
- أبو عمرو الداني، د. ت، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٤٠٧هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الطبعة الثالثة- المكتبة السلفية- القاهرة.
- البنا الدمياطي أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة- لبنان.

- بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي - مصر.
- الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، د. ت، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- الحافظ شيروية بن شهردار الديلمي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث - القاهرة.
- الطبراني، ١٤٠٥هـ، المعجم الأوسط، تحقيق: د. محمود الطحان، الطبعة الأولى - مكتبة المعارف - الرياض.
- القراء، ١٩٨٠م، معاني القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ١٣٠٢هـ، رسالة في علم الخط من كتاب التحفة البهية والطرفة الشهيبة، مطبعة الجوائب قسطنطينية - استانبول.
- حيدر خليل إسماعيل، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، الرسم العثماني والرسم القياسي وأوجه الاختلاف بينهما، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الرابع، العدد السابع.
- د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، مكتبة النهضة - مصر.
- د. غانم قدوري الحمد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، دار عمار للنشر والتوزيع ط١ عمان - الأردن.
- د. ياسر السيد نوير، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، قواعد الرسم العثماني وحكمه، مجلة الدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد الرابع العدد الأول.
- شعبان محمد إسماعيل، ٢٠٠١م، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ط٢ دار السلام.
- عبد الحي حسين الفرماوي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، رسم المصحف ونقطه، الطبعة الأولى، المكتبة المكية، باب مكة المكرمة - السعودية.
- عبد الفتاح إبراهيم شلبي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها، مكتبة وهبة، ط٤ - القاهرة.

- عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، المتحف في رسم المصحف، الطبعة الأولى - دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر.
- عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، د. ت، المقنع في رسم مصاحف، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
- عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو الداني، د. ت، المحكم فينقط المصحف، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر - سوريا.
- علي محمد الضباع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، المكتبة الأزهرية للذات الطبعة الأولى - مصر
- عياض بن موسى اليعبصي، د. ت، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت.
- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط ١٤ - الرياض.
- مجلة المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، العدد الرابع السنة الثانية.
- مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٣هـ - ١٤٩٨٣م، تاريخه وتطوره.
- محمد بن علي بن خلف الحسيني، ١٣٤٤هـ، الكواكب الدرية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي - مصر.
- محمد عبد العظيم الزرقاني، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت.
- محمد محمد أبو شهية، د. ت، الرسم العثماني، بحث منشور ضمن مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بعنوان بحوث قرآنية - القاهرة.
- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ١٤٢٥هـ، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، دار المحدث الطبعة الأولى - الرياض.
- مصطفى ديب البغا وحي الدين ديب البغا، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية ط ٢ - دمشق.
- مناع القطان، ٢٠٠٠م، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة ط ١١ - القاهرة.

منهج القرآن الكريم في استخدام الوسائل والتقنيات التعليمية (دراسة تأصيلية)

د. يحيى محمددين حسب سيدو^(١)

مستخلص الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توضيح منهج القرآن الكريم في استخدام المفاهيم العلمية والعملية التي تشير إلى ما يعرف الآن بالوسائل والتقنيات التعليمية في ميدان التربية والتعليم، استخدمت الدراسة منهج البحث الوصفي التحليلي القائم على الاستقراء والاستنباط لآيات القرآن الكريم التي يعتقد الباحث أنها تناولت الموضوع، من خلال آراء المفسرين والباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع والدراسات السابقة ذات العلاقة، توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: اتبع القرآن الكريم أساليب وطرق مختلفة لتقديم الوسائل والتقنيات التعليمية لإيصال الحقائق والمفاهيم للناس، تأكيد السبق التربوي للقرآن الكريم فهو أساس التربية والتعليم، حيث تضمنت بعض آياته حقائق تربوية لم تكتشف إلا منذ سنوات قليلة ماضية، تأكيد القرآن الكريم على أهمية الحواس في الإدراك الحسي والتعلم، وأهمية الربط بين المدركات والعقل عن طريق التفكير والتدبر والتأمل والمشاهدة، قدم القرآن الكريم عدداً من الوسائل والمواد لتحقيق الأهداف منها: العروض العملية، أسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب القصص، والبيئة الكونية المادية والبيئة المحيطة بما فيها من أشياء والألوان التعليمية. تقدمت الدراسة بتوصيات أهمها: إجراء المزيد من الدراسات المسحية التحليلية لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تناولت النظريات العلمية في مجالات العلوم المختلفة.

مقدمة:

القرآن العظيم كتاب الله لا يأتيه الباطل من خلفه ولا بين يديه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ما نزل إليهم لعلمهم يتفكرون، وبالرغم من أن القرآن الكريم كتاب هداية وعبادة بما يحتويه من أحكام وعبادات ومعاملات وقيم أخلاقية، إلا أنه أيضاً كتاب علم وتعليم، ولما كان القرآن الكريم مخزن الثوابت فقد صاغه الله تعالى بطريقة تجعله دائم التجدد دائم التنزل، ما أعمل المسلمون عقولهم فيه تدبراً وتأملًا، لقد أنزله الله تعالى يتجدد مع الزمن، كلما قرأه الإنسان مرة بعد مرة وجد له من المعاني ما

(1) أستاذ تكنولوجيا التعليم المشارك، بجامعة القضايف كلية التربية

يخطر على باله في المرات السابقة، وهكذا يبقى لا تبلى جدته على مر الأيام والأزمان، فلو أفنى الإنسان كل عمره في دراسته سورة سورة لما أستطاع أن يدعي أنه لم يبق لغيره أن يقوله فيه، وهذا ما دعا علماء المسلمين منذ سنوات طويلة يبحثون في قدره وعظمته فوجدوا فيه من خلال بحوثهم ودراساتهم علم الطب، وعلم الفيزياء، والكيمياء، والأحياء، الرياضيات والإحصاء، وعلم الاجتماع والسياسة، وعلم النفس وعلم التربية، فضلاً عن علم اللغة العربية بأقسامها.

وتظهر عظمة القرآن الكريم في اهتمامه بعالمي الغيب والشهادة فيما يعرف بالجمع بين القراءتين قراءة القرآن المجيد وقراءة الكون الفسيح المديد في أول سورة نزلت على رسوله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، ويذكر القرآن الكريم بالكثير من الآيات الكريمة التي تدعو إلى التفكير والتدبر والبحث وإمعان النظر والتتقيب والكشف والتجريب من خلال استخدام الحواس الإنسانية أو ما يعرف بالتعلم عن طريق الخبرات الهادفة المباشرة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، مثلما كان القرآن معجزة فقد الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً معجزة أخرى فهو المبين لكتاب الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤-٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، من أجل ذلك كله اهتم الإسلام بالعلم والتعليم ودعا إلى التفقه في الدين والنظر في شئون الحياة ومجالاتها المختلفة، ووضع الإسلام أهل العلم في منزلة عظيمة ورفعهم مكانة سامية متساوية مع أهل الإيمان قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).

من هنا تأتي الدراسة الحالية لتتناول بالبحث والتحليل منهج القرآن الكريم في استخدام الوسائل والتقنيات التعليمية.

مشكلة الدراسة:

تتعدد أوجه الإعجاز في القرآن العظيم بتعدد جوانب النظر فيه، فكل آية من آياته فيها إعجاز لفظي وبياني ودلالي، وكل سورة من السور طالت أم قصرت، نجد فيها قواعد عقائدية، أو أوامر تعبدية، أو تشريعية، أو قيم أخلاقية وضوابط سلوكية تربوية، أو حقائق علمية، أو إشارات شيء من مخلوقات الكون الفسيح وما فيه من ظواهر وكائنات، وكل قصة تاريخية، وكل وسيلة تربوية، وكل نبوءة مستقبلية، ومن العلماء من أدرك أن إعجاز القرآن لا يكمن فقط في جانب العبادات والتشريع ولكن في منهجه العلمي التربوي الفريد والثابت على مر الأيام وفي إشاراته إلى العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم يكن معروفاً لأحد من البشر، ويلاحظ الاهتمام بالجانب النظري واستخدام القرآن في مجال العبادة والهداية فقط، دون النظر إلى ما تحمله آيات الذكر الحكيم من الحقائق العلمية والنظريات العلمية، وهذا ما دعا الباحث إلى القيام بمثل هذه الدراسة لتتناول استخدام القرآن الكريم للوسائل والتقنيات التعليمية، ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: ما هو منهج القرآن الكريم في استخدام الوسائل والتقنيات التعليمية؟

أسباب اختيار مشكلة الدراسة:

كان لاختيار موضوع الدراسة أسباب منها:

- استجابة الباحث لله -تبارك وتعالى- في التفكير والتدبر في قوله ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].
- اعتقاد الباحث الجازم بأن في القرآن كل العلوم التطبيقية والعلمية والإنسانية في قوله تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].
- تلبية لرغبة الباحث وهي الربط بين دراسة التربية والقرآن الكريم والتأكيد على أنهما أساس التربية والتعليم.
- رغبة الباحث في الكشف عن وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية.

• الاستجابة لتوصيات المؤتمرات والندوات والورش التي نادى بضرورة أصيل المعرفة في مجالات العلوم المختلفة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية الى تحقيق الآتي:

• بيان أن القرآن العظيم كتاب هداية وكتاب علم وقد أشتمل على أسس العلوم الإنسانية والاجتماعية.

• إثبات أصالة القرآن الكريم وثباته وأن جميع الحقائق العلمية موجودة في سوره وآياته.

• بيان السبق التربوي للقرآن الكريم فهو أساس التربية والتعليم، حيث تضمنت بعض آياته حقائق تربوية لم تكتشف إلا منذ سنوات قليلة ماضية.

• تقديم بعض الوسائل والتقنيات التعليمية التي استخدمها القرآن العظيم.

منهجية الدراسة:

إن طبيعة مثل هذه الدراسة تلزم الباحث باستخدام منهج البحث الوصفي التحليلي، باستقراء بعض الآيات الكريمة التي تناولت الموضوع.

مفهوم الوسائل والتقنيات التعليمية:

الوسيلة في اللغة:

جاء في لسان العرب - الوسيلة - المنزلة عند الملك والدرجة والقربى، ووصل فلان إلى الله وسيلة، إذا عمل عملاً تقرب به إليه، والواصل كالراغب إلى الله، قال الجوهري : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسل والوسائل (ابن منظور : ١٤١٤هـ، ٣/٩٥) وتوسلت إلى الله تقربت إليه بصالح الأعمال، وبهذا المعنى اللغوي فإن المعنى للوسيلة بمعناها اللغوي ما يقرب به فهم التلاميذ للدرس.

وقد ورد لفظ الوسيلة في القرآن الكريم في آيتين فقط هما: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (الإسراء: ٥٧)، وقد وردت كلمة الوسيلة في الحديث الشريف (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود) (البخاري: حديث ٢٤٠٤٦، ٦١٤).

يتفق (الزمخشري: ٦٠١٠) و (النسفي: ٢٨٢) في أن الوسيلة هي كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنعة أو غير ذلك، فأستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات، ويقول البيضاوي تفسير معنى الوسيلة في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي ما تتوسلون به من ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي، وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة، وجاء في النهاية لابن الأثير (ابن الأثير: ١٨٥) الوسيلة في حديث الأذان (اللهم آت محمداً الوسيلة) هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به وجمعها وسائل يقال: وسل إليه وسيلة وتوسل، والمراد به في الحديث القرب من الله تعالى، وقيل هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل منزلة في الجنة كما جاء في الحديث.

مفهوم التقانة:

يعد مصطلح التقانة من المصطلحات الحديثة التي ظهرت في العصر الحديث أما كلمة تقنية فهي كلمة عربية خالصة، جاء في لسان العرب مادة تقن: يقال: أتقن الشيء: أحكمه، واتقانه: إحكامه، وتقنوا أرضهم: أي أرسلوا فيها الماء لتجود بالزرع ورجل تقن: حاذق ماهر سريع البديهة حاضر الجواب، والإتقان: الإحكام (ابن منظور: ج ١) وقد وردت كلمة تقانة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، يعني أحكم خلق كل شيء، وقد أشار الدكتور حلباوي (٢٠٠٣) إلى مصطلح التقانة وجعلها مرادفة لمصطلح التكنولوجيا، غير أن الباحث يرى غير ذلك، فكلمة تكنولوجيا كلمة إغريقية الأصل تتكون من مقطعين (techno) ومعناها مهارة و(logia) ومعناها فن، فكلمة تكنولوجيا في الأصل الإغريقي معناها: كل معرفة تتطوي على منطق وتبعث حولها الجدل والحوار، أما كلمة تقنيات فهي عربية خالصة وردت في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) (الطبراني: ١٩٩/١٩) يعني يحسنه ويجوده.

أما الوسائل والتقنيات التعليمية عند علماء التربية فلها تعريفات عديدة تتفق جميعها في أن الوسائل والتقنيات هي: الأشياء والمواد التي يستخدمها المعلم بخبرة ومهارة في جو مشوق وفي وقت أقصر لتحقيق تعلم أفضل (السيد: ١٩٧٩، ٢٦) كما عرفت بأنها: كل

ما يساعد المعلم على تبسيط الرسالة لطلابه وتشويقهم للدرس، ويعرفها الباحث: بأنها كل ما يستخدمه المعلم غير كلامه ولوح الطباشير لفهم معاني الكلمات المنطوقة.

أهمية الوسائل والتقنيات التعليمية:

أشار كل من (قسطندي: ١٩٨٣: ١٣) و(سلامة: ١٩٩٦، ٢٥٥) و(المصراطي: ١٩٩٧، ١٧٤) أن الوسائل التعليمية إذا ما أحسن استخدامها تساعد في تحقيق الأهداف التربوية، فهي تساعد على استثارة اهتمام التلاميذ وإشباع حاجاتهم، وتحقيق الفهم وسرعة التذكر وتنظيم التفكير كما تؤدي إلى الإيجابية والفعالية والتشويق للدرس.

التعلم عن طريق الانطباعات الحسية:

يؤكد علماء التربية على أهمية التعلم المقترن بالحواس، لأن المعرفة تبدأ بالحواس، والفهم لا يتضمن شيئاً غير مستمد عن طريق الحواس، ويتفق علماء التربية أنه كلما أشترك في عملية التعلم حاستان فأكثر كان التعليم مثمراً وأبقى أثراً في أذهان التلاميذ، ولذلك نادوا بالتعلم بالادراك الحاسي، وهذا ما أكدّه القرآن الكريم منذ نزوله ومخاطبة الإنسان باستخدام حواسه للتفكير في الكون من الشهود إلى من المشاهدة، يتناول الباحث في هذا الجانب دعوة القرآن لاستخدام الحواس الخمس في التعلم مقتصرراً على الجانب اللغوي التفسيري للحواس من باب النقل عن أهل التخصص والربط بين النظريات التربوية من واقع التخصص.

تعريف الحواس لغة واصطلاحاً:

الإحساس لغة: قال بن منظر: الحس والحسيس الصوت الخفي، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢]، والحس بكسر الحاء من أحسست بالشيء، حس بالشيء يحس حساً وحسيساً أحسه شعر به، والإحساس: العلم بالحواس وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف واللسان واليد، وحواس الإنسان المشاعر الخمس وهي: الطعم والشم والبصر والسمع واللمس (ابن منظور: ج ١، ٤٩).

واصطلاحاً: قال الجرجاني: الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس، فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات (الجرجاني: ١٩٩٦، ٣٣) قال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ

لَهُمْ رِكَزًا ﴿مريم: ٩٨﴾ ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ ببصر أو لمس ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي صوتاً خفياً فضلاً عن أن يكون جلياً ببصر أو لمس.

اهتم القرآن بالحواس وحث على استخدامها في طاعة الله والعلم، وهو مسؤول عنها إن استخدمها في غير ما لم تخلق له، فقد أمرنا الله باستعمال دلائل العقل والحواس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَتَفَخَّ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]، وقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، قال الرازي "أعلم من هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار، وتقديره أن أشرف أعضاء الإنسان هو السمع والبصر والقلب، فالأذن محل القوة السامعة، والعين محل القوة الباصرة، والقلب محل الحياة والعقل والعلم فلو زالت هذه الصفات عن هذه الأعضاء اختل أمر الإنسان وبطلت مصالحه في الدنيا وفي الدين" (الرازي: ٢٠٠٠، ١٨٨) وقد ذم القرآن الكريم من اكتفى بهذه الحواس لتؤدي مجرد الدور الحيواني في الحياة وأفسد دورها المعرفي قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. قال الرازي: إن الإنسان وسائر الحيوانات متشاركة في قوى الطبيعة ومتشاركة أيضاً في منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة وفي أحوال التخيل والتذكر وإنما حصل الإمتياز بين الإنسان وبين سائر الحيوانات في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به (الرازي: ٢٠٠٠، ٥٣-٥٤).

العلاقة بين العقل والحواس (الإدراك الحسي):

عند قراءة القرآن والآيات التي تناولت الحواس نجد أن علاقة قوية بين العقل والحواس فكل منهما مكمل للآخر وهذه العلاقة تقوم على عدم الاقتصار على كل واحد منهما بعينه، وعدم تفسير الآخر به، فلا الحس عقلاً، ولا العقل حساً، أي أنهما مشتركان معاً (الكردي: ٢٠٠٤، ١٣٠)، بمعنى أن الإدراكات الحسية لا تستقل ولا تنفرد بتحصيل المعرفة العلمية، فالحس وحده غير كاف في إقامة المعرفة مهما تكرر إدراكه للمدركات، بل لا بد من العقل الذي يتلقى مادة المدركات التي هيأتها له الحواس، فيقوم بفهمها

وترتيبها ثم استنتاج دلالاتها المعنوية على ضوء المباديء الفطرية حيث تتم المعرفة (الزبيدي: ١٩٩٢) وهذا ما يسميه علماء التربية التعلم عن طريق الخبرة الهادفة المباشرة، وهى الخبرة التي يكتسبها المتعلم عن طريق إتصاله المباشر مع عناصر البيئة التي تحتوي تلك الخبرة وتتصل بها إتصالاً مباشرة من جهة وتتصل بعقله وإدراكه من جهة أخرى.

١/ حاسة السمع (الوسائل السمعية):

السمع لغة: حس الأذن، وإصطلاحاً: هو مرتبة في العصبية المنبسطة في السطح الباطن من صماخ الأذن من شأنها أن تدرك الصوت المحرك للهواء الراكد في مقعر صماخ الأذن عند وصوله إليه بسبب ما (أبو البقاء: ١٩٩٨، ٤٩٥) والسمع هو سلم الوعي والفهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]. وقال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣].

ويلاحظ أن القرآن الكريم إذا ذكر الحواس فإنه يقدم السمع غالباً واختلف المفسرون في أفضلية السمع والبصر فقالوا: وقد ورد السمع في القرآن مقدماً على البصر في كثير من الآيات والتقديم يدل على التفضيل (الرازي: ٢٠٠٠، ٤٩) وقالوا: إن السمع أفضل الحواس الظاهرة، فإن التعليم والتعلم والنطق موقوف عليه وهو يتعلق بالبعيد والقريب.

• أن التعلم لا يمكن إلا بقوة السمع ولا يتوق بقوة البصر، فكان السمع أفضل من البصر، فكم من عالم تحرير في شتى العلوم وهو كفيف.

• أن السمع يدرك من الجهات الست وفي النور والظلمة، ولا يدرك البصر إلا من الجهة المقابلة وبواسطة من ضياء وشعاع (القرطبي: ج ١، ١٨٩)

كما أعتقد فريق ثان بأهمية البصر، أما الفريق الثالث فذهب إلى التساوي بين الحواس.

يأتي السمع في القرآن بعدة معاني منها:

الأول: السمع بمعنى التفضل والنعمة على عباده ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل، ٧٨].

الثاني: بمعنى الإفهام ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]

الثالث: بمعنى الإجابة لما يسمع ومنه قوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وربط القرآن بين السمع وحضور القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي تِلْكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

٢/ حاسة البصر (الوسائل البصرية):

البصر لغة: العين إلا أنه مذكر، وقيل البصر حاسة الرؤية، والجمع أبصار (ابن منظور: ج ٤، ٦٤) واصطلاحاً: البصر قوة مرتبة في العصبيتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين من شأنها أن تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجامدية من أشباح صور الأجسام بتوسط المشف (أبو البقاء: ٢٤٧).

قال الزمخشري: البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات (الزمخشري: ٥١) والبصر نعمة كبرى بها نرى الأشياء المختلفة بقدر أحجامها وأبعادها وألوانها وأشكالها، وقد تسحر العين أو تخدع، وهي آلة هامة جداً في بناء العلوم الإنسانية ومعظم الأشياء المطعومة والمشمومة والملموسة تقع تحت رؤية العين (الزندانى: ب.ت: ١٧٧).

أما الآيات الواردة في النظر فهي أنواع منها:

• الأمر بالنظر في مخلوقات الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنَخْهُ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩) وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

• الأمر بالنظر في أحوال الأمم الماضية قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩].

• الأمر بالنظر في أحوال الدنيا وخلق الإنسان ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]،

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢].

اهتمام القرآن بالوسائل السمعية دون الحواس الأخرى:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]، قال الرازي: إن الحواس خمسة: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، ولا شك أن آلة اللمس هي الجلد فאלله تعالى ذكرها ههنا من الحواس وهي السمع والبصر واللمس وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم لأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان والحنك مماسة لجرم الطعام فكان هذا داخلاً فبقى حس الشم وهو ضعيف في الإنسان وليس فيه تكليف ولا أمر ولا نهى (الرازي: ٢٠٠٠، ١٠١) قال الجوزي قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]، فلاحث لى فيها إشارة كدت أطيش منها، وذلك أنه كان عنى بالآية نفس السمع والبصر فإن السمع آلة لإدراك المسموعات، والبصر آلة لإدراك المبصرات فهما يعرضان ذلك على القلب، فيتدبر ويعتبر (ابن الجوزي: ١٠٤) هذا وتكمن أهمية هاتان الحاستين في الآتي: (العسافي: ٢٠١١م ، ٤١٢):

- كون هاتان الحاستان أهم آلتين في الإدراك سيما إدراك العلوم الضرورية.
- كون هاتان الحاستان أهم آلتين في البلاغ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، قال الشعراوي: لذلك يقال: (كما ولدته أمه) أي لم يعط القدرة على استخدام حواسه بعد، ثم يجعل له الحق سبحانه الحواس ويجعله قادراً على استخدامها، ولم يأت بقية الحواس، بل جاء بالسيدين، وهما السمع والبصر؛ لأن آيات الكون تحتاج إلى الرؤية إبلاغ الرسل يحتاج للسمع، وهما أهم آيتين في البلاغ، فأنت ترى بالعين آيات الكون ومعجزات الرسل، وتسمع البلاغ بمنهج الله سبحانه وتعالى من الرسل (الشعراوي: ١٠، ٥٩٠٥).

- أن هاتين الحاستين يتوقف عليهما معرفة كثير من الأمور ولا يمكن للإنسان الاستغناء عنهما بخلاف بقية الحواس.

هذا ويشير الباحث إلى أن علماء التربية أكدوا أن التلميذ العادي يستطيع أن يدرك المعلومات ويحتفظ بها عن طريق حواسه المختلفة كما يلي: ٨٣% عن طريق حاسة البصر، و ١٣% عن طريق حاسة السمع، بينما توزع النسب المتبقية لباقي الحواس.

٣/ حاسة اللمس:

اللمس: الجس وقيل اللمس المس باليد، واللمس إدراك بظاهر البشرة، كاللمس ويعبر به عن الطلب كقول الشاعر: وألمسه فلا أجده، وهو قوة سارية في البدن كله يدرك الحار، والبارد، والرطب، واليابس ونحو ذلك (التفتازاني الشفعي: ١٩٩٦، ٤٩٦) قال الإمام الغزالي: أول ما يخلق في الإنسان حاسة اللمس، فيدرك بها أجناساً من الموجودات، كالحرارة والبرد والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها (الغزالي: ١٩٨٥، ١٥) واللمس كناية عن الجماع لمسها يلمسها ولامسها وكذلك الملامسة وفي التنزيل ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (الجن: ٨)، وآلة اللمس هي اليد، واليد في اللغة تطلق على عدة معان بعضها حقيقة وبعضها من المجاز أو الكناية، ورد لفظ اليد في القرآن الكريم في مواضع منها: قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ١١)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ (هود: ٧٠)، وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الفتح: ٢٤).

٤/ حاسة الشم:

أنف لغة: جمعه أنف وأناف وأنوف، وأنف كل شيء أوله، وقال كذا أنفاً وسالفاً، ومنه قوله تعالى ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٦)، أي مبتدأ (أبو القاسم: ٢٨) والأنف هو جهاز نعرف به روائح المواد ذات الرائحة ويبطل عمله إذا أصيب بمرض الزكام، وحدود عمله ضيقة جداً، إذ أن قدرته على الشم لا تتجاوز بضعة أمتار ويختص بالمواد ذات الروائح والعلوم

التي نكتسبها بواسطته محدودة جداً وأثرها لا يكاد يذكر في بناء العلوم الإنسانية (الزندانى: ١١٦) والآيات التي وردت في الأنف أو الشم فهي: قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ [المائدة، ٤٥]، وقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنَّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]. ومعنى لأجد: لأشم فهو وجود حاسة الشم.

٥/ حاسة الذوق: اللسان.

اللسان لغة: الجارحة وقوتها وَ﴿اخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧]، يعني به من قوة لسانه فإن العقدة لم تكن في الجارحة وإنما في قوته التي هي النطق، ويقال لكل قوم لسان، ولسن بكسر اللام: أي لغة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم: ٩٧)، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٥)، واللسان آلة خلقها الله سبحانه لتمييز طعم المواد المختلفة إن أصيب الإنسان ببعض الأمراض فقد يطعم بعض الأشياء على حقيقتها ويتغير طعم البعض الآخر، وحدود عمل اللسان ضيقة جداً فتمييزه للطعم محصور في نطاق ما لامس اللسان، بشرط أن يذوب في اللعاب، واي علم يأتينا من اللسان فهو علم نقبله مع بعض التحفظات ولكن العلوم التي نكتسبها بواسطة اللسان محدودة جداً، وأثرها لا يكاد يذكر في بناء العلوم الإنسانية (الزندانى: ١١٦) .

والذوق هو إيصال المذوق إلى الفم ابتلعه أو لا، بعد أن وجد طعمه، لأن الأذواق أحد الحواس الخمس التي تعلم بها الأشياء، ولذا يتحقق العلم بالطعم سواء ابتلع المذاق أو مجبه، فكل أكل فيه ذوق وليس كل ذوق أكلاً (الزحيلي: ٧٦) وقيل الذوق وهي قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان يدرك بها الطعوم (التفتازاني الشفعي: ١٩٩٦، ٤٩٦).

بعض الوسائل والتقنيات التعليمية في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم العديد من الوسائل والتقنيات التعليمية من أجل التواصل والتعلم منها:

١/ العروض العملية (البيان العملي)

استخدم القرآن الكريم وسيلة البيان العملي عن طريق المشاهدة الحية والخبرة الهادفة المباشرة لقابيل بن سيدنا آدم حتى يتمكن من دفن أخيه هابيل قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ٣١).

٢/ ضرب الأمثال:

الأمثال: جمع مثل، وهو تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدها بالآخر (ابن القيم: ج ١، ١١٦) والأصل في المثل إعطاء شيء منزلة شيء عن طريق التشبيه وبيان وجه الشبه، ولا يلزم في التشبيه المطابقة من كل الوجوه، بل يكفي فيه أن يلح منه جانب فيه شبه ما يحقق الغرض من التشبيه ويطلق المثل في القرآن ليكون نموذجاً أو أكثر لقضايا أو سنن أو أعمال تتشابه مع أحوال الأفراد والجماعات، ونفهم من خلالها كيف نتعامل ونقيس كل ما شابهها على مر الزمان، وبناء عليه يتم الحكم في المماثلات لها ذماً أو مدحاً (يامين: ١). في القرآن العظيم العديد من الأمثال التي استخدمت لتحقيق أهداف تعليمية متنوعة وتحقيق الفهم للمسائل المعقدة وتوضيح ما أشكل فهمه، ومن هذه الأمثال قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٦]. تنقسم الأمثال في القرآن إلى قسمين: الأول: المثل الصريح: وهو الظاهر والمصرح به مثل قوله تعالى ﴿مِثْلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]، الثاني: الكامن: وهو الذي لا يذكر في النص لفظ المثل وإنما يكون حكمه حكم الأمثال كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

أما أنواع الأمثال في القرآن فهي ثلاثة: التمثيل الرمزي: وهو ما يأتي على لسان الطيور والحيوانات والنبات، كقصة النملة مع سليمان عليه السلام، وقصة آدم عليه السلام مع

الشیطان، فهي رموز لحقائق علوية، الثاني: التمثيل القصصي: وهو ما جاء ليبين أحوال الأمم وقصصهم للعبارة كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠]، والنوع الثالث: التمثيل الطبيعي: وهو تشبيه غير الملموس بالملموس، والمتوهم بالمشاهد على أن يكون ذلك في الأمور التكوينية ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس : ٢٤].

أما المجالات التي تناولتها الأمثال القرآنية كثيرة نذكر منها: بينت الإيمان ومثلت له، كشفت الكفر وردت شبهه ، فضحت النفاق ، نادى بالخير وردت الشر ، صورت الخبيث والطيبين وميزت الصالح عن الطالح.

للأمثال القرآنية فوائد وثمرات يجنيها متدبرها والمتمعن في دلالاتها، والفائدة العظمى من الأمثال القرآنية التي ذكرها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. ومن أهم فوائد الأمثال القرآنية التعليمية: التفكير والوعظ، الحث والزجر، الإعتبار والتذكير، تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس لتثبت في الأذهان، فيه لون من ألوان الهداية لتغري النفوس بالخير والبر وتمنعها عن الشر والإثم، ومن هنا يقول عبد القادر الجرجاني عن المثل:

- فإن كان ذمًا: كان مسه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشد، وحده أحد.
- وإن كان حجاجًا: كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.
- وإنه كان إفتخارًا: كان شأوه أمد، وشرفه أجد، ولسانه ألد.
- وإن كان إعتذارًا: كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسل، ولغرب الغضب أقل، وفي عقد العقود أنفث، وحسن الرجوع أبعث.
- وإن كان وعظًا: كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر أن يجلي الغاية ويبصر الغاية، ويبري العليل، ويشفي الغليل (الجرجاني: ١٠٢).

٣/ استخدام عناصر الكون المادي كوسائل وتقنيات تعليمية:

ورد في القرآن الكريم استخدام عناصر الكون المادي كوسائل تعليمية وبخاصة آيات الله تعالى في الآفاق، وآياته في الأنفس وذلك لإثبات وجوده وقدرته وأنه خالق كل شيء، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت، ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]. كما استخدم القرآن عناصر الفلك من سماء وأرض وشمس ونجوم وشهب وليل ونهار كوسائل تعليمية ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨].

وورد استخدام الحيوان كوسيلة تعليمية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. كما ورد استخدام الحياة النباتية في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١].

تقديم الوسائل والتقنيات التعليمية من خلال القصص:

اهتم القرآن الكريم بذكر القصص لما فيها من تسليية النفوس وتقوية العزائم، وأخذ العبرة والعظة، ومعرفة أخبار الأمم السابقة وحفظ الأحداث، وتعليم الناس وإرشادهم وتربيتهم (الشهلوب: ٩٨-١٠٠) فقد ورد في القرآن قصة آدم وقصة نوح والطوفان، وقصة هود وصالح مع قومهما، وقصة إبراهيم ولوط، وشعيب وقصة سليمان مع ملكة اليمن وقصة يوسف وغيرها كثير من القصص المبنوثة في سور القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وعن النظر في قصص القرآن المجيد، يلاحظ أن القرآن الكريم يقدم صوراً من التعليم العملي ويمزج القصة بالمحسوسات السمعية والبصرية واللمسية والذوقية، لكي تحقق القصة أهدافها وغايتها المطلوبة وقد تمثل منهج القرآن في نوعين من الوسائل التعليمية:

- الوسيلة التعليمية الإرشادية التي توجه السلوك وترشد إلى الطريق الأمثل في سلوك الطريق المراد لفت النظر إليه.

- الوسيلة التعليمية الأثباتية (البرهانية) التي يثبت من خلالها للمخاطب برهان ودليل على شيء أراده، أو دليل على خلاف ما اعتقده أو ما ساوره الشك بشأنه (الخضر وآخرون: ٢٠١١، ١٤٥). ومن هذه الوسائل التعليمية التي وردت من خلال القصص ما يلي:

قصة نتق الجبل فوق بني اسرائيل:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]. السياق هنا سياق تهديد ووعيد، والوسيلة التي قدمت لهؤلاء القوم هي الوسيلة المادية والهدف منها الترية، لأن أطباق الجبل من المرتفع عليهم من فوقهم، وهم تحته يدل على الإحاطة بهم من كل جانب فلا يفلت منهم أحد، وفي الوسيلة تجسيد للمشاعر الوجدانية وعلامات القلق والاضطراب، وتحرك الدوافع نحو الهدف المنشود كما أنها تتناسب مع نفسية المخاطبين.

قصة صاحب الجنتين:

قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٢-٤٤]. فالذي جرى درس تعليمي إرشادي بوسيلة تعليمية الهدف منها تغير التصورات، وقلب المفهوم وقد حصل المقصود، أي تغير التصور بصورة تطبيقية، وهذا أبلغ من الموعظة النظرية التي وعظها الرجل الصالح لصاحب الجنتين: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّاتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤٠-٤١]. فالمعينة أقوى في التعليم من الإخبار، وبذلك فإن الوسيلة التعليمية هنا بالإضافة إلى كونها مباشرة حسية فقد جرت فيها

المعاينة لما سبق الاخبار به، فالنتيجة تتمكن في النفس أفضل تمكن، والهدف يترسخ في القلب والذهن أقوى ما يكون الرسوخ (الخضر وآخرون: ٢٠١١: ١٥١).

قصة سيدنا إبراهيم مع ربه ان يريه كيف يحي الموتى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فقد طلب إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى، من خلال نموذج تظهر فيه معاينة اليقين، ويصل به إلى طمأنينة القلب بتلك المشاهدة، فأرشده الله تعالى إلى أن يأخذ أربعة من الطير، ويضمهن، ويذبحهن ويفرق أجزاءهن على الجبال التي حوله، ويدعوهم، فيأتينه سعياً أحياء كما كانت، وعنها يرى قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة (رضا، ٢٠٠٢، ٤٩) وقد اختلف العلماء: هل فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام هذا الإرشاد أو لم يفعل، فذهب كثير منهم إلى أنه ناداه ميتة متفرقة الأجزاء فعدت كل واحدة منهن إلى ما كانت عليه من الهيئة، وظاهر الآية يدل على أنه أجيب إلى ذلك (الرازي: ٣٨) وذهب آخرون إلى أنه لم يفعل شيئاً مما اقتضاه ظاهر الكلام، إذ كان الغرض مجرد تعليم، وسيدنا إبراهيم حصل له العلم التام بمجرد وصف الكيفية، وأطمأن قلبه، وسكن لبه (الألوسي: ١٤١٥هـ، ٢٩).

والذي يستفاد من هذه القصة أن هذا الإرشاد الإلهي قد تم عن طريق الوصف التجريبي ومقام الفعل، وكأنه قد نفذ هذه التجربة، كما أن الإرشاد الإلهي يصور التجربة بصور محسوسة. وفي تحديد النموذج لحكمة وهدف، فاختيار الطير دون غيره لسبب، إذ خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان (البيضاوي: ١٩٩٩: ١٧٣).

لا بد من التأمل في الوسيلة التعليمية في القصة وحسن التركيز فيها، وهذا ما يمثله قوله تعالى (فصرهن إليك) ولا شك أن معرفة الأداة قبل الوسيلة ومعرفة خصائصها ومعرفتها قبل إجراء التجربة يعين على التدقيق في أحوالها وضبط متغيراتها، وهذا أمر مهم في متابعة الإجراء المعمل، كما يلاحظ في هذه الوسيلة مراعاة الترتيب تجربة العملية: إحضار الطير، ثم إمالتهم إليه، ثم تقطيعهن، ثم توزيعهن على الجبال ثم دعوتهن للأتیان، كل هذا يدل على أهمية الترتيب المنطقي وفق خطوات متسلسلة ومرتبطة.

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلم في إثبات الإله الحق:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الانعام ٧٤-٧٦].

في هذه القصة تسلية للنفوس ووسيلة تعليمية باستخدام طريقة التفكير العلمي المعروفة، لقد واجهت سيدنا إبراهيم مشكلة دفعته إلى التأمل والقراءة الناقدة، وهي مشكلة عبادة أبيه وقومه للأصنام، فحدد سيدنا إبراهيم مشكلة البحث تحديداً دقيقاً، ثم وضع لحل هذا الأشكال ثلاثة فروض ذكية بناءً على المنطق لحل هذه المشكلة، الفرض الأول الذي وضعه هو: أن الكوكب هو الإله، وقام سيدنا إبراهيم باختبار هذا الفرض عن طريق المراقبة والملاحظة والمشاهدة، فلما غاب، استبعد صحة هذا الفرض، ثم وضع فرضاً ثانياً هو: أن القمر هو الإله الحق، واستبعده أيضاً بعد إخضاعه للاختبار، وكانت النتيجة أفول القمر، فوضع فرضاً ثالثاً هو أن الإله ربما يكون الشمس بدليل أنها أكبر من الكوكب والقمر، ولكنه استبعد هذا الفرض أيضاً، وتوصل أخيراً إلى فرض رابع هو أن إله هذا الكون لا محالة هو خالق الكواكب والقمر والشمس، وقد اختار سيدنا إبراهيم هذه الوسيلة لأنها أقرب إلى تحقيق المقصود وأقرب إلى عقولهم، فالمطلوب في الوسيلة أن تناسب عقول المتعلمين، وأن ترتبط بالبيئة لتؤثر بشكل فاعل في إيصال المعلومات، واختيار الوقت والمكان المناسبين لعرضها وبيانها، وهذا ما عالجتة الوسيلة التي قدمها سيدنا إبراهيم عليه السلام.

القرآن الكريم يستخدم الألوان كوسيلة تعليمية:

للألوان تأثير كبير في حياة الناس، فالصغار يفضلون الألوان الحارة الدافئة، والكبار يفضلون الألوان الهادئة الباردة، كما أن للألوان تأثير نفسي على الإنسان، وتأثير تربوي وتعليمي، فهي تميز بين الأشياء وتقربها إلى الواقع، وقد ذكر الله تعالى في القرآن

العظيم بعضاً من الألوان التي يقول علماء اللون أنها ألوان طبيعية أو أساسية وهي ثلاث: الأحمر، والأزرق، والأصفر، كما اعتبروا بعضها الألوان ثانوية يتم الحصول عليها عن طريق مزج الألوان الأساسية وهي ثلاث: الأخضر والبرتقالي، والبنفسجي، وألوان وسيطة وهي التي يتم الحصول عليها عن طريق مزج الألوان الثانوية والأساسية وهي بقية الألوان التي نعرفها بمسميات مختلفة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَلَوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم، ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٣] وقد ورد لفظ اللون ومشتقاته في سبع آيات فقط من القرآن المجيد، فقد ذكر لفظ ألوان وهو جمع لون في القرآن الكريم في مواضع سبعة أيضاً ولكن في ست آيات كإشارة من المولى عز وجل إلى ألوان الطيف السبعة المعروفة، كما جاء ذكر لفظ لون مفردة مرتين في آية واحدة، قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩].

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٣].
﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَلَوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فاطر: ٢٧].
﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَنَوَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

الألوان التي ذكرت في القرآن:

اللون الأبيض:

استعمل البياض في القرآن بالمعاني التالية التي تشترك كلها في الزوال:

اللون الأبيض: اتى لفظ (الأبيض) في موضع واحد من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقد جاءت مشتقات الأبيض في موضعين هما: قوله تعالى ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]. أي أبيض في صفة وهو أحسن ألوان النساء، وقوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فاطر: ٢٧].

أما لفظ (بيضاء) فقد ورد في ستة مواضع هي: قال تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣]، ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢]، ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢]، وقد ورد لفظ ابيضت في موضعين من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، وورد لفظ (تبييض) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

اللون الأسود:

ذكر لفظ الأسود ومشتقاته سبع مرات في ست آيات، منها مرتان جاءت لتعبر عن كنه اللون الأسود وقد وردت كما يلي: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فاطر: ٢٧]، كما جاء لفظ مشتقات الأسود خمس مرات لتعبر عن وصف مرات لتعبر عن وصف المكذبون من الكفار والمنافقين بأن وجوههم

مسودة، وهذا تعبيراً معنوياً بأن لفظ الأسود جاء ليعبر عن الحزن الشديد، وعن مدى قتامته وعلى أنه عكس الأبيض وجاء لفظ "غرايبب" مع لفظ "سود" ليوضح شدة درجة السواد، وقد وردت الآيات كما يلي: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].
﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧]، مما سبق يتضح أن البياض هو قمة الصفاء والنقاء والوضوح، والسواد هو قمة القتامة والإعتام، وهما يتتابعان في آية واحدة للتعبير عن عكس درجة التباين الشديد بين اللونين وأنهما متناقضين أو ضدين لإبراز المعني، ويشير علماء اللون أن أكبر درجة في الوضوح والتباين تتحقق عندما تستخدم الألوان المتضادة.

٣/ اللون الأصفر:

جاء لفظ (صفراء) مرة واحدة، كما جاء ذكر مشتقات اللفظ في ثلاثة مواضع من القرآن معبرة عن اللون الأصفر ودرجاته، قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]، أي أنها صفراء اللون من الصفرة من الصفرة المعروفة و(فاقع لونها) أي صافية اللون من شدتها، وقد ذكر القرطبي عن عباس (فاقع لونها) أي شديد الصفرة تكاد من صفرتها تبيض لتسر الناظرين دلالة على جمالها وتألقها وحيويتها وذلك في عبارة موجزة بليغة،

وقد جاء لفظ (مصفرأ) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وأتت جميعها كأمثلة يضربها الله تعالى للحياة الدنيا حين ينزل الله من السماء ماء وينبت به ثماراً وزرعاً يانعاً ثم يجف ويصبح مصفرأ ثم يكون بعد ذلك حطاماً قال تعالى: ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ رِيحًا فَتَرْاهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠]، وبلاحظ أن

اللون الأصفر هنا يرتبط بالجذب وقرب الهلاك فهو يأتي هنا معبراً عن كونه نذيراً لفقدان الحياة والحيوية والعدم والحطام.

٤/ اللون الأخضر:

حتى اللون الأخضر في القرآن الكريم بالاهتمام الأكثر من أي لون آخر، فهو يمثل في البيان الإلهي الخير والجمال والسلام، وهو أفضل الألوان كلها وأشرفها، فقد أتت كلمة (الأخضر) مرة واحدة ليدل بها على الشيء الحي ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، وأتت كلمة (خضر) منونة بالكسرة في ثلاث مواضع هي: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿مُتَكِنِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، وفي ذلك دلالة على أن اللون الأخضر يعني الحياة بما فيها من معاني الاستقرار والراحة، وفي وصف السنبلات بالخضر يعني أن اللون الأخضر يحمل أيضاً الخصوبة، أتت كلمة (خضر) منونة بالضممة لوصف ما جاء في الجنة من أبسطة وملابس قال تعالى: (عليهم ثياب سندس خضر واستبرق) فقد جاء في تفسير هذه الآية ان الثياب الخضر هي ثياب أهل الجنة، كما جاءت كلمة (خضراً) منونة بالفتحة في قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ النَّوَابِ وَحَسَنَتٌ مُّرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]، كما أتت كلمة (مخضرة) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، ويقدم العلم الحديث دلالة جديدة للفظ (خضراً) فقد قرر جمال الدين مهران إلى أن المقصود بهذا اللفظ هو مادة (اليخضور) أو الكلورفيل وهو مادة كيميائية معقدة التركيب يرجع إليها الفضل في وجود هذا اللون الأخضر، قال: "وهذا الخضر هو الذي منحه الخالق تبارك وتعالى القدرة على تكوين المواد العضوية المعقدة التركيب من مواد غير عضوية، وذلك بما يقوم به اليخضور من أخذ طاقة الضوء فيكون منها المواد العضوية التي تحتاج في تكوينها إلى مصانع عديدة وكبيرة ومعقدة (مهران: ٢٠٠٢، ٢٠)."

٥/ اللون الأزرق:

أنت كلمة (زرقاً) في موضع واحد من القرن الكريم، وأنت بمعنى الحزن والهم ففي قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال والحزن (الزمخشري: ٥٥٣) وقد ورد تفسير هذه الآية دلالة على أن هذه الأجسام لا تبلغ الموت أو الحياة، فالمعروف أن لون الدم هو الأحمر وعندما يتحول إلى الأزرق فهي تعني إحتباس الأكسجين الشديد وفساده، وهي أصدق تعبير عن الحشر، وكلمة "زرقاً" عكس اللون الأزرق الفاتح والذي يعرف في ألوان الطيف باللون النيلي، هو اللون الوحيد الذي يغمر الأرض في البحار والأنهار والمحيطات ويغلفها وينعكس على الغلاف الجوي على شكل سطح أزرق عريض لا نهائي يسمى السماء، وهو لون قابل للتأثر سلبي بارد، يمتاز بتخفيف التوتر والعصبية عند الإنسان (العسافي: ٢٠١١م).

٦/ اللون الأحمر:

أنت كلمة (حمر) في موضع واحد فقط من القرن الكريم لتدل على كنه اللون ووصفته، وأن أختلاف الألوان يأتي مصدره من اللون الأحمر والأبيض، فقد ذكر المولى عز وجل في كتابه الكريم ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]. فقد وصف العليم في هذه الآية الجبال بأنها ذات طرائق وخطوط بيضاء وحمر مختلف ألوانها (العسافي: ٢٠١١م، ٢٢) والجدد والبيضاء هو لفظ دارج عند علماء الجيولوجيا، وكذلك يوجد بالجبال صخور شديدة السواد، ولم يذكر الله تعالى أي لون آخر غير (الأحمر) برغم وجود ألوان عديدة للجبال وكأن المقصود هنا بمختلف ألوانها هو الأخضر والأصفر والأزرق وغيرها من الألوان، والقرن الكريم يذكر عبارة (مختلف) ألوانها بعد قوله تعالى: ﴿وَحُمْرٌ﴾ في إشارة إلى أن اللون الأحمر هو أصل الألوان، كما ذكر القرآن درجات اللون الأحمر وهو لفظ (وردة) في قوله: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، والمعنى أن السماء تصير في حمرة الورد وجريان الدهان، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم (الزمخشري: ٥٥٣) وفيه دلالة إلى أن اللون الأحمر هو لون النار بما تحتويه من قوة وإثارة وسخونة شديدة.

الدراسات السابقة:

تحصل الباحث على عدد من الدراسات السابقة ذات العلاقة المباشرة بموضوع الدراسة منها:

دراسة (حسين: ٢٠١٨م) بعنوان: الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم (دراسة تحليلية) هدفت الدراسة إلى التعرف على الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم، استخدمت الدراسة منهج البحث التحليلي لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن الإسلام اهتم بالعلم تعلماً وتعليماً، وأن عملية التعليم تتوقف على تقديم المعلومات على بصيرة واختيار البيئة المناسبة، اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بمهنة التعليم والتربية وأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مليئة بذكر استخدامه الوسائل التعليمية مثل: التعلم بالإشارة واستخدام الأشياء الجامدة والرسم على الأرض.

دراسة (الشكري: ٢٠١٥م) بعنوان: أساليب التعليم ووسائله في القرآن الكريم، هدفت الدراسة التعرف إلى الأساليب التعليمية التي استخدمها القرآن وعدد من أساليب التعليم التي من شأنها توضيح ما هو غامض وتعريف ما هو مجهول من خلال الأسلوب القرآني وخصائصه، توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: استخدام القرآن الكريم لأساليب تعليمية منها: أسلوب القصة، والوصف، استعمال الأشياء، الإدراك الحسي، التطبيق العملي للأفكار التربوية، التكرار، والتفكير العلمي.

دراسة (الخضر وآخرون: ٢٠١١م) بعنوان: منهج القرآن الكريم في تقديم الوسائل التعليمية من خلال آيات القصص، هدف البحث إلى بيان منهج القرآن الكريم في تقديم الوسائل التعليمية من خلال آيات القصص القرآني، حيث اشتملت آيات القصص على جوانب ووسائل تعليمية مهمة يمكن الاستفادة منها في العملية التعليمية، وقد عمل الباحثون على دراسة هذه الآيات الشريفة وتحليلها تحليلاً علمياً من خلال آراء المفسرين، واستنبطوا الوسائل التعليمية منها، فوجدوها على نمطين: وسائل إرشادية توجيهية، ووسائل إثباتية برهانية، وقد قام الباحثون بدراستها وبيانها.

دراسة (البراي: ٢٠٠٩م) بعنوان: الإعجاز التربوي للقرآن الكريم في طرق التدريس، هدفت الدراسة إلى بيان السبق التربوي للقرآن الكريم في مجال التدريس، وإثبات عدم

معارضة القرآن الكريم للحقائق العلمية في مجال الدعوة والتربية، والتأكيد على أن القرآن الكريم هو كتاب هداية وإرشاد بالدرجة الأولى وقد أشتل على أسس العلوم الإنسانية، اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي المقارن.

دراسة (الجلحوي: ٢٠٠٣) بعنوان: المبادئ التربوية والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتعليم والتعلم والإرشاد، هدف البحث إلى التعرف على المبادئ التربوية والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن والسنة النبوية بالإضافة إلى المساهمة في بناء نظرية تربوية إسلامية تمكن التربويين من الرجوع إليها في المواقف التعليمية المختلفة عند الحاجة، توصلت الدراسة إلى نتائج هي: استخدم القرآن الكريم العديد من الأساليب والوسائل التعليمية في مجالات: الأهداف التعليمية، المحتوى التعليمي، طرائق التدريس، الوسائل التعليمية، الأنشطة التعليمية، التقويم التربوي، الإشراف التربوي، صفات المعلم، التأكيد على ضرورة مراعاة هذه المبادئ والأساليب والوسائل في عمليتي التعليم والتعلم للارتقاء بها وتطويرها وتحسينها، مما يصب في محاولة بناء نظرية تربوية إسلامية.

التعليق على الدراسات السابقة:

- اتفقت الدراسة الحالية مع جميع الدراسات السابقة في موضوع الدراسة وهو منهج القرآن الكريم في استخدام الوسائل التعليمية.
- تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في تناولها للعديد من الوسائل التعليمية التي استخدمها القرآن الكريم.
- تختلف الدراسة الحالية عن جميع الدراسات السابقة في تناولها للتعليم عن طريق الحواس الخمس ودورها في الإدراك الحسي.
- لفردت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في تناولها للألوان التي استخدمها القرآن المجيد باعتبارها من أهم الوسائل التعليمية.
- استفاد الباحث بدرجة كبيرة جداً من الدراسات السابقة في بلورة الموضوع وتحديد أهدافه وجمع معلوماته.

مناقشة النتائج: من خلال ما سبق توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- تأكيد القرآن العظيم على أهمية الحواس الخمس في عمليتي التعليم والتعلم.

- أهمية التكامل بين آيات الله القرآنية تعالى عن طريق تدبر آيات القرآن وآيات الكون، والجمع بين القراءتين (القرآن المجيد والكون الفسيح المديد).
- تحقق التكامل بين آيات الله في الكتاب وآياته في الأنفس والآفاق بالتفكير عن طريق العقل.
- تأكيد القرآن الكريم على أهمية حاستي السمع والبصر باعتبارهما الحاستان الرئيستان في التعلم والإرشاد والهداية وفي التعلم العملي، وأن في ذكرهما والجمع بينهما يكفي للدلالة على أهمية بقية الحواس الأخرى في الإدراك.
- استخدام القرآن الكريم العديد من الأساليب والوسائل والتقنيات التعليمية في تحقيق الأهداف منها: العروض العملية، ضرب الأمثال، والقصص، واستخدام عناصر البيئة الكونية، والبيئة المحيطة بما فيها من أشياء.
- ورد لفظ ألوان في سبع آيات فقط من القرآن الكريم، مع تطابق العدد مع عدد ألوان الطيف، كما ذكر لفظ ألوان في القرآن الكريم في مواضع سبعة في ست آيات.
- الألوان التي ذكرت في القرآن الكريم ستة وهي: الألوان الأساسية الثلاث (الأحمر، الأصفر، والأزرق) والأخضر والأبيض والأسود.
- ورد في القرآن الكريم لفظان يدلان على شدة اللون وهما (فاقع وغرابيب).
- إن القرآن العظيم يظهر مدلولات للألوان وتأثيرها على النفس البشرية منها: أن اللون الأبيض هو قمة الصفاء والنقاء والطهر والوضوح والقبول عند الله، واللون الأسود هو قمة القتامة والإعتام والموت، وهما يتتابعان في آية واحدة للتعبير عن التباين بين لونين متناقضين لإبراز المعنى.
- اللون الأصفر يرتبط بالجذب وقرب الهلاك والمرض، فهو يأتي معبراً عن كونه نذير لفقدان الحياة والحيوية والعدم والحطام، وعلى العكس عندما يكون شديد النصوص مشوب باللون الأبيض (فاقع) فإنه يعطي السرور والبهجة والراحة للنفس.
- اللون الأخضر لوناً من ألوان الجنة يدل على النعيم وأحيا الأرض بعد موتها ويعني الحياة والإستقرار والراحة.
- واللون الأزرق يعطي دلالة الحزن العميق والشعور بالإشراف على الموت والكآبة الشديدة، وهو على العكس تماماً من اللون الأزرق الفاتح الذي يرمز إلى المحبة.

- اللون الأحمر هو لون النار بما تحويه من قوة وإثارة وسخونة شديدة.
 - استخدم القرآن الكريم الوسائل التعليمية لأغراض تعليمية والتمييز بين الأشياء، وكذلك لأغراض نفسية.
- التوصيات والمقترحات:**

في ضوء نتائج البحث تتقدم الدراسة بالتوصيات التالية:

١. الاهتمام المتواصل للباحثين والعلماء في توضيح منهج القرآن الكريم في عمليتي التعليم والتعلم.
٢. تشجيع وتحفيز الباحثين وطلاب الدراسات العليا إجراء دراسات تهتم بالتأصيل في مجالات العلوم المختلفة، الإنسانية والاجتماعية والتطبيقية والعلمية.
٣. إجراء المزيد من الدراسات المسحية لآيات القرآن العظيم والسنة النبوية واستنباط، وجوه إعجاز القرآن الكريم وأنه كتاب هداية وكتاب علم.
٤. تأسيس مراكز ومعاهد في الجامعات السودانية تتولى الإشراف على تأصيل المعرفة الإنسانية.
٥. إعتناء مقررات عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في الجامعات السودانية ضمن مطلوبات الجامعة.

المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم:**

❖ **الحديث النبوي:**

❖ ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، تحقيق: الشيخ محمد الغزالي، مصر: دار الكتب الحديثة ومكتبة المتى بغداد. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

❖ أبو القاسم، الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، لبنان: دار المعرفة.

❖ أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري: **الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل**، القاهرة، دار الفكر.

- ❖ أبو حامد الغزالي: **المنقذ من الضلال**، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط٢، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، ١٩٨٥.
- ❖ أبي الفضل شهاب الدين السيد الألوسي البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: بيروت: دار إحياء الكتاب التراث العربي.
- ❖ البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الآذان، باب الدعاء، حديث رقم ٢٤٠٤٦، ص ٦١٤.
- ❖ جمال الدين مهران: **نباتات وردت في القرآن**، مادة اليخضور، جريدة الاهرام، العدد ٤٢٣٤١، ٩/١١/٢٠٠٢م.
- ❖ حسين علي حسين الجلحوي "المبادئ التربوية والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتعليم والتعلم والأرشاد: مجلة الأندلس للعلوم والتقانة، المجلد (٩) العدد (٥) ٢٠١٥م.
- ❖ زكريا الخضر، عبد الرؤوف بني عيسى، وانتصار مصطفى "منهج القرن الكريم في تقديم الوسائل التعليمية: مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) مجلد ٢٥ (١) ٢٠١١م.
- ❖ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشفعي: **شرح التلويح عل التوضيح في أصول الفقه**، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ❖ الطبراني، أبو القاسم: **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ج١٩، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ❖ عبد الحافظ محمد سلامة: **وسائل الإتصال والتكنولوجيا في التعليم**: ط١، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.
- ❖ عبد الحميد الكردي: **أصل المعرفة طرقها وأنواعها**، الأردن: عمان، دار الفرقان، ٢٠٠٤م.
- ❖ عبد الرحمن الزبيدي: **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام**، ط١ المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، ١٩٩٢م.
- ❖ عبد الله بن أحمد: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: ط١، ضبط زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

- ❖ عبد الله بن عمر البضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية، م١٩٩٩.
- ❖ عزيز خلف العسافي: الحواس الخمس في القرآن الكريم، مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية، جامعة حضرموت، المجلد (٤) العدد السابع، يوليو ٢٠١١م.
- ❖ علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦م.
- ❖ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ فوزية شحادة أحمد البراوي "الإعجاز التربوي للقرآن الكريم في طرق التدريس" رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، عمادة الدراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، ٢٠٠٩م.
- ❖ محمد إلياس حسين " الوسائل التعليمية التي إستخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم: دراسة تحليلية" مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب - لاهور، باكستان، العدد الخامس والعشرون، ٢٠١٨م.
- ❖ محمد بن عمر الرازي: مفاتيح الغيب بهامشية الكارزروني، د.ط، بيروت مؤسسة شعبان.
- ❖ محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، د.ط، بيروت، دار الجيل.
- ❖ محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ط١، بيروت، دار صادر.
- ❖ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط١، تعليق سمير رباب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.
- ❖ محمد شاهر يامين: الأمثال في القرآن الكريم، متوفرة في : [Http://said.net/bahoth/218.htm](http://said.net/bahoth/218.htm)
- ❖ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
- ❖ محمود شكر الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

- ❖ المصراطي، عبد القادر: المعلم والوسائل التعليمية: ط١، الجامعة المفتوحة، ليبيا، ١٩٩٧م.
- ❖ نقولا أبو حمودة قسطندي: الوسائل في عملية التعلم والتعليم، د.ط، عمان، المطابع التعاونية، ١٩٨٣م.
- ❖ وهبي الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ط٤، سوريا، دمشق: دار الفكر العربي، ١٩٩٦.
- ❖ يوسف حلباوي: التفان في الوطن العربي مفهومها وتحدياتها، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢م.